

العدد الخامس و الخمسون / سبتمبر ١٩٩٤ م / ربيع الأول ١٤١٥ هـ / الثمن ١٥٠ قرشا مصريا

«إجهاض» مؤتمر السكان .. و القضايا الغائبة

ربيع التعاون المصرى - الأمريكى

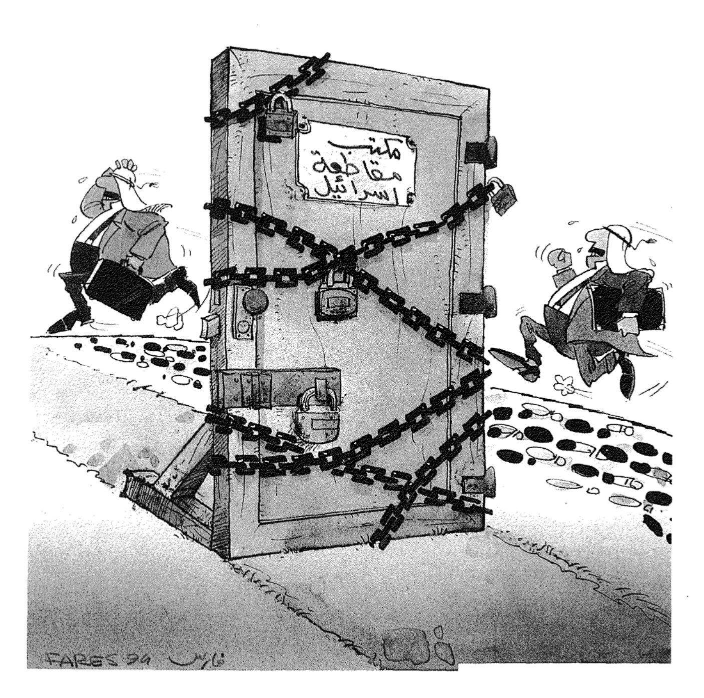
مواقف جديدة للإخوان المسلمين

أمريكا تتدخل... هاييتى أم كوبا؟

صناعة الأفلام بأسلوب مفاوضات كامب ديفيد

اليمن .. و مفارقات الانفصال و الوحدة

سقطت الاشتراكية الثانية . تحيا الاشتراكية الثالثة



للفنان فارس عن مجلة «الوسط»

إهـــــــداء ٢٠٠٦

المرحوم / يوسف درويش

القاهرة

في هذا العدد

**** موقفنا**

مؤتمر السكان بين «الاجهاض» وضياع القضايا الرئيسية.....**رئيس التحرير** ٤

****الجو السياسى**

الاوضاع فى مصر- التجمع. الانتخابات فردية- الاخوان المسلمون............٧

**** مصر**

ربيع التعاون المصرى الاسرائيلى.......................**محمود الحضرى** ١١

قضية عزل استاذ جامعى مريض......................**مصباح قطب** ١٣

الحركة النسائية بين الواقع والطموح...................**فريدة النقاش** ١٥

نبى الاسلام...ثورة اجتماعية.......................**محمد عبد القدوس** ١٨

الاشتراكية واليسار.........................**د. خليل حسن خليل** ٢١

التخبط المنظم...............................**د. سمير حنا صادق** ٢٣

**** العرب**

مابين مطرقة اسرائيل وسندان «حماس» ....**نظير مجلى** ٢٤

سلام اسرائيل...تمزيق العرب.........................**مدحت الزاهد** ٢٧

اليمن ..مأزق الاندماج ومفارقات الانفصال والوحدة... **د. عبد السلام نور الدين** ٣٠

**** العالم**

السؤال فى أمريكا: نتدخل أو لانتدخل؟..................**سمير كرم** ٣٤

فرنسا وشبح الجزائر الاسلامى..................**د. مجدى عبد الحافظ** ٤٠

ثلاث مراحل لاستعادة روسيا للاشتراكية................**احمد الخميسى** ٤٤

اليسار الاوربى فى ستراسبورج.......................**مجدى نصيف** ٤٦

الفكر الغربى بين تفكك الحداثة وتجديد الاشتراكية.........**د. مجدى عبد الحافظ** ٤٨

****كتب**

سقطت الاشتراكية تحيا الاشتراكية......................**فريدة النقاش** ٥٤

**** فكر**

مستقبل الاستقطاب على صعيد عالمى..................**د. سمير أمين** ٦٠

**** فن**

بين فيلمى حكمت فهمى وقائمة شندلر.....................**احمد يوسف** ٧٣

«منيا» آه..«أسيوط» لا.......................... **ماجدة موريس** ٧٧

**** أبواب ثابتة**

اسلام لاكهانة:**خليل عبد الكريم (٢٠)** تيارات **(٦٦)** أرشيف اليسار : **د. رفعت السعيد (٧١)** يمين فى شمال **(٧٩)** مشاغبات: **صلاح عيسى (٨٤).**

يسار در

مفاجأة حجازى

عندما لم يصلنا كاريكاتير الغلاف للفنان حجازى فى العدد الماضى، تصورنا أن هناك طارئا عطله هذه المرة. لكن المفاجئة كانت عندما اتصل به رئيس التحرير ليلقى حجازى بقنبلته...لقد توقف عن رسم الكاريكاتير وتفرغ للأطفال. لم يستطع رئيس التحرير أن يقنعه بتغيير قراره.

وأكد حجازى أنه توقف منذ فترة طويلة عن رسم الكاريكاتير، وظلت لوحة غلاف اليسار هى صلته الوحيدة لفترة، الى أن أصبح غير قادر على الاستمرار. ولم نملك الا احترام قراره الذى نفهم أسبابه وإن كنا لانوافق عليها. فكلمته النافذة الحارة كالسيف العميقة والبسيطة فى أن والتى كانت تحتل غلاف اليسار منذ صدورها، تشتد الحاجه اليها فى هذه الأيام الصعبة. ورغم كل شئ فلم نفقد الامل أن يفاجئنا حجازى بالعدول عن قراره. مجرد أمل..

ويتواكب مع موقف حجازى اضطرارنا لتغيير نوع ورق «اليسار» بعد أن ارتفع ثمن الورق بصورة مفاجئة - أيضا- رغم انخفاض قيمة الدولار فى العالم كله.

ولانظن أن قراءنا سيغضبون لان لون الورق قد اختلف ولم يعد ناصع البياض. فالمهم كما نتصور هو الموقف ومستوى المادة ومقدار تكاملها والالتزام بالعهد الذى قطعناه على أنفسنا عند صدور هذه المطبوعة.

مرة أخرى فنحن نراهن دائما على مساندة القراء وتضامنهم معنا.

اليسار

رئيس التحرير:
حسين عبد الرازق
المشرف الفني:
محمود الهندى
المستشارون:
إبراهيم بدراوى
د.رفعت السعيد
صلاح عيسى
د. عبد العظيم انيس
عبد الغفار شكر
عبد الغنى أبو العينين
محمود أمين العالم
شارك فى التأسيس:
د. فؤاد مرسى

اليسار: منبر ديمقراطى يصدر عن التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى فى اليوم الأول من كل شهر

Al YASSAR 1 kARIM El DAW-LA St. TALAAT HARB SQ. CAIRO EGYPT

الاشتراكات (لمدة سنة واحدة)
مصر:
١٨ جنيها للافراد و٤٥ جنيهاً للهيئات
الوطن العربى: ٥٠ دولاراً امريكيا او مايعادلها
ترسل القيمة بشيك مصرفى او حوالة بريدية إلى إدارة المجلة.

الإدارة والتحرير: ١ شارع كريم الدولة ميدان طلعت حرب- القاهرة
ت: ٥٧٥٩١٥٢ - ٥٧٥٩٠١١
٥٧٥٩٢٨١
فاكس: ٥٧٨٦٢٩٨ -
FAX;5786298

موقفنا

مؤتمر السكان.. بين الاجهاض.. و ضياع القضايا الرئيسية

حسين عبد الرازق

يبدأ يوم الأثنين ٥ سبتمبر الحالى بالقاهرة **المؤتمر الدولى للسكان** والتنمية والذى تنظمه الأمم المتحدة كل عشر سنوات (**بودابست ١٩٧٤- مكسيكو ١٩٨٤**) وتشارك فيه ١٨٦ دولة ويواكبه مؤتمر مماثل للمنظمات غير الحكومية يبدأ يوم ٣ سبتمبر ويشارك فيه حوالى ٢٠ ألف ممثل. وقد نجح المؤتمر- قبل أن يبدأ- فى أن يفرض الاهتمام به على جمهرة المواطنين فى مصر. ولكنه للأسف الشديد اهتمام فى غير موضعه، فقد سقط المؤتمر ضحية لمنهجين خاطئين تماما.

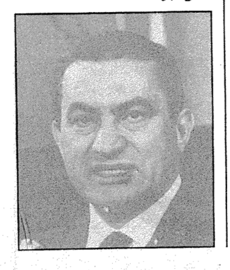
فجماعات وأحزاب الاسلام السياسى وبعض المؤسسات الدينية وصحف الإثارة، انقضت على مشروع الوثيقة الختامية للمؤتمر والتى تم إعدادها فى «اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدولى للسكان والتنمية، الدورة الثالثة، ٤-٢٢ أبريل ١٩٩٤» والتى تقع فى ٩٥ صفحة من النسخة العربية لتقتنص منها بعض العبارات صارخة مولولة ومؤكدة أن المؤتمر يعقد خصيصا فى القاهرة ، بلد الازهر الشريف، والدولة التى ينص دستورها على أن الإسلام دين الدولة الرسمى، **بهدف القضاء على الدين والأخلاق وإباحة الشذوذ الجنسى ، وحرية الاتصال الجنسى ، والاجهاض،** ولتطلق على المؤتمر اسم «**مؤتمر الاجهاض والشذوذ**»، داعية إلى منعه والتصدى له.

وفى رد فعل عصبى- وغبى- انطلقت الأجهزة الحكومية وصحفيوها يدافعون عن المؤتمر، بإعتبار أن عقده فى القاهرة **شهادة لصالح الحكم «يزيل الكثير من الآثار التى تركها الارهاب» على** **السياحة والأمن والاستقرار، ومصدر للعملة الصعبة، وأن الحكومة لن تقبل أى توصية تمس الدين والاخلاق أو تروج للإباحية والانحلال.**

وبين أولئك وهؤلاء ضاعت القضايا الرئيسية والحقيقية التى تتعلق بالمؤتمر وقضية السكان والتنمية.

أول هذه القضايا وأجدرها بالاهتمام،

حسنى مبارك



هو المنهج الخاطئ الذى ساد - منذ مؤتمر مكسيكو ١٩٨٤ - والذى يحول مشكلة السكان إلى مشكلة زيادة فى النسل فى دول العالم الثالث (الجنوب) (أوالدول النامية) متجاهلا لب وجوهر المشكلة المتمثلة فى توقف وتراجع التنمية فى دول الجنوب نتيجة للسياسات الاقتصادية التى فرضتها الدول الرأسمالية الكبرى فى أمريكا وأوربا (الدول الصناعية السبع أساسا) على العالم كله.

والحقائق التى توضح هذه المقولة كثيرة ومتعددة.

-فمتوسط الزيادة السكانية سنويا فى العالم ١٫٧٪ ،بينما متوسط النمو الاقتصادى الحالى - رغم سيادة الركود والكساد - أكثر من نسبة الزيادة السكانية حيث يصل إلى أكثر من ٢٫٢٪ على مستوى العالم ككل.

- وتؤكد الدراسات (الغربية) أن الموارد الطبيعية فى العالم تكفى احتياجات ٣٠ **مليار نسمة** ، بشرط استغلال هذه الموارد استغلالا متوازنا. وعدد سكان العالم حاليا **٥٫٥ مليار نسمة** ، وينتظر أن يصل إلى **٦٫٥ مليار** عام ٢٠٠٠ ، أى أنه لاتوجد مشكلة حقيقية تتعلق بالموارد الطبيعة ومدى كفايتها لمواجهة ،أى زيادات محتملة فى سكان العالم.

- هناك خلل بالغ فى توزيع الدخل العالمى. ففى البلدان الثرية (الشمال) هناك **٢٢٨ مليون نسمة** يتحصل كل منهم فى المتوسط على دخل سنوى يقدر بـ (**٢٠٥٧٠) دولار سنويا**.

وفى البلدان المتوسطة هناك **١٤٠٧ مليون نسمة** يتحصل كل منهم فى المتوسط على دخل سنوى يقدر بـ (**٢٤٨٠) دولار سنويا**.

وفى البلدان الفقيرة (الجنوب) هناك **٣١٢٧ مليون نسمة** يتحصل كل منهم فى المتوسط على دخل سنوى يقدر ب (**٣٥٠) دولار سنويا**.

أى أن المشكلة كما تؤكد الدراسات الموضوعية هى **«مشكلة خلل فى توزيع الانتاج ، ناتج عن خلل أكبر من توزيع إستغلال مايتوافر من الموارد على امتداد المعمورة»**. وبدلا من مواجهة استغلال الشمال للجنوب والسفه الاستهلاكى فى الشمال (الدول الصناعية) وتصحيح أنماط هذا الاستهلاك، تسعى دول الشمال الرأسمالية المتحكمة فى السياسة الدولية والامم المتحدة، لفصل قضية السكان عن جذورها الاقتصادية والاجتماعية.. لأن المواجهة الصحيحة لقضية السكان عن طريق التنمية الفعلية للجنوب، تفرض على البلدان الصناعية مسئولية عملية لاتريد تحملها.

وتشير دراسة لعالمين غربيين «**ناثان كايفيتش**» المحاضر فى جامعة هارفارد الأمريكية، و«**كيرسيتين كيسلينج**» نائب رئيس أكاديمية العلوم الملكية فى السويد.. إلى أنه يمكن إزالة جزء هام من الخلل القائم ورفع متوسط الدخل الفردى فى البلدان الفقيرة جميعا إلى ثلاثة أضعاف **من ٣٥٠ دولار إلى ١٠٥٠ دولار سنويا)** ، وهو الحد المطلوب لزوال الفقر والمجاعات والاوبئة والجهل، وذلك بتحويل الانتاج، وبالتالى الدخل، بقيمة ٢٫٢ مليار دولارسنويا من البلدان الثرية إلى الدول الفقيرة ومن ثم تتبدل الصورة من دون أن تنقص رفاهية الفرد الغربى الابقدر ضئيل ليصبح متوسط الدخل السنوى للفرد فى البلاد الثرية ١٧٨٨٣ دولار... وهو مايرفضه العالم الرأسمالى، **ويطالب بدلا من ذلك بمنع ٣٣ مليون إنسان فى الجنوب من الانجاب ليبقى من موارد الارض مايكفى لتغطية مايستهلكه مولود جديد فى بلد ثرى** من البلدان التى تشجع الانجاب بكل وسيلة. (فسياسة السكان التى تدعو اليها الأمم المتحدة هى مكافحة الانجاب وتحديد النسل فى الجنوب، والدعوة لزيادة النسل فى الشمال)

القضية الثانية التى تستحق الاهتمام فى هذا المؤتمر، ويتم تجاهلها عن عمد أن قضية تنظيم النسل - وهى مطلوبة فى جميع الحالات - ليست هى المدخل للقضاء على الفقر وتحقيق التنمية . بل العكس هو الصحيح. **فالقضاء على الفقر وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية هو الذى يؤدى إلى تنظيم النسل.** فالشمال الصناعى والثرى يعانى اليوم من انخفاض هائل فى الانجاب بل وانعدام الانجاب فى بعض الأحيان مما أدى إلى ظاهرة خطيرة ، وهى زيادة عدد المسنين غير القادرين على الإنتاج، مقابل تناقص نسبة العاملين فى سن الانتاج بالمقارنة مع عدد السكان، مما أدى إلى الدعوة لزيادة النسل.

وفى تجربة مصر الناجحة نسبيا فى تنظيم النسل وتخفيضه لم يتراجع الفقر بل العكس هو الحادث . وكما يقول **د. حمدى عبد العظيم** استاذ الاقتصاد وعميد أكاديمية السادات بطنطا.. « المشكلة تكمن فى عدم وجود برامج وخطط تنمية اقتصادية حقيقية لاستيعاب السكان فى مجالات عمل منتجة.. ولذلك نجد - رغم إنخفاض معدل نمو السكان - أن معدل البطالة يتجه إلى الزيادة، كما أن متوسط نصيب الفرد يتجه إلى الانخفاض».

القضية الثالثة ، أن الشمال (الرأسمالى) فى ظل اصراره على فرض هذا المفهوم الخاطئ لقضية السكان، يواصل سياسة افقار الجنوب، عن طريق العديد من الاتفاقيات والمؤسسات الدولية ، **مثل صندوق النقد الدولى والبنك الدولى للانشاء والتعمير واتفاقات الجات** والتى تعمل جميعا على تكريس عدم التكافؤ بين الشمال والجنوب فى «إطار مايسمى حرية السوق وحرية التبادل التجارى». كما يواصل سياسة تدمير البيئة فى مجتمعات الجنوب عبر الشركات المتعددة الجنسية ، حيث يوجد **«٥٠٠ شركة متعددة الجنسية تقوم بإنتاج وتسويق ٨٠٪ من السلع الملوثة للبيئة».**

وفى ظل تجاهل «المؤتمر الدولى للسكان والتنمية» لجوهر قضية السكان وخضوع الدول النامية (الجنوب) لسياسات ومنهج دول الشمال، فالمؤتمر لن يزيد عن كونه تظاهرة عالمية لتعميق الأزمة وتأكيدها.

ومع ذلك فالقضايا الجزئية والتفصيلية التى يتعرض لها المؤتمر ومشروع وثيقته الختامية، قضايا بالغة الأهمية. فالمؤتمر يناقش تحت عنوان «المساواة بين الجنسين وتمكين المرأة» أوضاع النساء، والطفولة ومسئوليات الرجال ويناقش أوضاع الاسره والعلاقات بين الجنسين والصحة وأوضاع المراهقين.

فمثلا يلزم برنامج العمل المطروح المجتمع الدولى بأهداف كمية فى ثلاثة مجالات مترابطة وذات «أهمية فى تحقيق الاهداف السكانية والإنمائية المهمة الاخرى» ، وهى:

١- التعليم وخاصة تعليم البنات. فطبقا للبيانات المتاحة فعدد الاميين فى العالم ٩٦٠ مليون نسمة ثلثاهم من النساء . وهناك نحو ١٣٠ مليون من الاطفال بمن فيهم أكثر من ٩٠ مليون طفلة محرومين من فرص الحصول على التعليم الابتدائى (الاولى).

٢- توفير فرص الوصول الشامل لخدمات تنظيم الاسرة والخدمات الصحية التناسلية.

٣- خفض معدل وفيات الرضع والاطفال والأمهات.

ويقودنا ذلك مباشرة إلى الاهتمام الواسع الذى يبديه مشروع الوثيقة الختامية للمؤتمر بالمرأة. وهو اهتمام مشروع وصحيح فى مجمله فكما تقول الوثيقة..«فالمرأة تتاح **لها فرصة أقل فى الحصول على التدريب والائتمان والملكية الحقيقية والموارد الطبيعية والاعمال ذات الأجر الأفضل**» وتطالب ..بـ «بذل جهد أكبر من ذلك بكثير لتعزيز المشاركة الكاملة (للمرأة ، فى جميع نواحى التنمية، ويجب على الرجل المساعدة فى القضاء على التمييز ضد المرأة، وأن يلتزم بحماية المرأة والأطفال من الإيذاء والعنف الجنسيين..»

وفى هذا الاطار وردت الاشارة أكثر من مرة لقضية «**الاجهاض**» وتقدر الوثيقة حالات الاجهاض التى تحدث سنويا بخمسين مليون حالة، مشيرة إلى أنه «فى بعض البلدان ينتج مايصل إلى نصف عدد وفيات الأمهات من عمليات الاجهاض غير المأمونة». وهو أمر نعرفه فى مصر جيدا حيث يموت آلاف النساء، نتيجة للإجهاض غير الأمن، رغم أن الاجهاض محرم قانونا فى مصر.

وكما سبق القول فقد حظيت هذه القضية بإهتمام وتركيز بالغين فى مصر، بصورة كادت تلغى كل ماجاء، فى وثيقة المؤتمر وتحصرها فى هذه القضية. وقد سجل البيان الذى أصدره «**المركز الدولى الاسلامى للدراسات والبحوث السكانية بجامعة الأزهر**» أن وثيقة المؤتمر لم تطالب بإباحة الاجهاض . وقال فى بيانه نصا:«إنه لمن الانصاف أن **مشروع برنامج عمل المؤتمر لم يدع إلى تسويق الاجهاض كطريقة لتنظيم الاسرة صراحة..**» إلا أن البرنامج يلفت الاهتمام إلى العواقب الصحية الوخيمة لعمليات الاجهاض غير السليمة وكذلك معالجته بصفته قضية صحية بالنسبة إلى المرأة . وتضيف الدكتورة «**نفيس صادق**» المديرة التنفيذية لصندوق الاسكان التابع للأمم المتحدة والأمينة العامة لمؤتمر القاهرة،..» **وإن مايقدر بـ ٥ر٢ مليون أمرأة تموت كل عام نتيجة للإجهاض غير السليم.. ولانستطيع أن نستمر فى تجاهل هذه المأساة . وهناك ١٧٣ بلدا فى الأمم المتحدة تسمح بالاجهاض لحماية حياة وصحة الأمهات**، ويتفق الأزهر والكنيسة الكاثوليكية فى تحريم الاجهاض.فيقول الازهر فى بيانه «إن مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف قد أنتهى إلى أن الحمل محرم اسقاطه مطلقا (ولو نتج الجنين عن زنا أو اغتصاب) الا إذا كان هناك سبب طبى يقتضى المحافظة على حياة الأم» وشن البابا حملة ضد المطالبة بإباحة الإجهاض، واتهم البابا «يوحنا بولس الثانى» بابا الفاتيكان الولايات المتحدة الأمريكية والمجموعة الاوربية بممارسة «الامبريالية الثقافية» ومحاولة فرض اللا أخلاقية على دول العالم بإباحة الإجهاض والشذوذ الجنسى وهدم الاسرة.

فبالاضافة لقضية الاجهاض فقد اعترض الأزهر على بعض ماورد فى الوثيقة، مثل «التغاضى عن النشاط الجنسى للمراهقين عن غير طريق الزواج» أو الحديث عن زواج الشواذ، أو أن تكون خدمات الرعاية التناسلية والجنسية- بمافى ذلك تنظيم الاسرة- فى متناول الجميع دون اشتراط الزواج ، والمساواة بين الذكر والأنثى فى حقوق الميراث.. الخ.

المثير للانتباه أن المعترضين على هذه الفقرات تجاهلوا عن عمد أن الوثيقة ذاتها تنص على أن: «**صياغة وتنفيذ السياسة السكانية هى مسئولية كل بلد، وينبغى أن يؤخذ فى الاعتبار الظروف المختلفة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسة فى كل بلد**، فضلا عن المسئوليات المشتركة لجميع سكان العالم عن المستقبل المشترك».

كما نصت أيضا على أن «**وضع وتنفيذ السياسات السكانية حق سيادى لكل أمة**».

باختصار فإن مسئولية السياسات السكانية فى مصر ترجع فى الأساس لما تقرره الحكومة ولما تختاره من وثيقة المؤتمر.

والسؤال الحقيقى هنا.. ماذا ستختار الحكومة من سياسات عقب انفضاض المؤتمر وصدور الوثيقة؟

* هل ستفهم ماجاء، فى الوثيقة من أن «**تحقيق التنمية المستديمة يترابط بتخفيف حدة الفقر، كما أن القضاء على الفقر يحتاج إلى نمو اقتصادى مطرد**». أم تواصل سياستها التى أدت إلى توقف التنمية وتراجع متوسط نصيب الفرد من الدخل القومى وازدياد تكاليف المعيشة..؟

***هل ستتمسك بسياسة تخلى الدولة عن مسئولياتها فى توفير الخدمات المجانية أو الخدمات ذات السعر المعقول وتترك الصحة والتعليم نهبا لما نسميه سياسات السوق..؟** أم ستستجيب لما أشارت اليه الوثيقة حول مسئولية الدولة فى توفير الرعاية الصحية للمرأة والطفل والقضاء على الأمية ، خاصة أمية النساء، وضمان حق التعليم للطفل.. الخ؟

***وأهم من هذا وذاك.. هل ستدرك أن السياسة الصحيحة للسكان، هى القائمة على تصحيح العلاقة بين الشمال والجنوب وتحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية صحيحة ومضطردة..** أم انها ستخضع لضغوط الولايات المتحدة والعالم الرأسمالى الذى يحاول تقديم مساعدات تهدف إلى الحد من النسل لصالح سياساته، وتعتمد على عنصر الإكراه والتخويف؟

فالملاحظ أن هناك دولا صناعية عديدة «باتت تربط تقديم القروض إلى دول الجنوب، بشروط مؤداها ربط الاستفادة من تلك القروض بمشاريع تتعلق بالحد من الإنجاب، أكثر مما تتعلق بمكافحة البطالة والتصحر وسوء التخطيط والفساد..»

ومنذ سنوات أشار مسئول أمريكى إلى أن «**المواد الغذائية سلاح.. إنها فى الوقت الحاضر أفضل سلاح نحمله فى حقائب مفاوضاتنا مع الاخرين**»، مشيرا إلى أن أمريكا وأوربا تحتكر أن حوالى ٦٠٪ من تجارة الحبوب فى العالم. وهناك تصريحات أمريكية عديدة تربط بين الالتزام بما ينتهى اليه مؤتمر القاهرة للسكان، وبين اعطاء المعونات

*يبقى التساؤل الأخير حول ذلك الموضوع الملتهب ، وهو الاجهاض، **هل ستظل نغمض الأعين على أن هناك آلاف النساء يذهبن ضحية الاجهاض فى مصر فى ظل القوانين والاوضاع السائدة..** أم أن هناك طريقا صحيحا، بين التحريم والإباحة، هو طريق التنظيم الذى يلتزم صحيح الدين. فالازهر يقول بوضوح فى بيانه بجواز الاجهاض حفاظا على حياة الأم. **والفتوى الصادرة عن دار الافتاء فى مصر تجيز الاجهاض فى الأشهر الاربعة الأولى استنادا إلى ماقاله فقهاء المذهب الحنفى من جواز إسقاط الحمل مالم يتخلق منه شئ، وهو لايتخلق إلا بعد ١٢٠ يوما، مؤكدين إن هذا الاسقاط مكروه بغير عذر.**

وأخيرا هل نملك القدرة على المشاركة فى المؤتمر وتقييمه برؤية شاملة وبإدراك لجوهر مشكلة السكان، أم إنه محكوم علينا فى هذا الزمن الردئ بالغرق فى الجزئيات بهذه الحجة أو تلك.. والاندفاع إلى الادانة أو الدفاع حسب مصالح صغيرة مؤقتة.

الأوضاع فى مصـــــر بعيـــون غـــربيـــة

كتب: أشرف شهاب

تعرض التقرير ربع السنوى حول مصر والذى تصدره وحده المعلومات بجريدة الايكونوميست البريطانية والمنشور فى نهاية شهر إبريل ١٩٩٤ للعديد من القضايا والمعلومات حول المناخ السياسى والاقتصادى وقضايا تتعلق بالطاقة والصناعة والزراعة والسياحة والتجارة الخارجية لمصر.

يقول التقرير...

أظهرت الجماعات الاسلامية المسلحه قدرا كبيرا من التحدى للحكومة المصرية. وقد اتضح أنهم لايلقون تأييدا شعبيا ويواجهون قدرا كبيرا من الصعوبات بسبب السياسات الأمنية العنيفة والتى أحكمت الحصار حول الدعم الخارجى الذى كانت تلك الجماعات تتلقاه.

واستمرت أسيوط مصدرا رئيسيا للقلق وللعنف السياسى أكثر من أى منطقة أخرى فى مصر. واستمرت القاهرة كمسرح رئيسى للأحداث وللمواجهات. وتولى الحكومة المصرية اهتماما كبيرا وأولويه للمواجهة مع تلك الجماعات. وسيظل الاستقرار هو الأمل المنشود خلال عامى ١٩٩٤ و١٩٩٥. وتشير الأحداث إلى أن الحكومة المصرية ستظل محكمة قبضتها على السلطة دون السماح بمشاركة سياسية واسعة.

ولن يسفر الحوار الوطنى الذى طال انتظاره مع مجموعات المعارضة الشرعية عن أى تقدم ملموس سواء دستوريا أو حتى اصلاح سياسى، خاصة وأن المعارضة لاتمتلك تأييدا شعبيا قويا يمكنها من إجبار السلطة على ذلك.

وتلعب مصر دورا سياسيا مهما على المستوى العربى والافريقى وخصوصا بالنسبة للغرب، كما أنها تلعب دورا فى عملية السلام فى الشرق الأوسط وخصوصا المحادثات الفلسطينية الاسرائيلية، مما يؤهلها للدخول فى عمليات مهمه مع الجارة غزة. وستظل علاقة مصر قوية مع السعودية ودول الخليج الأخرى رغم أن مساعداتهم ستقل نظرا لانخفاض اسعار النفط فى السوق العالمية.

والسياسات الاقتصادية المصرية ملتزمة بمهام وواجبات محددة فى إطار خطة الثلاث سنوات لتحرير الاقتصاد المصرى والموقعة مع صندوق النقد الدولى فى سبتمبر ١٩٩٣ وأن كان ايقاع الاصلاحات بطينا حتى هذه اللحظة وذلك بسبب خشية الحكومة من احتمالية حدوث قلاقل إجتماعية تثيرها تلك الصعوبات الاقتصادية الناجمة عن تلك الخطة. مما يؤهل الجماعات الاسلامية للتزايد العددى. ومن المتوقع أن تقوم الحكومة المصرية خلال الشهور القليلة القادمة باستعراض لحسن نواياها من أجل إعفائها من ديون تساوى ٤ بليون دولار امريكى مرهونه بتنفيذ مصر لاتفاقياتها مع صندوق النقد الدولى حتى يونيو ١٩٩٤. ولاتزال المباحثات مستمره وربما لن يتم هذا الاعفاء إلا فى ديسمبر.

وتركز مصر فى ١٩٩٤، ١٩٩٥ على عملية الاصلاح الهيكلى من أجل تشجيع القطاع الخاص. وأن كانت هناك مقاومة بيروقراطية لعملية بيع ٣١٤ شركة قطاع عام بالاضافة الى أن هناك نقصا فى الخبره والمهاره والخوف من البطالة. وتقدر البطاله فى مصر **بحوالى ١٤٪ من قوة العمل المقدرة بـ ١٥ مليون طبقا لتقديرات منظمة العمل الدولية. ولكن تقارير غير رسمية تشير الى أن المعدل الصحيح يتعدى ٣٠٪ من قوة العمل واذا استمرت تلك السياسات فانها قد تتراوح مابين ثلث الى نصف قوة العمل المصرية إجمالا.** وهناك مقاومة لعملية بيع القطاع العام مما سيؤخر قليلا عمليه البيع.

وتقول الحكومة انها سوف تطبق قوانين جديدة فى ١٩٩٤، ١٩٩٥ منها

١- قانون العمله الجديد الذى يلغى القيود على تصدير الجنيه المصرى

٢- فتح الباب للاستثمارات الخارجية للدخول الى السوق التأمينية

٣- قانون الإيجارات الجديد الذى سيلغى القيود على الايجارات الجديدة بنهاية ٩٤ وجميع المساكن بنهاية ٩٥.

٤- قانون العمل الجديد الذى يعطى العمال حق الاضراب وحق الاحتجاج الجماعى.

٥- القانون الموحد للاستثمارات والنشاط التجارى.

٦- قانون القطن والذى سيرفع القيود عن تجارة القطن

٧- قانون patent (براءات الاختراع) الجديد

وستستقر معدلات التبادل فى اسعار الصرف للجنية المصرى لكسب ثقة المستثمر. وتشير البيانات الى أن إجمالى الدخل فى فترة الـ ١٢ شهرا حتى يونيو ١٩٩٣ تختلف تبعا لعده مصادر ولكن هناك إتفاقا عاما على انخفاض واردات مصر من السياحة والبناء، وظل الارتفاع النسبى فى الوارد من قطاعى الزراعة والصناعة.

المشهد السياسى

تواصلت معدلات العنف فى الارتفاع وتؤتى المواجهة الأمنية ثمارها ولكن ببطء، وهناك أكثر من ٣٥٠ قتيلا وقعوا ضحايا لعمليات العنف فى العامين الأخيرين، وجرح حوالى ٧٣٥. واعتقلت الحكومة حوالى ٢٩٫٠٠٠ متطرف طبقا لبيانات الداخلية المصرية. وتم اعدام ٥٠ من الاسلاميين بموجب احكام عسكرية سريعة. **وفى ١٧ مارس الماضى أدين اثنان عسكريان بمحاولة اغتيال الرئيس مبارك وذلك فى منطقة قاعدة سيدى برانى الجوية بالقرب من الحدود الليبية (أشارت**

اليسار فى عدد ابريل ١٩٩٤ الى هذه المحاولة فى موضوع ماضى الجزائر قد يكون مستقبل مصر») . واغتالت الجماعات الاسلامية اللواء رءوف خيرت رئيس قسم مكافحة النشاط الدينى والذى كا له دور بارز فى معركة الحكومة ضد الإرهاب وذلك خارج منزله بالقاهرة.

وفى ١٠ ابريل مرر مجلس الشعب المصرى قانونا يعطى لوزارة الداخلية حق تعيين العمده ونائبه، وقالت المعارضة أن هذه رده عن الديمقراطية وردت الحكومة بأن الكثير من العمد كانوا فاسدين ولم يبذلوا أى جهد للتعاون مع قوات الأمن. ويتيح القانون الجديد للمرأة حق شغل منصب العمدة للمرة الأولى. وفى١١ أبريل مرر المجلس قرارا بتمديد حالة الطوارئ فى البلاد لمدة ٣ سنوات قادمة حتى ١٩٩٧/٥/٣١.

وكان القانون الأول قد صدر فى أعقاب اغتيال السادات. وقد عارض تمديد القانون ١٢ عضوا من البرلمان من أصل ٤٥٨ عضوا.

وفى إطار المواجهات الأمنية مع الجماعات الاسلامية ، اعتقلت الحكومة عددا من قيادات تلك الجماعات وأعلن أحد محاميهم وهو **عبد الحليم مندور** عن الرغبة فى الحوار مع الحكومة من أجل وضع حد للعنف ولم تبد الحكومة فى المقابل أى رغبة فى ذلك. وقامت الجماعات بعد ذلك بتوجيه تحذيرات عبر الفاكسات الى أى شخص يحاول مساعده النظام المعارض للإسلام. وتلى ذلك مجموعه من الهجمات ضد السياحة فهاجموا ثلاث سفن نيلية قتل فيها سائح المانى. وفى هجمات ضد القطارات التى تعمل على خط القاهرة - الاقصر- اسوان جرح ١٣ مصريا و٨ أجانب. وفتحت الجماعات الاسلامية جبهة جديدة عندما هاجمت البنوك المصرية بسبب انها بنوك ربوية غير اسلامية ووجهوا تحذيرا الى المصريين لكي يسحبوا أموالهم من تلك البنوك ثم هدأت الأمور لفترة فى القاهرة واستمرت المواجهة فى اسيوط. وطبقا لبيانات رسميه فقد قتل ٥٤ شخصا منهم ٣٠ من رجال الشرطة و١٣ مدنيا و١١ من أعضاء الجماعات.

أما بالنسبة للحوار الوطنى والذى يؤمل من خلاله الى تشكيل لجنة قومية لمناهضة الإرهاب فقد تأجل من منتصف فبراير الى إبريل ثم الى مايو وأعلن الرئيس مبارك أنه سيسمى حوالى ٢٥ عضوا للجنة التحضيرية هم من قيادات الأحزاب والنقابات وبعض الشخصيات العامة، على أن تتقدم اللجنة بتقريرها فيما بعد الى الرئيس مبارك والذى كان قد حدد ٣ خطوط رئيسية يتم الحوار حولها.

وعلى الصعيد الاقتصادى.

فقد وصل فى ١٧ مارس الماضى فريق من البنك الدولى وغادر مصر بعد أن أبرز عدم رضاء عن آداء مصر لثلاثة أسباب رئيسية هى

١- نسبة التقدم البطيئة فى عملية الخصخصة

٢- تحرير التجارة

٣- اسعار الطاقة

وبالنسبة للموضوع الاول فإن الحكومة المصرية لم تبع سوى ٣ شركات من أصل ٢٢ شركة معدة للبيع وحتى أثناء وجود ذلك الفريق فإن تلك الشركات لم تكن قد بيعت بالكامل.

وبالنسبة لتحرير التجارة فقد خفضت مصر التعريفة الجمركية من حوالى ٨٠٪ الى ٧٠٪ كما هو مطلوب ولكنه بنسبة أقل طبقا لبرنامج التكيف الهيكلى. أما بالنسبة لأسعار الطاقة فإن صندوق النقد الدولى لايعتبرها مشكلة إذ أن هناك خطة طويلة المدى لتحرير اسعار الطاقة بنهاية شهر يوليو ١٩٩٥. وقد قال **عاطف عبيد** وزير الدولة للتنمية الادارية والبيئة إن عمليات البيع بالنسبة للأجانب ستكون محدودة وان ذلك لن يتعدى أصابع اليد الواحدة وسوف تعرض الحكومة اسهمها فى ٣١٤ شركة من أصل ٣٦٠ شركة للبيع وأعلن أن ٩٠ من تلك ال ٣٦٠ شركة المملوكة للدولة هى شركات خاسرة ومدينه بديون تصل الى حوالى ٥٤ بليون جنية مصرى أى حوالى ١٦ بليون دولار أمريكي.

إن إحدى أهم خطط الحكومة وأهدافها من عملية الخصخصة هو بيع الاسهم للعاملين فى تلك الشركات المباعة. وطبقا لمجلة الأهرام الاقتصادى فإن حوالى ٧١ شركة قطاع عام قد طرحت ١٠٪ من أسهمها للبيع للعاملين فيها وتقدر قيمة تلك الأسهم بحوالى ٥ بليون جنيه مصرى أى حوالى ١ر٤٠ بليون دولار امريكي. وهناك تخفيض قدره ٢٠٪ للعمال الذين يتقدمون على الشراء، ومع تسهيلات ضخمة فى السداد تصل الى حوالى ١٠ سنوات.

ويشير تقرير للبنك المركزى المصرى إلى أن هناك نموا فى قطاعات البترول والكهرباء بنسبة ٤ر١٪ وفى التجارة بنسبة ٣ر٦٪ وفى الزراعة بنسبة ٢ر٩٪ والصناعة والتعدين ٢ر٧٪ وانخفض دخل السياحة بنسبة ١١ر٤٪ والبناء بنسبة ١١ر٩٪.

وبالنسبة للسكان ففى يونيو ٩٣ كان التعداد ٤ر٥٦ مليون مواطن ارتفع بنسبة ٢ر١٪ عن عام ١٩٩٣/١٩٩٢ . وطبقا لتقديرات البنك المركزى فقد كانت نسبة النمو السكانى فى العام الماضى حوالى ٢ر٣٪. وأعلن وزير السكان والأسرة د. **ماهر مهران** أن نسبة النمو السكانى فى القاهرة هى ٦ر١٪ بينما هى أكثر من ذلك فى المناطق الشمالية والجنوبية. وتشير تقديرات البنك المركزى إلى أن قوة العمل تقدر بحوالى ١٥ر٦ مليون مواطن منهم ١٤ مليون يعملون، وتصل لائحة الأجور فى مصر الى حوالى ١٤ر٥ بليون جنيه فى ١٩٩٢/ ١٩٩٣ أى أكثر من العام السابق له ٩١/ ٩٢ بحوالى ١٥ر٨٪.

وطبقا لإحصاءات رسميه عن مركز المعلومات ودعم صناعة القرار فإن نسبة التضخم السنوى قد إنخفضت الى ٧ر٣٪ فى فبراير ٩٤ مقارنة بـ ٧ر٤٪ فى يناير و٧ر٩٪ فى ديسمبر الماضى و١١ر١٪ فى نوفمبر . وفى منتصف مارس الماضى أعلن وزير التعاون الدولى يوسف بطرس غالى أن الحكومة تخطط لخفض نسبة التضخم الى ٧٪ فى شهر يونيو ليستقر عند معدل من ٣٪ الى ٥٪ بنهاية عام ١٩٩٥.

"التجمع" الانتخابات فردية.. والمهم النزاهة ووقف التزوير

وجهت الأمانة العامة لحزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى ضربة موجعة لمحاولات الحزب الوطنى (أو تيار قوى فيه) تحميل أحزاب المعارضة التى شاركت فى مؤتمر الحوار الوطنى مسئولية التوصية «اللقيطة» الخاصة بالنظر فى تطبيق نظام الانتخابات

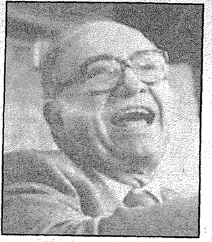
بالقائمة النسبية إذ أصدرت الامانة العامة بيانا أوضحت فيه بحسم موقفها من هذا الطرح وتمسكها بالانتخابات الفردية، واعطائها الاولوية لقضية توفير نزاهة الانتخابات.

قال البيان:

ناقشت الأمانة العامة موقف حزب التجمع من انتخابات مجلس الشعب القادمة عام ١٩٩٥ في اجتماعها يوم السبت ١٣ أغسطس ١٩٩٤ حيث لاحظت أن بعض الصحف القومية لاتلتزم بالحقائق فيما يتصل بالمناقشات التى دارت حول نظام الانتخابات فى مؤتمر الحوار الوطنى وفيما يتعلق بموقف التجمع، موحية بأنه قد وافق على الأخذ بنظام القوائم وهذا غير صحيح، فقد أعلن ممثلو حزب التجمع فى مؤتمر الحوار الوطنى أنهم يفضلون نظام الانتخاب الفردى وأنهم لن يبدوا الرأى بالموافقة أو الرفض على أى نظام أخر بدون وجود مشروع متكامل بالأسس والقواعد التى تحكم العمل بهذا النظام وقد أكد ممثلونا فى مؤتمر الحوار انهم لايعطون صكا على بياض لأحد، وأنهم لايوافقون من حيث المبدأ على نظام انتخابى لايعرفون تفاصيله والقواعد المفصلة التى يقوم عليها، خاصة وأنه سبق تطبيق نظام القوائم فى انتخابات ١٩٨٤، ١٩٨٧ المخالفة لاحكام الدستور وكان واضحا أن الهدف منه هو تحجيم أحزاب المعارضة بصفة عامة. وقد حكمت المحكمة الدستورية العليا بعدم دستورية هذا النظام مرتين. وقد انصب اهتمام ممثلى حزب التجمع فى مؤتمر الحوار الوطنى على قضية نزاهة الانتخابات وضرورة توافر ضمانات قانونية وموضوعية تكفل احترام رأى الناخبين وتضمن نزاهة الانتخابات باعتبارها الشرط الضرورى والجوهرى لاستقرار الممارسة الديمقراطية فى مصر.

وقد انتهت مناقشات الأمانة العامة الى تحديد موقف حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى من الانتخابات على النحوالتالى:

أولا: التمسك بنظام الانتخاب الفردى، ورفض نهج الحزب الحاكم فى استسهال تعديل نظم الانتخابات مما يفقد الناخب ثقته فى العملية الانتخابية وذلك حتى يتوافر نظام أفضل للانتخابات يستند الى الدستور ويكفل المزيد من الديمقراطية، والمزيدمن امكانيات التعبير عن إرادة الناخبين. تشارك كل الأحزاب السياسية فى بلورته، ولاينفرد الحزب الحاكم بوضعه وقد أكدنا أكثر من مرة استعدادنا للإسهام فى أية مناقشة ستجرى فى



خالد محيى الدين

هذا الصدد.

ثانيا: ضرورة أن تكون الاولوية فى نشاطنا السياسى خلال العام القادم من أجل توفير ضمانات قانونية وموضوعية لنزاهة الانتخابات باعتبارها الشرط الأساسى لجذب المواطنين الى ساحة العمل الديمقراطى السلمى بديلا للعنف والسلبية عندما يطمئن الناخب الى أن صندوق الانتخاب سيعبر بصدق عن ارادته. وتدعو الأمانة العامة كافة الاحزاب السياسية الى التعاون معا والتنسيق من أجل توافر هذه الضمانات وفى مقدمتها:

١- اصدار قانون جديد لمباشرة الحقوق السياسية طبقا للمشروع الذى تقدمت به أحزاب المعارضة للسيد/ رئيس الجمهورية يوم ١٩٩٠/٦/١٩ والذى قدمه الاستاذ خالد محيى الدين باسم الهيئة البرلمانية لحزب التجمع الى مجلس الشعب، والذى يركز بصفة خاصة على الاشراف الكامل للقضاء على الانتخابات واعادة تسجيل جداول الناخبين من خلال السجل المدنى وعلى أساس الرقم القومى، وضرورة توقيع الناخب باسمه أو بصمته أمام اسمه، وتشديد العقوبة على تزوير الانتخابات.

٢- افساح المجال فى الاذاعة والتليفزيون والصحافة القومية أمام تعدد الاراء وأن تكون لأحزاب المعارضة فرصة متكافئة مع الحزب الحاكم فى هذه الأجهزة.

٣- الغاء القيود المفروضة على العمل السياسى الجماهيرى بما يمكن أحزاب المعارضة من الالتقاء بجماهير الشعب وعرض مواقفها من قضايا المجتمع ومشاكله على المواطنين دعما لحق المواطن فى التعرف على المواقف المختلفة والمفاضلة بينها.

ثالثا: تدعو الأمانة العامة لجان المحافظات وكافة أعضاء الحزب للاهتمام منذ الان بالاستعداد للمشاركة فى انتخابات مجلس الشعب القادمة وقد وافقت على تشكيل لجنة من أعضاء الأمانة المركزية وبعض أمناء المحافظات لتنسيق النشاط الحزبى فى الانتخابات واعداد تصور سياسى متكامل لموقف التجمع من هذه الانتخابات.

وبعد.. فان الأمانة العامة كانت حريصة فى صياغتها لموقف التجمع من الانتخابات على توفير الشروط لاستقرار المجتمع الأمر الذى لايمكن أن يتحقق بدون ممارسةديمقراطية حقيقية يشعر المواطن من خلالها أنه شريك فى صياغة السياسات والقرارات التى تؤثر على مستقبله ومستقبل أولاده من خلال العمل السلمى الديمقراطى الأمر الذى يسهم فى تقليل نوازع التطرف والعنف والارهاب.

ونحن نأمل أن يتفهم الجميع هذه الحقيقة فى ذلك الحزب الحاكم فالوطن يمر بظروف صعبة وأوضاع عصيبة ولن يخرجه منها الا ممارسة ديمقراطية حقيقية وليس التلاعب بالانتخابات من أجل ضمان استمرار احتكار الحكم لحزب بعينه.

"الإخوان المسلمون" يعلنون مواقف جديدة لماذا؟

نشرت صحيفة الحياة (اللندنية) بيانا صادرا عن جماعة «الأخوان المسلمون» فى مصر يوضح موقفهم من الارهاب والتنظيمات السرية ونظام الحكم، ومفهوم المواطنة، والنقابات المهنية والإصلاح السياسى.

أكد البيان أن الاخوان «يدينون العنف ويستنكرونه ويرفضون كل أشكاله وصوره وبواعثه، وذلك على أساس فهمهم لقيم الاسلام ومبادئه وتعاليمه، كما سبق واكد الاخوان مرارا ضرورة ايقاف أعمال العنف

والعنف المضاد من منطلق وقاية البلاد من نزيف الدم الذى حرمه الله، والحفاظ على المجتمع من الانهيار الاجتماعى والخراب الاقتصادى الذى لن يستفيد من ورائه الا أعداء الاسلام وخصوم المسلمين» و«أن الاخوان حاولوا من خلال التربية المستمرة والتوجيه المباشر للشباب دون وقوع عشرات الآلاف منهم فى براثن أعمال العنف«.. ولم يحدث خلال الآزمات الماضية والحالية على كثرتها، والتى كان من الممكن أن تعصف بأمن الوطن واستقراره أن استغل الاخوان أى فرصة لتصفية حسابات أو ممارسة أى عمل من أعمال العنف ، ولو على المستوى الفردى ،أو عقد إتفاقات أو تشجيع ممارسات من شأنها أن تضر بالصالح العام.

ونفى الاخوان وجود أى تنظيمات سرية لهم، ورفضهم لاسلوب العمل السرى من ناحية المبدأ.. » فليس لدى الاخوان المسلمين أى تنظيمات سرية أو نية لعمل تنظيمات تعمل تحت الأرض بعيدا عن الأعين.. فالتنظيمات السرية لاتتفق ومنهج الاخوان وذلك واضح من خلال حركتهم ونشاطاتهم فى مجالات كثيرة عبر العقود الأخيرة، كما أن لافتاتهم وملصقاتهم موضوعة فى كل مكان من أرض مصر شاهد على أنهم يعملون فى وضح النهار وأنهم موجودون وسط الميدان يعيشون مع الناس ويمتزجون بهم ويشاركونهم أفراحهم وأتراحهم. ودخل الاخوان المسلمون انتخابات مجلس الشعب فى العامين ٨٤ و١٩٨٧ والمحليات عام ١٩٩٢ ، هذا فضلا عن الانتخابات المتعاقبة للنقابات المهنية المختلفة. وكان تحرك الاخوان فى هذه الانتخابات جميعها علنيا وظاهريا..»

وتناول البيان موقف الاخوان من النقابات المهنية مؤكدا أن «من حق الاخوان المسلمين كغيرهم من المواطنين أن يرشحوا أنفسهم لمجالس ادارات النقابات المهنية فى مصر.. وتأتى نتائج الانتخابات الحرة والنزيهة فى كل مرة تعبيرا عن ثقة القواعد العريضة فى نقابات الأطباء والمهندسين والتجاريين والعلميين والمحامين ونوادى أساتذة الجامعات فى مصر فى الأخوان..»

«وأفراد الاخوان داخل مجالس النقابات لايمارسون عملهم بمفردهم، وإنما يشاركهم فيه غيرهم وعلى رأسهم السادة النقباء الذين ينتمون فى معظمهم الى حزب الحكومة ، لم يحدث أن صرح أحد من هؤلاء يوما ما بأن ثمة تدخلا ما فى شأن هذه النقابة أو تلك من قبل الاخوان المسلمين». واهتم البيان بتوضيح موقف الجماعة من الازمة الاخيرة بين مجلس نقابة المحامين والحكومة..«وبادئ ذى بدء تقرر قيادة الاخوان أن لاشأن لها بماحدث من أزمة بين نقابة المحامين وبين الحكومة. وأنه لم يكن لها أى دور فضلا عن انهاماكانت تتمنى أن تصل الأحداث الى ماوصلت إليه.

ويمضى البيان لتأكيد تمسك الاخوان بالنظام والتزامهم بالدستور فمن «منطلق المادة الثانية من الدستور التى تنص على أن الاسلام دين الدولة ، واللغة العربية هى اللغة الرسمية للبلاد ، والشريعة الاسلامية المصدر الرئيسى للتشريع ، يسقط على الفور إدعاء اتهام الاخوان بالحض على كراهية الاساس الذى يقوم عليه النظام العام. هذا فضلا عن أن الاخوان المسلمين يقدرون أن تكون للدولة مؤسساتها فأن يكون هناك فصل واضح بين السلطات، وأن النظام السياسى القائم على التعددية يقى الشعوب من أخطار الدكتاتورية والاستبداد. وصحيح أن هناك موادا فى الدستور تحتاج الى تعديل وأن هناك قوانين يجب أن تتواءم مع الدستور ، لكن الاخوان يوقنون أن هذه التعديلات يجب أن تكون بالوسائل السلمية ومن خلال المؤسسات الدستورية وعبر صناديق الانتخاب..»

وأوضح البيان أن الاخوان يرون أن «الاصلاح السياسى هو المدخل الحقيقى والأساسى لكل أنواع الاصلاح الأخرى.. ويتلخص هذا الاصلاح فى ضرورة إجراء انتخابات تشريعية تكفل لها كل ضمانات الحيدة والنزاهة وتشرف عليها السلطة القضائية اشرافا كاملا بدءا بإعداد كشوف جديدة للناخبين ومرورا بتوقيع كل ناخب قرين إسمه فى كشوف الادلاء بالاصوات ، وانتهاء بفرز الاصوات وإعلان نتائج الفائزين.. ويشارك الاخوان المسلمون كل الاحزاب والقوى السياسية فى البلاد ضرورة إيقاف العمل بقانون الطوارئ والغاء كل القوانين الاستثنائية المقيدة للحريات والموسومة بأنها سيئة السمعة..».

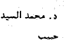
وحرص الاخوان فى بيانهم على تأكيد موقفهم من قضيتين مبدئيتين تعرضوا بسببهما لكثيرمن التقدو الهجوم.

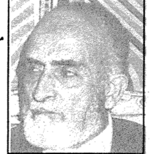
* فسجلوا أن «الاخوان المسلمين ينتمون الى أهل السنة والجماعة ويعتبرون أنفسهم جماعة من المسلمين» وليس جماعة المسلمين كما كان يقال فى الماضى.

* وأعلنوا أن الاخوان يرون أن «المواطنة أو الجنسية التى تمنحها الدولة لرعاياها حلت محل مفهوم الذمة. وأن هذه المواطنة أساسها المشاركة الكاملة والمساواة التامة فى الحقوق والواجبات ، مع بقاء مسألة الاحوال الشخصية من زواج وطلاق ومواريث طبقا لعقيدة كل مواطن.. وبمقتضى هذه المواطنة وحتى لايحرم المجتمع من قدرات وكفاءات أفراده ، يرى الاخوان أن للنصارى الحق فى أن يتولوا- بإستثناء منصب رئيس الدولة- كل المناصب الاخرى- من مستشارين ومديرين ووزراء..»

لفت النظر أن البيان حمل توقيع الدكتور محمد السيد حبيب عضو مجلس الشعب السابق عن الاخوان المسلمين وليس توقيع المرشد العام او المتحدث الرسمى للجماعة وهو الامر الذى رجح التفسير القائل بإن هذا البيان يأتى فى إطار محاولة الجماعة تخفيف التوتر مع الحكم والعمل فى إطار الشرعية القائمة حاليا.

اهتمت الدوائر السياسية والحزبية بهذا البيان ودلالاته ومدى تطابقه مع الممارسات الفعلية للإخوان المسلمين . كما اهتمت بتصريح «مصطفى مشهور» نائب المرشد العام للاخوان المسلمين والذى أعلن فيه الاخوان المشاركة فى انتخابات مجلس الشعب القادمة سواء، أجريت بالنظام الفردى أو بنظام القوائم ، وأنهم سيخوضونها على قائمة حزب العمل «فمصلحة الطرفين تستوجب هذا الاتفاق نافيا بذلك ماتردد عن انهيار التحالف مع حزب العمل، والإشاعات الخاصة باتفاقهم مع الوفد فى تحالف جديد.


د. محمد السيد حبيب


مصطفى مشور



ربيع التعاون المصرى الإسرائيلى

محمود الحضرى

تشير كل الدلائل الى أن الفترة المقبلة ستشهد أعنف عمليات المنافسة للتعامل فى كافة المجالات مع اسرائيل، ويخوض معارك التنافس كل الشركات والمؤسسات العامة والخاصة والحكومية. وتؤكد المعلومات أنه لايكاد يمر أسبوع، إلا ويصل وفد إسرائيلى يجوب البلاد بحثا عن مجال تعاون صناعى أو اقتصادى أو تجارى أو سياحى. وفى المقابل لايمر أسبوع إلا ويغادر البلاد وفد لإسرائيل لذات الغرض.

وشهدت الأيام الأخيرة وستشهد الايام القادمة حركة غير عادية لسفر وزراء وكبار مسئولين واقتصاديين الى تل أبيب من أجل ترتيبات لصفقات ومشروعات فى إطار منافسة إقليمية وعربية وشرق أوسطية.

وزراء فى اسرائيل

خلال المباحثات التى أجراها **شيمون بيريز** وزير خارجية إسرائيل مع الرئيس مبارك و**عمرو موسى** وزير الخارجية بالاسكندرية فى منتصف الشهر الماضى، ومن قبل وخلال مباحثات **إسحاق رابين والرئيس مبارك فى** طابا، كان موضوع توطيد العلاقات وزيادة تبادل سفر الوزراء من مصر الى إسرائيل بنفس القدر الذى تقوم به الحكومة الاسرائيلية. وطلب الوفد الاسرائيلى قيام الحكومة المصرية بدعم النشاط السياحى وإرسال مزيد من الأفواج السياحية الى إسرائيل. وتشغيل رحلات من مطار القاهرة مباشرة الى مطار تل أبيب بدلا من قصرها على الاسكندرية.

وانتهت المباحثات إلى اتفاق على قيام عدد من الوزراء بزيارة اسرائيل لبحث العلاقات الثنائية بشكل أساسى، وجاء من هؤلاء الوزراء، عمرو موسى وزير الخارجية ومحمود محمد محمود وزير الاقتصاد، د. ممدوح البلتاجى وزير السياحه ود. حمدى البنبى وزير البترول ويوسف بطرس غالى وزير التعاون الدولى علاوة على د. يوسف والى وزير الزراعة.

وتم الاتفاق أيضا على اعادة إحياء اللجنة التجارية المشتركة للبت فى ٦ مجالات للتعاون المشترك شبه متوقفة تماما منذ بدء العلاقات الثنائية، خاصة مجالات منع الازدواج الضريبى، ووضع ميزة نسبية فى الرسوم الجمركية المفروضة على السلع المتبادلة بين الطرفين وإقامة لجنة مشتركة للتعاون بين رجال الاعمال وهيئات الاستثمار والأعمال، والتطبيع العلمى الشامل.

أسرع وزارة

كانت وزارة البترول الأكثر حركة للاتجاه وبقوة للتعامل مع اسرائيل فعلى مدى الشهرين سافر الى تل أبيب ٣ وفود أحدها وزارى رأسه د.حمدى البنبى. وتم خلال هذه الزيارات الاتفاق على تشكيل لجنة لصياغة جديدة للتعاون بين مصر واسرائيل فى مجال البترول والبتروكيماويات. بحيث تسمح صيغة التعاون الجديدة بزيادة كميات البترول المصدرة لاسرائيل، والاتفاق مع شركات خاصة مباشرة لتقوم بإقامة مشروعات بترولية او فى صناعات متعلقة بها. كما تم الاتفاق على البدء خلال الفترة القادمة فى حوار واسع لإنشاء مصفاة بترول بمنطقة غرب الاسكندرية. واتضح أن شركة «ميرهاف» الاسرائيلية والعاملة فى مجال البترول والمملوكه لرجل أعمال إسرائيلى يدعى «يوسى مائيمل» أوفدت تلك الشركة وفدا للقاهرة منذ شهر، أنهى خلاله الدراسات الأولية لمشروع مصفاة غرب الاسكندرية

د. حمدى البنبى



د. فينيس كامل جودة



د. يوسف والى

والتي سيصل حجم استثماراتها مليار دولار وستقوم الشركة الاسرائيلية بتوفير ٥٠٪ من رأسمال المشروع، وسيوفر القطاع الخاص فى مصر والدول العربية الجزء المتبقى. وستتولى المصفاة تكرير البترول بواقع ٥ ملايين طن سنويا يتم تسويقها داخل مصر وبالمنطقة ومنها إسرائيل، على أن يبدأ قبل نهاية عام ١٩٩٥.

ويضاف إلى ذلك التوصل لاتفاق مبدئى يتم على أساسه قيام شركات مصرية بتصدير البترول ومنتجاته إلى اسرائيل، وذلك من الدول التى لاتربطها علاقات تجارية ودبلوماسية باسرائيل ، خاصة دول الخليج ومنها السعودية.

أما بالنسبة لخط نقل الغاز، مازال الأمر محل دراسة بعد طلب الحكومة من إسرائيل مزيدا من الدراسة خاصة جوانبها الاقتصادية والأمنية ومصادر التمويل.

البحث العلمى

ويأتى البحث العلمى فى مرحلة متقدمة للتعاون أو البحث عن مجالات تعاون مع اسرائيل ومع أوائل عام ١٩٩٤ وقعت د. فينيس كامل جوده وزيرة البحث العلمى مع شالوميت ألونى وزيرة البحث العلمى الاسرائيلى بروتوكول تعاون فى مجال تبادل المعلومات والخبراء، وترجمة الأعمال والبحوث المتعلقة بالعلوم والتكنولوجيات فى كافة المجالات.

(وشكل الطرفان لجنة تعاون دائمة لترتيب مجالات التعاون حسب أولويات واحتياجات كل طرف. وعقدت تلك اللجنة أكثر من ١٠ اجتماعات منذ تشكيلها فى فبراير الماضى.

وفى شهر يونيو الماضى سافر د. على حبيش رئيس أكاديمية البحث العلمى الى اسرائيل أجرى خلالها التوقيع على مذكرة تفاهم للتعاون العلمى بين الاكاديمية والمؤسسات المناظرة.

وفى شهر يوليو الماضى وحتى اوائل أغسطس قام د. محمد اسماعيل رئيس المركز القومى للبحوث وعدد من باحثى المركز بزيارة الى تل أبيب تم خلالها ولأول مرة وضع برنامج للتعاون العلمى بين المركز المصرى ومركز فايتسمان العلمى الاسرائيلى وستظهر بوادر هذا التعاون قريبا فى شكل مشروع للبحث «الجيولوجى» بالصحراء الشرقية والنقب.

رالى الفراعنة

ووفقا للتعليمات والطلبات الملحه من جانب اسرائيل، تم التوصل بين مصر وتركيا وقبرص وإسرائيل الاتفاق بانشاء النظم الدولية لسياحة شرق البحر المتوسط (EMTA). وتعتبر تلك المنظمة خطوة لتعاون اوسع وأشمل مع إسرائيل فى مجال السياحه.

كانت ثمرة اتفاقية المنظمة تنظيم ٦ رحلات سياحية من مصر الى اسرائيل تضم كل رحلة ٨ أفواج من السياح.

(أما الثمرة الأهم فسوف يشهدها شهر اكتوبر القادم بعد مسابقة رالى الفراعنة الى سيناء، فصحراء النقب حتى ميناء إيلات وذلك فى الفترة من ٢ الى ١٢ أكتوبر. وهى خطوة أولى- حسبما يقول المسئولون عن السباق- تنظيم رالى خاص باسم رالى السلام تشمل مصر وسوريا والاردن ولبنان وإسرائيل. وسيشهد العام القادم رالى رباعى يشمل مصر والاردن وفلسين واسرائيل.

اللجنة التجارية

وبعد توقف دام أكثر من ١٠ سنوات بدأت تظهر فى الأفق من جديد عودة اللجنة التجارية المشتركة برئاسة وزير اقتصاد مصر وإسرائيل، فى إطار خطة تعاون جديدة تماما.

وكان شهر أغسطس الماضى أكثر شهور العام ١٩٩٤ نشاطا لوزارة الاقتصاد والهيئات التجارية فقد سافر الى اسرائيل ٣وفود: الاول برئاسة د. أحمد الدرش وكيل أول وزارة التعاون الدولى وضم عددا من أساتذة الاقتصاد ورؤساء البنوك ورجال الأعمال. وجرت خلال تلك الزيارة اتصالات واسعة

سباق محموم للسفر الى تل أبيب محلى وإقليمى لتوقيع اتفاقيات

البترول والسياحة والتجارة والبحث العلمى احتلوا المراكز الأولى

اتفاق بين المركز القومى للبحوث ومركز فايتسمان الاسرائيلى

رالى الفراعنة يخترق سيناء الى ميناء إيلات لأول مرة

واستقبلهم رئيس الوزراء إسحاق رابين ورئيس اسرائيل. وتم خلال الزيارة ترشيح أسماء أعضاء اللجان التجارية المصرفية للتعاون المشترك ووضع جدول لاعمال اللجنة الوزارية المشتركة.

وقام وفدان آخران من شركات التجارة والتصدير بزيارة لاسرائيل تم خلالها التوقيع على ٣ أتفاقيات لتصدير سلع مصرية الى اسرائيل، وسلع من اسرائيل لمصر على أن تخصص ٣٠٪ منها الى مناطق الحكم الذاتى.

وتأتى تلك الاجتماعات والوفود كخطوة لاجتماع مرتقب بين وزيرى اقتصاد مصر وإسرائيل بتل أبيب . لوضع اتفاق جديد يقضى يتبادل ٤٢ سلعه بين الطرفين، وإنشاء جمعية لرجال الأعمال المصريين والاسرائيليين. وشعبة للتجارة بالغرفة التجارية ، والتوقيع على بروتوكول تجارى لعام ١٩٩٥ والتوصل لحل بشأن عدة اتفاقيات مجمدة

وفى إحصاء لوزارة الاقتصاد عن سفر القطاع الخاص الى اسرائيل تم حصر ٩ وفود خلال الفترة من مايو حتى يوليو ١٩٩٤.

مؤتمر السكان

تبقى مشكلة واحدة مازالت معلقة أو قد يكون تم حسمها عند نشر هذا الموضوع، وهى تتعلق بمشاركة إسرائيل فى مؤتمر السكان. فقد رفض الجانب المصرى مشاركة إسرائيل و الاكتفاء بوفد مراقب. وبررت الحكومة هذا الرفض بما ستثيره مشاركة اسرائيل من اعتراضات الدول العربية والاسلاميه. وتصاعد الموقف عندما اشتكت اسرائيل للأمم المتحدة المنظمة للمؤتمر وهددت بمقاطعته وتصعيد الأمر لمستويات دوليه. ولكن يبدو أن إسرائيل ستشارك بصفة خاصة، بعد أن تم السماح لها بالمشاركة بوفود فى الجمعيات غير الحكوميه.

الأغرب من كل ذلك أن «فجور» إسرائيل وصل الى أن طلب ديفيد سلطان سفيرها بالقاهرة الى طلب بإرسال وفد أمنى لحراسة المشاركين فى المؤتمر . إلا أن وزارة الخارجية رفضت ذلك بشدة.

وفى النهاية يبقى أن نؤكد أن الأفراط فى التعاون مع إسرائيل يحتاج لوقفة وضوابط حتى تتضح الصورة السلميه كاملة. ، خاصة وأن أول رد فعل إسرائيلى على قضية مؤتمر السكان كان شكوى للدكتور بطرس غالى وطلبا سخيفا بإرسال وفد أمنى يرأسه جنرال بدعوى الحماية لشخصيات عامة اسرائيلية .

فهل هذا معقول؟.

قضية عزل أستاذ جامعي مريض بسبب التدخين في رمضان تبشر بخريف ساخن

المؤسسة الرسمية وسياسة ملء الفراغ بعد ضرب الاخوان والجماعات

مصباح قطب

بقدر ما تحرص كل فئات الوطنية المصرية على توقير الدور الروحي للأزهر (وللكنيسة)، بقدر مايبدى الكثيرون المخاوف من مخاطر تسييس المؤسسات الدينية الرسمية أو الأهلية، الاسلامية أو القبطية. ومنذ نحو عامين و الشواهد تتجمع لتشير إلى تنامى الدور السياسى للمؤسسة الرسمية الدينية (الأزهر والأوقاف)، كأثر فيما يبدو لشعور المؤسستين، بعمق حاجة الدولة إليهما، فى محنة مواجهة الارهاب والتغلغل الاخوانجى (بغض النظر عن فعالية دوريهما فى الواقع). ولدى طاقم القيادات فى المؤسستين ظهرت اتجاهات تعبر عن التطلع لدور «الشريك الكامل». كما تبلور تيار داخلهما يعكس شعور مجموع فيهما، وإن بطريقة غامضة، بان أصبح له الحق، كشريحة من الطبقة الحاكمة، وكنواة تسند زير المشروعية، فى أن يكون مشاركا لدى كل «تقسيمة»، وعلى كل الساحات، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.. والاعلامية (راجع اعمال مؤتمر الدعاة).

عجل بهذا التطور، ضمن عوامل أخرى، تراجع عوائد رجال العلم الدينى من العمل، والعلاقات .لدى الدول النفطية ومعها وسرعة انحسار المد الارهابى والاخوانجى، وهو المد الذى كان يستند إلى تدعيمات (فردية أو غير فردية) من المؤسسة الرسمية، خفية وعلانية. الآن ماالذى يجبر الرسميين على دور التابع او المدعم؟ ولم لايكون العكس؟.

واذا كانت قضية د. نصر حامد أبو زيد قد اعتبرت بمثابة نقطة تحول فى الصراع بين الدولة من جهة- حيث رفض قضاؤها المدنى دعوى التفريق - وبين المؤسسة غير الرسمية (الارهخوانية) فان قضية د. محمود أمين خيال استاذ علم الادوية بكلية طب الأزهر بنين، والذى عزله مجلس تأديب الجامعة، لأنه كان يدخن السجائر فى رمضان، ستكون هى الأخرى نقطة ذروة فى التعبير عن مدى الاندماج أو التمايز او التميع أو الصراع فى علاقة الحكم والمؤسسة الرسمية الدينية. وحتى هذه اللحظة لاأحد يعرف إلى أى طريق بالضبط، ستتجه الجماعة الحاكمة، خاصة وان علامات كثيرة تفصح عن تعمق الاختيار المحافظ فيها- وأن بصورة شبه حداثية- ويوما، بعد آخر، كما أن مصالحه بين فئات الطفيلية التقليدية، التى ولدها السادات، وولدت بدورها السلفية والارهاب وبين شرائح الطبقة المتوسطة، التى حاولت التمايز فى عهد مبارك، فيما وقع بينهما من خصام محدود. باتت مؤكدة، بل ولعلها وقعت فى نفس اللحظة التى تم فيها اختيار صلاح حسب الله واسماعيل عثمان (من العثمانلية) لمنصبى وزارة الاسكان ورئاسة «المقاولون العرب».

أيضا تأمل اندماج «العملاقين»: كتب التنوير مع كتب القرا ءة للجميع لتدرك السقف الثقافى للشرائح المباركية)

القضية والقضاة

وتخلص الوقائع، فى أن ادارة الامن بجامعة الأزهر، كتبت مذكرة (الى من لسنا نعرف) تؤكد فيها أن شكاوى وصلت، إلى رئيس الجامعة، ضد د. خيال، تتهمه بتدخين السجائر فى رمضان، جهرا، والتهكم والاستهزاء بالدين وعلمائه الأزهريين. وجاء بالمذكرة أن رئيس الجامعة يعتزم إحالة المذكور إلى التحقيق (وكأن الامن يتجسس على رئيس الجامعة)، كما جاء فيها أن عددا من اعضاء هيئة التدريس بالقسم ابدوا استعدادهم للادلاء بشهادتهم حول قيام المذكور بالافعال المنوه اليها (؟) وقد أشر شيخ الأزهر على المذكرة بـ «نظر ولفضيلة أ. د/ رئيس جامعة الازهر» (لماذا وكيف رفعت المذكرة الامنية إلى شيخ الازهر؟) بعد ذلك احال رئيس الجامعة المذكرة إلى مستشاره القانونى للتحقيق. ونحن نعلم الآن من حكم للمحكمة الادارية العليا (جلسة ١٩٩٤/٤/٢) أنه لايجوز ان يتولى التحقيق مع عضو هيئة التدريس بالجامعة المستشار القانونى لرئيس الجامعة، لانه طرف غير محايد، ويترتب على ذلك بطلان المحاكمة امام مجلس التأديب وبطلان القرار الصادر عنه.

القصد. فإن مجلس التأديب، تولى التحقيق بعد ذلك، وكان من المقرران يصدر الحكم فى ٥/ ١٠ / ١٩٩٣، لكن تأجل ذلك، واعيد فتح باب المرافعة لتغيير تشكيل المجلس، حيث حل المستشار محمد عبد الرحمن سلامة نائب رئيس مجلس الدولة بدلا من المستشار عادل محمود زكى فرغلى (لانعلم السبب) وظل العضوان الباقيان كما هما د. قاسم عبد الحميد الوتيدى عميد شريعة اسيوط، وأحد موظفى الشئون القانونية بالجامعة واكتفى د. خيال بتقديم تقرير طبى من مستشفى العقاد يفيد بانه مريض (وضمنا ممن يرخص لهم بالافطار شرعا). إلى جانب انه نفى ومع الشهود، حكاية الازدراء بالدين والعلماء، كما أكد أنه يفطر فى رمضان لاسباب مرضية، ولأنه كان يستأذن زملاءه (فى حجرته) فى التدخين لانه يعتبرهم كأفراد أسرته. وفى ديباجة الحكم تصادفنا عبارات من نوع أن المحال كان يدخن فى رمضان طوال السنوات السابقة(؟) وعبارة أخرى خطيرة تقول» وحيث لم يقدم المحال التبرير الكافى والعذر المقبول للافطار فى

رمضان فضلا عن استهزائه بالدين وعلمائه وسخريته من اسلوب تعاملهم وأن كان الشهود قد نفوا ذلك» . انها عبارة تقول بصراحة أن ثمة مرجعية (كالتسجيلات مثلا) أخرى غير أقوال الشهود كانت حاضرة، مادام مجلس التأديب يصر على الاستهزاء بالدين كاتهام. كما تدل أن المجلس وفقما يقول المحامى أمين أبو السعود، قد نصب من نفسه محكمة تفتيش وقومسيون طب (حيث رفض التقرير الطبى كمبرر دون مبرر)

المهم أنه باسم الشعب صدر الحكم فى ٩٤/٣/٣٠ بمجازاة د. خيال بالعزل من الوظيفة، وبعد أن وصفه بانه خائن لله ، وانه هدم ركنا من اركان الاسلام، وأزرى بشرفه وشرف الاسلام. وبعدان امتلأت الديباجة بعبارات انشائية مهيبة من نوع وصف جامعة الأزهر بانها «الحارسة الامينة على الاسلام وتعاليمه». وهو الوصف الذى قال عنه امين ابو السعود انه وصف قد يصح فى مجال الخطابة والإشادة إلا أنه لايصح فى مجال إصدار الأحكام لأن الله وحده هو الحارس لدينه وليس لأى فرد أو مؤسسة مهما علا قدرها أن تزعم أنها حارسة الدين.

من مثل هذه الاوصاف أيضا، القول بان المحال، ازرى بشرفه، وبشرف الاسلام، وهنا أيضا يقول امين ابو السعود ان اعضاء هيئة التدريس بشر مهما علا شأنهم، لكن شرف الاسلام شئ آخر.. أن الحكم فى ظاهره دفاع عن الدين وفى حقيقته اساءة إلى الاسلام وعلماء المسلمين.

بل أن المحامى والمفكر المعروف خليل عبد الكريم، يلتقط فى مذكرة اعدها عن الاسانيد الشرعية لبيان مخالفة الحكم ضد د. خيال لاحكام الشريعة الاسلامية الغراء، (سنعرض للمذكرة فيما بعد) يلتقط أن الشهود لم يشهدوا فى الحكم بان د. خيال كان يدخن امام طلابه ،لكن الحكم تبرع واضافها من عنده.

وعلى الصعيد الفنى أيضا، تمتلئ الدعوى بالغرائب.

فالموضوع لم يعرض على مجلس الكلية، ولم يتقدم العميد إلى رئيس الجامعة، بان ثمة اخلال بواجبات او مقتضيات الوظيفة ، قد وضع من د. خيال (لانه يعلم أن أفطارة له مايبرره) مع أنه القناة الشرعية بين رئيس الجامعة واعضاء هيئة التدريس كما يحدد القانون.

لم تظهر الدعوى اية آثار للشكاوى التى قيل انها وردت إلى رئيس الجامعة، ولم يواجه بها المحكوم عليه

قيام إدارة الآمن، وهى المكونة من ضباط وجنود ومخبرين ، وتتبع وزارة الداخلية، ووظيفتها حفظ الأمن والنظام بالجامعة، ورفع التقارير إلى الجهات المعنية بالداخلية.. قيامها بما قامت به، مبادرة (أو موعزا اليها فيما يظهر) ويبدو أن ذلك مقصود لتسخيف الدور الذى قام به الامن المصرى فى مواجهة قوى التطرف والارهاب، ولجعله غير ذى مضمون.

واذا كان هناك الكثير مما يقوله القانونيون على صعيد بناء الحكم على مخالفة القانون والخطأ فى تطبيقه وتأويله والتعسف والغلو فى الجزاء (إذا سلمنا جدلا أن د. خيال ارتكب خطأ اداريا) وخروج الحكم عن اداب اصدار الحكم (بوصف د. خيال بانه خائن لله ولنفسه مثلا). وأيضا مخالفة أحكام الفقه فى باب العذر الشرعى المبيح للأفطار لدى كل المذاهب، وفى نفى المجاهرة عن الطاعن، ونفى أنه هدم ركنا من أركان الإسلام الخ. فان ثمة قول آخر.

الخريف الساخن

إزاء النظر إلى هذه القضية، ومايحيط بها، فان من الواجب مدنيا وشرعيا، ان يتساءل الانسان: هل تقف اطراف اخوانية وراء مثل دعوى كتلك (وللإخوان امتداد هناك) فى معركة لاقتسام بعض الابناط على غرار معركة الحجاب المدرسى أم هل تريد المؤسسة الرسمية اختبار قوتها فى مواجهة الدولة والمجتمع المدنى، بمثل هذه الدعوى؟

وهل تجيز جامعة الأزهر لنفسها بعدان حاسبت مسلما على افطاره فى رمضان ان تحاسب كل عضو فى هيئة التدريس على ترك الصلاة او الزكاة او أى ركن من اركان الدين، فضلا عن أن تحاسب الطلبة والموظفين.. ورجال الامن بالجامعة.. ثم المجتمع كله فيما بعد؟ ولماذا لاتأخذ الجامعة بالمرة بفتاوى من يقولون أن التدخين حرام من اصله، وتطبقها فى رمضان وفى غير رمضان، ثم تأخذ بعد ذلك ما يتبع من فتاواهم؟ وهل يكفى فى دعوى كتلك أن يلغى القضاء المصرى، وله من المواقف المشرفة ماهو معروف، الحكم المطعون عليه؟. ماذا عن الاستاذ ... المعزول.. وعن انتمائه لعمله وجامعته والاطار- الغريب- الذى يحكم مجريات امورنا؟. والى متى تستمر مجالس التأديب ، فى الازهر على نحو خاص، فى وضع نفسها مواضع لايرضاها لها أحد (من قضية د. حامد أبو حمد إلى قضية

د. خيال) ويكفى أن اذكر هنا أن عضوا بمجلس تأديب ازهرى كان قد استنكر ان يقول محام موكل عن محال، ان ابن حزم له كتاب اسمه طوق الحمامة(؟) وان بالكتاب اوصافا ادبية حرة للعلاقات العاطفية(؟) واعتبر ذلك افتئاتا على الاسلام وعلى الحقيقة.

ثم ماذا بعد دمغ المحكوم عليه بانه خائن لله، سوى التصفية الجسدية؟.

ان حالة د. خيال، كأول حالة عزل لموظف عام، لسبب كهذا، قد تقيم الدنيا ولاتقعدها، عندما يلتفت اليها الرأى العام المحلى والدولى، ومعه منظمات الحريات وحقوق الانسان والجماعات الثقافية، والروحية الاجتهادية لدى معاودة المحكمة الادارية العليا نظرالقضية فى ١٩٩٤/١٠/٢٦ بعد أن كانت قد نظرتها فى جلسة. أولى فى ١٩٩٤/٧/١٣لكن السؤال الذى يجب أن نحفر فى الصخر لخلق اجابة له تليق بعصرنا هو التالى. متى تستعيد جامعة الأزهر، دور المعلم الروحى، المتسامى والمتسامح، الذى لعبته طوال تاريخها ، حيث كانت مفتوحة للجميع... ومتى تقلع عن طابعها العنصرى الحالى (غير مسموح لاصحاب الديانات الاخرى بدخولها او التدريس فيها) على الرغم من أن مصلحة الدعوى نفسها توجب ذلك ودليلنا مافعلته الجامعة اليهودية فى يتيشف بالولايا ت المتحدة كمثال ، والتى نشأت فى قلب ظاهرة التفرقة العنصرية ، حيث عدلت لائحتها لتسمح لغير اليهود بدخولها، احتراما لدستور البلاد من ناحية، وحرصا على كسب مواقع روحية وثقافية من ناحية أخرى. ويبقى ان من يعرفون د. خيال يقولون أنه من النوع الذى يتزوج عمله ولم يقم طوال تاريخه بفتح عيادة خاصة، أو منح دروس خصوصية ، ولم - ولن- يسع للتعاقد مع شركة أدوية عالمية او مركز ابحاث، وهو صاحب الصيت فى الدوائر الالمانية والانجليزية والامريكية، المعنية، حيث درس وبحث هناك وفى الجمعيات المختصة فى تلك البلدان أيضا، اضافة إلى أنه سكرتير الجمعية المصرية للأدوية وعضو مؤسس وعضو مجلس ادارة فى الجمعية المصرية للعلوم الطبية الاساسية وغيرها من الجمعيات المصرية. وله ابحاث هامة فى امراض ضغط الدم والأوعية.

ان المرء ليتقبل اقدام مسئولى جامعة الازهر، لينهوا تلك القضية. لان البلد ليست ناقصة مثل هذا التوهان. ولأن القضية فى النهاية لن تكون الا جملة عابرة فى كلام عابر.

الحركة النسائية المصرية بين الواقع والطموح

فريدة النقاش

لاترضى الغالبية العظمى من النساء الواعيات والعاملات فى حقل الحركة النسائية المصرية عن واقع هذه الحركة. كما يتساءل الرجال المستنيرون الذين يدركون أن نهوض المجتمع المصرى لن يتحقق دون نهوض المرأة، يتساءلون **أين حركة النساء الناهضة المنظمة؟**.. أى انهم بدورهم غير راضين عن هذا الواقع.. بينما يدرك الجميع أن الطابع المتناقض للحركة السياسية الوطنية التقدمية كلها يلقى بظلاله على حركة النساء.

لقد نشأت فى العقدين الماضيين فجوة كبيرة تزداد اتساعا بسرعة بين هذا الواقع- أى واقع الحركة النسائية- وبين طموحات النساء للتحرر من كل اشكال التسلط والاستغلال والهيمنة الابوية والطبقية، أى من أجل التقدم المضطرد، والمشاركة على قدم المساواة مع الرجال فى صياغة القرار السياسى واتخاذه ومباشرة تنفيذه، باعتبار ان السياسة هى التعبير الاشمل عن «وضع اقتصادى- اجتماعى» تقوده طبقة أو مجموعة طبقات متحالفة من أجل مصالحها.

ولكى يتحقق التحرر الشامل للنساء لابد أن يتحرر المجتمع كله لتكون المشاركة السياسية للمرأة تعبيرا عن قاعدة واسعة هى جماهير النساء، وليست قاعدة نخبوية فقط تضم المتعلمات والمحظوظات بحكم الثروة او القرب من السلطة. فهذه القاعدة الاخيرة تعطى للمجتمع نساء لامعات وزيرات واستاذات فى الجامعة وصحفيات مرموقات كاتبات وطبيبات ومحاميات، بينما ترزح الغالبية الساحقة من النساء تحت عبء الفقر والجهل والمرض، عرضة لتزييف الوعى والقهر المركب ماديا ومعنويا، ومنفيات عن كل مشاركة اللهم الا المشاركة فى الاسرة.

وبديهى أن مثل هذا التعريف للتحرر والمشاركة هو نفسه ليس موضوعا للاتفاق بين كل القوى العاملة فى حقل الحركة النسائية ولاحتى بين النساء انفسهن.

بل إن هناك قوى تنشط نشاطا واسعا فى ميدان العمل النسائى هى **قوى الاسلام السياسى** التى تنهض على قاعدة واسعة من نساء البورجوازية الصغيرة، وهى قوى واسعة الانتشار ديناميكية تقدم مفهوما مختلفا كلية عن التحرر والتقدم، بل انها ترفض مفهومى التحرر والتقدم وتضع فى مكانهما صيغة غامضة عن المجتمع الاسلامى.

وتقدم قوى الاسلام السياسى بمختلف منطلقاتها وتوجهاتها منظومة متكاملة من الافكار والقيم من منظور تقول أنه دينى، **وتضع المرأة بيولوجيا وروحيا فى مرتبة ادنى، وتنقض من الجذور فكرة المساواة الانسانية، وتنفى بالتالى ما كان قد استقر فى الوجدان العام من ان العمل حق وواجب على المرأة، مثلما هو حق للرجل وواجب عليه،** وترى هذه الجماعات ان الميدان الحيوى الوحيد الجدير بأن تكرس له المرأة حياتها وجهدها هو ميدان تربية الاطفال. وقد سئل الشيخ **محمد متولى الشعراوى** وهو الداعية الدينى الاكثر انتشارا عن رأيه فى عمل المرأة فرد ردا قاطعا:

- ان عمل المرأة اهانة للرجل وانتقاص من كرامته

ثم اضاف فى حديث آخر... حين لاحظ رد فعل النساء العاملات الغاضب:

- أن المرأة يمكن أن تعمل اذا لم يكن ابوها أو زوجها قادرين على اعالتها والانفاق عليها اقتصاديا.

بل وترى بعض تيارات الاسلام السياسى وشيوخه ودعاته ان تعليم المرأة لا بد أن يجرى حصره فى ميادين محددة تؤهلها فقط لاقامة الاسرة.

ويقترن هذا النشاط الواسع للجماعات الدينية السياسية بفيض «الحجاب» والنقاب احيانا على النساء، بل ويظهر نجاح نشاطهم ودعوتهم فى اتجاه بعض النساء- من تلقاء انفسهن- لارتداء الحجاب. **وتختار نساء متزايدات أن يختفين تحت الحجاب اختيارا طوعيا بعد أن كن سافرات وقد استقر فى أذهانهن أنهن عورة،** وهى حالة من القهر الطوعى للذات، والخضوع المجانى لصورة قديمة عن النفس كانت قد اخذت تتراجع فى أوساط النساء فى سنوات التنمية المستقلة والتحرر الوطنى فى الخمسينات والستينات وبداية السبعينات، ففى هذه السنوات كانت ثورة يوليو ١٩٥٢ قد قننت حق العمل والتعليم المجانى والمشاركة السياسية للمرأة، ولكنها لم تصل الى تتويج تحريرى جذرى لكل هذه الحقوق باجراء تعديل اساسى ينفى قوانين الاسرة من المواد التى تنتهك آدمية المرأة وتضعها فى مرتبة دنيا داخل مؤسسة الزواج.

وهناك ايضا الحركة النسوية FEMI-NIST التى تنطلق من رؤية للصراع الذى تخوضه المرأة لتحرير نفسها باعتباره صراعا ابديا خالدا بين الذكر والانثى، وهى بالتالى ترى أن شرط حرية المرأة هو تخلصها من هيمنة الرجل بداية، وتنفى موضوعيا امكانية التعاون بين جماهير النساء، والرجال من أجل التحرر الشامل للمجتمع.

ولايخفى علينا ان كلا هذين التيارين، أى **الاسلام السياسى والنسوية،** وبالرغم من النشاط الواسع للأول والنشاط المحدود للثانى، قد عجزا معا عن احداث تغيير للافضل فى وضعية المرأة، بل على العكس فان حقوق المرأة المكتسبة اصبحت مهددة، بل وجرى التراجع عنها واقعيا، وبالطبع فلا يمكننا أن نحاسب تيارات الاسلام السياسى لأن وضعية المرأة فى المجتمع تتراجع فهو يرى أن هذا هو الوضع النموذجى والمطلوب لكى ينصلح حال المجتمع الذى فسد وانهارت اخلاقه لأن المرأة خرجت الى العمل وشاركت فى الحياة العامة.

وفى تحليل واقع الحركة النسائية الحالى لابد أن ننطلق من رؤية اشمل تنظر لواقع المتغيرات الاقتصادية الاجتماعية السياسية

التى شهدتها مصر منذ هزيمة يونية ١٩٦٧، والتى نستطيع ان نضعها تحت عنوان كبير هو **سياسة الانفتاح الاقتصادى، حيث تسيطر رأسمالية طفيلية تابعة للرأسمالية العالمية تستجيب دون ادنى تردد للشروط التى تفرضها عليها الاخيرة.**

وقد اسفر هذا الوضع عن انقسام حاد فى المجتمع المصرى بين **اقلية غنية مالكه وسفيهة، وأغلبية يدفع بها الافقار المتزايد الى التدهور المستمر** فى مستوى المعيشة والثقافة، وطبقة وسطى مهددة بالانحدار تكافح من أجل الحفاظ على تميزها عن الشعب.

ويدور صراع طبقى شرس تحاصره وتلجمه ترسانة من القوانين المقيدة للحريات، وتدفع به دفعا الى مصارف جانبية، وهناك تنمو الجماعات السياسية المتسترة بالدين وتنشأ أوكار الارهاب التى تتغذى وتنمو على الاحباط واليأس وهى فريسة لثقافتين سائدتين وهما وجهان للعملة: **الثقافة التجارية الاستهلاكية التى تجعل من المرأة سلعة، والثقافة السلفية المتسترة بالدين التى ترى فيها عورة.** وقد ورثت الحركة النسائية التحررية بمعناها الشامل -والتى تمثلها بضع منظمات طليعية صغيرة- ورثت كل العيوب الخلقية (بكسر الخاء) من مرحلة التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى، ففى هذه المرحلة جرى قمع الحركة المستقلة للجماهير المنظمة ونفى أى تعدد واعتبار الاجماع الوطنى حقيقة قائمة ومفروغا منها وليس هدفا نكافح من أجله.

وكان الحصاد المر لكل هذا هوولادة التعددية الحزبية الناقصة وتشوه المجتمع المدنى الذى كان ومازال مربوطا من عنقه بسياسة الدولة وأهدافها، فإن تغيرت هذه الاهداف من مرحلة لاخرى فاما أن تغير مؤسسات المجتمع المدنى جلدها او ان تصبح مهددة بالسحق القانونى والمادى.

خلاصة الامر ولدت التعددية السياسية فى زمن الانفتاح والتبعية، ولما كانت هذه التعددية قد جاءت تلبية لحاجات خارجية وهى متطلبات المؤسسات المالية الدولية والدول مانحة القروض والمعونات فانها عجزت بطبيعة الحال عن الاستجابة للاحتياجات الموضوعية لواقع اجتماعى اقتصادى يتشكل من جديد وفى زمن مختلف.

وقد أثر هذا التشوه تأثيرا مضاعفا على هدف بناء حركة نسائية جماهيرية تحررية، أو حتى حركة نسوية قوية رغم الفروق الكبيرة بين منطلقات واهداف كل منها وكان التأثير مضاعفا لان سياسات الافقار عادة ما تعزل جماهير النساء عن العمل العام.

وكان الرابح الاساسى هو التيار السياسى الذى يرفع الشعارات الدينية، لأنه وبالرغم من عنف الضربات التى تلقاها فى بعض المراحل كان **قد حول كل المساجد والزوايا الى مدارس كادر تبث ايديولوجيته خمس مرات يوميا.** وبسبب ارتباط بعض قادته التاريخيين ببلدان النفط الغنية فقد توفرت له **امكانيات مادية هائلة** نفذ بها عبر الفراغ الى ميدان الخدمات الاجتماعية التى تخلت عنها الدولة فى ظل الخصخصة وتراجع الدور الحكومى فى الخدمات لحد التلاشى.

وهكذا انشأ تيار الاسلام السياسى عشرات الجمعيات النسائية ، وهو يحظى بنصيب الاسد من السبعمائة جمعية نسائية المنتشرة على امتداد مصر، والتى تقوم الى جانب العمل الخيرى بنشر الايديولوجية التى ترى فى المرأة عورة، وتدعو لعودتها الى البيت، وتلقى على العاملات تبعة البطالة لانهن يعملن فيحرمن الرجال من العمل، بينما أن خروجهن للعمل يؤدى الى انهيار الاسرة وادمان الشباب للمخدرات والتحلل الاخلاقى كما تزعم هذه الجماعات فى ادبياتها الكثيرة التى تغرق الاسواق، **بل وتتدفق عبر وسائل الاتصال الجماهيرى الواسعة الحكومية فى الراديو والتليفزيون.**

أى أن وفرة التنظيمات أو الجمعيات النسائية العاملة بنشاط فى الميدان تؤدى عمليا الى المزيد من تراجع قضية تحرير المرأة، ولاتدفع بها كما هو متصور الى الامام ،لان **غالبية هذه التنظيمات تعمل فى الاطار المرسوم سلفا من قبل الرأسمالية الطفيلية التابعة وخاصة جناحها الدينى الذى يضع قيدا آخر مضافا للقيد الطبيعى ويعمل فى اشاعة روح العداء للمرأة فى المجتمع باسم الدين.**

ولعل اقرب المنظمات العاملة فى حقل الحركة النسائية ارتباطا بروح ومقاصد الميثاق العالمى لحقوق الانسان والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والاتفاقية الدولية لالغاء كل اشكال التمييز ضد المرأة ، ونصوص الدستور المصرى التى تنص على المساواة بين المواطنين وتقول أن العمل حق وواجب على كل المصريين القادرين عليه.. هى المنظمات التقدمية الصغيرة سواء تلك التى ترتبط بالاحزاب او تعمل مستقلة عنها مثل **اتحاد النساء التقدمى، ولجان المرأة فى الحزب الناصرى ولجنة النهوض بالمرأة العربية باتحاد المحامين العرب، مركز دراسات المرأة (معا) ، وبعض المجموعات الصغيرة التى تصدر مطبوعات مثل «بنت الأرض» ،«والمرأة الجديدة» ولجنة المرأة العاملة» بالاتحاد العام للعمال، وبعض اللجان الخاصة بالمرأة فى عدد محدود من النقابات المهنية.**

وباستثناء اتحاد النساء التقدمى ولجان المرأة فى الاحزاب التقدمية المشروعة أو المحجوبة عن الشرعية، فان طريق المنظمات الاخرى الى الجماهير النسائية ملغوم، وبينها جميعا سواء الاتحادات أو اللجان وبين الوصول الى تحقيق طموحاتها المعلنة فى برامجها ومن اهمها انشاء حركة نسائية جماهيرية واسعة منظمة وموحدة، عقبات كثيرة، فالطريق شاق وطويل.

هناك ترسانة القوانين المقيدة للحريات التى عزلت الاحزاب السياسية عن الجماهير وحبستها فى مقراتها وصحفها. ومن بين هذه القوانين يبرز قانون الجمعيات رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٤ باعتباره أخطرها جميعا لانه يحد بل

ليلى الشال
اتحاد النساء التقدمى




أمل محمود
أمينة المرأة بالناصرى



تهانى الجبالى
المحامين العرب

يمنع امكانية نشؤ جمعيات نسائية مستقلة ذات أهداف واضحة ضمنها اهداف سياسية فهو يمنع الاشتغال بالسياسة، وكما يقول الدكتور ابراهيم صبرى

«لقد اشتمل القانون على نصوص تشل حركة الجمعيات ومن بين اثنين وستين مادة هى مواد الباب الاول منه تبدأ اثنتان وعشرون مادة بعبارة:

«لايجوز» أو كلمة «يحظر».

وليس هذا فقط بل أن سبعا وثلاثين مادة تعقد اختصاصا اشرافيا على أعمال الجمعية للجهات الادارية المختصة بينما لم يتجاوز عدد المواد الخاصة بالجمعية العمومية والمفروض انها أعلى سلطة فى الجمعية احدى عشرة مادة ومعظمها -ان لم يكن كلها- يعقد اختصاصا اشرافيا للجهة الادارية على اعمال الجمعية العمومية..» ويضيف: «على أن أخطر ما فى القانون ٣٢ لسنة ١٩٦٤ انه لايهيئ فرصة الاستقرار لمجالس الادارة حيث نص على حتمية تجديد ثلث أعضاء المجلس كل سنة، وهكذا يغرق اعضاء الجمعية فى دوامة الانتخابات المتتالية كل عام وينصرفون عن رسالتهم الاهلية فيما هو اشبه بلعبة الكراس الموسيقية».. ثم يضيف أيضا: «أما الاشد خطورة من ذلك فهو حق «الجهة الادارية فى حل مجلس ادارة الجمعية».

وبمقتضى قانون الجمعيات هذا تم حل **جمعية تضامن المرأة العربية** التى ترأسها الدكتورة **نوال السعداوى** بقرار ادارى. وقامت جهة الحل وهى وزارة الشئون الاجتماعية ووزيرتها امرأة هى الدكتورة **آمال عثمان** «بتحويل اموال الجمعية لجمعية نساء الاسلام» وهو اجراء كشف فى حينه عن مدى التداخل والتشابه الايديولوجى والمصلحى بين السلطة القائمة وجماعات الاسلام السياسى.

ومن المعوقات الاخرى فى وجه نهوض حركة نسائية قوية ومنظمة اضافة للقوانين والمناخ الثقافى المشبع بتفسيرات دينية جامدة ورجعية والقيم الاستهلاكية التجارية الفجة نجد أن **الأوضاع الاقتصادية قد دفعت بملايين النساء الى الانهماك فى تدبير حياة الاسرة التى تنهك قواها وتستهلكها، وتدفعها بالتالى للعزوف عن كل عمل عام سياسيا كان أو ثقافيا، فما بالنا اذن لو كان العمل السياسى فى بلد محكوم لمدة ثلاثة عشر عاما متواصلة بحالة الطوارئ هو مخاطرة يعزف عنها الرجال.**

وهو الوضع الذى ادى ضمن اسباب اخرى الى وجود هش وهامشى للنساء فى الاحزاب عامة و التقدمية منها خاصة. ففى حزب اليسار الشرعى وهو **حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى** لاتبلغ نسبة النساء فى لجنته المركزية الا ١٢ عضوة من ٢٣٢ أى بنسبة ٥٫٢٪ كذلك لاتوجد فى الامانة العامة للحزب الناصرى سوى امرأة واحدة من ٤٤ عضوا وهو وجود هامشى ورمزى شأن وجود المرأة فى قمة السلطة السياسية.

لاينفى هذه الحقيقة أن عدد الوزيرات فى مصر قد زاد ولكن وجود النساء فى مجلس الشعب تقلص من أربعين عضوة سنة ١٩٨٤ الى عشر عضوات سنة ١٩٩٠، وغنى عن البيان أن النساء محرومات حتى الان من تولى منصب القاضى.

واذا كان وعى المرأة بذاتها وقدراتها هو أول الخطوات الضرورية على طريق انخراطها فى العمل من أجل تحررها ومن أجل التغيير الى الافضل فان الصورة على جبهة الوعى ليست وردية سواء كان الوعى بالذات كقدرة انسانية تحتاج وتستحق ان تتفتح فى شروط صحية مواتية، أو الوعى بضرورة التنظيم والعمل الجماعى من أجل خلق حركة نسائية قوية وقادرة على حشد طاقات النساء للاسهام فى تغيير اوضاعهن للأفضل.

يتبادل التأثير على جبهة الوعى جناحان للثقافة السائدة هما الجناح التجارى الاستهلاكى، والجناح السلفى المحافظ الذى يغطى نفسه بالدين، وهما يصلان لنتيجة واحدة هى **تغريب المرأة عن ذاتها ونفيها عن ساحة الفعالية والوعى الناقد، بعد أن كان الحرمان الاقتصادى قد قام بنفيها عن ساحة الممارسة من أجل التحقق والتحرر،** بل أن الصورة التى يقدمها الاعلام لها هى صورة متدنية غالبا ماتسخر من المرأة العاملة وليس للمرأة التى تنشط فى ميدان العمل العام مكان فيها.

واذ تحتفل مصر هذه الايام بمرور مائة وعشرين عاما على وفاة رائد تعليم البنات فيها **«على مبارك»** فان تعليم البنات مهدد على نطاق واسع باخراج الفقراء منه بعد **الالغاء الواقعى لمجانية التعليم.**

والتعليم هو خطوة اساسية نحو الوعى بالذات كقدرة كامنة ومن ثم الوعى بضرورة العمل العام الجماعى من أجل التغيير للافضل.

«- كل البنات تتعلم. انهن يملأن الشوارع»

هكذا ترد **«زهرة»** بطلة **«ميرامار» لنجيب محفوظ** على سؤال للصحفى الوفدى **عامر وجدى.. وكانت زهرة فتاة** ريفية جاءت الى الاسكندرية هربا من زواج مدبر ليس الا صفقة. جاءت لتبحث عن حياة كريمة فيها النظافة والامل..

ان الزمن القادم **زمن الخصخصة، وصندوق النقد الدولى والبنك الدولى والتوجهات الانكماشية لبرنامج التثبيت والتكيف الهيكلى** لن يجعل زهرة الريفية قادرة على ان تتعلم بعد، هكذا تنبئنا الدراسات الميدانية والمشاهدات العينية. وان تعلمت **«زهرة»** سوف يكون ذلك بطولة فردية تثير الاعجاب لكنها لن تغير الواقع.

هذه هى العقبات الموضوعية امام طموح الحركة النسائية للتحول لحركة جماهيرية واسعة الانتشار مسموعة الكلمة بين النساء وفى المجتمع على حد سواء.

ولكن هناك عقبة ذاتية لاتقل اهمية تتمثل فى انشغال القطاع الاعظم من النساء الواعيات بكل هذه الحقائق بالعمل الاسهل، سواء اتخذ هذا العمل شكلا بحثيا وتنظيميا فوقيا فى ساحة الطبقة الوسطى، بينما غبن عن ساحة الحياة الشعبية التى تحتاج النساء فيها الى من يأخذ بأيديهن ويساعد هن على الخروج- بالوعى وصولا للتنظيم القاعدى- من ظلام الواقع الحالك. ونتيجة لهذا الغياب استقطعت حركة النسوية قطاعا من النساء المثقفات والمتعلمات بعيدا عن العمل السياسى من أجل التغيير الاجتماعى الشامل، واستولت جماعات الاسلام السياسى على عقل النساء الشعبيات قليلات الثقافة فوجدنا نساء يذهبن الى المحكمة منقبات ليساندن دعوى التفريق بين استاذ جامعى هو الدكتور **«نصر حامد ابو زيد»** وزوجته بحجة أنه مرتد، وعجزت مئات الجمعيات عن التصدى للحملة التى انتهت بالغاء التعديلات الطفيفة على قانون الاحوال الشخصية، بل ان نساء وجمعيات تظاهرن ضد هذه التعديلات فى حينه، بل وحين عصفت الادارة بجمعية تضامن المرأة التى ترأسها الدكتورة **نوال السعداوى** واغلقت مجلتها **«نون»** مر هذا الاجراء مرور الكرام.

الصورة ليست وردية كما قلت ولكن هناك ابواب قليلة مفتوحة واخرى لابد أن ندق عليها بقوة حتى تتفتح وهى مهمة النساء الواعيات المنظمات عليهن انجازها بجدية وابداع..

فى ذكرى المولد النبوى الشريف

نبى الإسلام.. ثورة اجتماعية

محمد عبد القدوس

أحتفل العالم الإسلامى بمولد نبى الإسلام سيدنا محمد ص، جدير بالدنيا كلها أن تحتفى به، كم تغيرت بعد مجئ رسالته يكفيه شرفا وفخرا أن رسالته ربطت الدين بالدنيا برباط وثيق.. نظرة سريعة قبل بعثة سيدنا محمد ص وبعد مووبعدها تؤكد هذا المعنى الذى ترتب عليه ثورة عظيمة في حياة البشر.. ودعنا من الخرافات التى كانت تسود جزيرة العرب، والأصنام المنتشرة هنا وهناك إنما ما أقصده عقلية التدين ذاتها التى قام الإسلام بتطويرها بطريقة جذرية شاملة.

فصام نكد

كان هناك طلاق بائن بين الدين والدنيا، فصام نكد، ولايمكن الجمع بينهما .من أراد **الآخرة، فعليه الابتعاد عن الدنيا، واعتزال البشر بحجة التقرب إلى الله، ومن سعى الى التمتع بحياته، فلامكان له فى ملكوت السموات إذ لايعقل أن يفوز فى الدارين..** ويتمتع هنا وهناك وهكذا ترك المتدينون الدنيا طلبا للآخرة، وكان عليهم التجرد من كل شهواتهم لدخول الجنة الموعودة.

آه من حواء

وكانت حواء، فى نظر المتدينين وراء كل المصائب التى حلت بالبشرية **كانت الأنثى فى ذاتها رجسا من عمل الشيطان** ومن طلب الآخرة فعليه الابتعاد عنها.. التطلع إلى السماء، يتنافى مع مباشرة النساء، ووصلت الأوضاع بالمرأة الى درجة مهينة، فكانت فى بعض البلاد تورث ضمن تركة المتوفى.

ولم تكن النظرة الى المال بأحسن حالا من حواء.. إنهما من شهوات الدنيا ويكفى غنى النفس ولايمكن لصاحب المال أن يكون له مكان فى الآخرة، مادام قد امتلك الدنيا.

أنت إنسان ولست ملاكا

وجاء خاتم النبين ص ليطيح بكل هذه الأفكار ويربط الدين بالدنيا برباط وثيق محدثا ثورة اجتماعية كبرى، ولم يفترض الإسلام فى البشر المثالية، وفى نفس الوقت لم يرض لهم بالواقع الذين يعيشونه وفى هذا يقول **سيدنا محمد** ص«كلكم خطاءون.. وخير الخطائين التوابون».. فالإنسان ليس ملاكا، وعلى هذا الأساس عامله الإسلام وفتح باب التوبه لذنوبه

ومن ملامح ثورة سيدنا محمد ص، أنه راعى فطرة الإنسان فلم تحرم شريعة الإسلام شيئا يحتاج اليه فى واقع حياته، كما لم تبح له شيئا يضره فى الواقع.. وطلب خاتم النبيين من الناس التمتع بحياتهم باسم الدين، وتجد فى كتاب الله قوله تعالى:«**يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولاتسرفوا.. إنه لايحب المسرفين**» سورة الأعراف.. وبعد هذه الآيات مباشرة تجد القرآن يتساءل فى صيغة استنكارية (**قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق)؟**

ثم يضيف مؤكدا على حق المؤمنين فى التمتع بها: (**قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة)** يعنى أن المؤمنين يشاركون غيرهم فى التمتع بطيبات الدنيا، ثم يفوزون بالنعيم وحدهم يوم القيامة. وفى نفس السورة- الأعراف- وبعد هذه الأيات بين الله المحظورات:(قل إنما حرم ربى الفواحش ماظهر منها ومابطن، والأثم والبغى بغير الحق، وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) وهكذا تغيرت نظرة الدين للدنيا فلم تعد «سوداوية بل ولأول مرة يطلب دين من اتباعه الأقبال عليها والتمتع بطيباتها وخيراتها فى حدود الحلال طبعا.

وسقطت المحرمات

وكانت نتيجة هذا الفكر التقدمى، سقوط العديد من المحرمات التى قيدت فطرة الإنسان، وتبوأت المرأة مكانتها اللائقة بعد أن قضى الإسلام على كل مايحيط بها من مهانة،

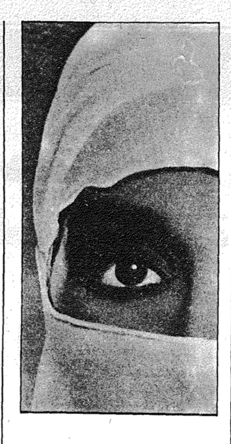
فانتفت أسطورة أنها وراء مصائب آدم وسبب لخروجه من الجنة بعد أن دفعته إلى عصيان الله والأكل من الشجرة المحرمة، رفض ديننا هذا التفكير وقال القرآن أن آدم وحواء يتحملان هذا الخطأ سويا على قدم المساواة وبعد أن كان هجر النساء ثوابا يتقرب به المتدين الى الله انقلبت الآية وأصبح الزواج سنة مؤكدة من سنن الدين، جاءت فى القرآن الكريم سكنا ومودة ورحمة كإحدى آيات الله فى كونه مثلها مثل خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار. (راجع سورة الروم) يتقرب بالنكاح الزوجان من الله، ويرتكب الأعزب أثما لمخالفته فطرة الله إذا كان إضرابه عن الزواج دون سبب معقول، ولم يعد مقبولا أبدا فى الإسلام الابتعاد عن الزواج لأسباب دينية، بل العكس هو الصحيح تماما.

من أين لك هذا

وبعد الثورة الاجتماعية الكبرى التى فجرها رسولنا الكريم ص، لم يعد المال حراما فى حد ذاته أو الغنى ممنوع من رضوان الله فيكفيه جنة الأرض التى فاز بها دون الفقير، ..أنتهى هذا التفكير تماما عند المسلمين فالمهم من أين اكتسب الإنسان المال وكيف ينفقه.. هل يضيع فى شهواته؟ أم بمايرضى الله فيكون حلالا طيبا بتوجيهه لخدمة المجتمع، وأداء حقوق الفقراء عليه، **فالمال ليس ماله بل هو مال الله مستخلف فيه ليتصرف فيه بما يعود عليه وعلى غيره بالخير والنفع العام،** فلايجوز مثلا إقامة مشروع ترفى سريع الربح، فى الوقت الذى يشكو فيه مجتمعه من نقص الحاجيات الأساسية وهذه العقلية التى تراعى البعد الاجتماعى إحدى السمات الأساسية التى تميز النظام الإسلامى عن الرأسمالية.

انتكاسة خطيرة.

وعاش العالم الإسلامى عصور تخلف -لامجال هنا لذكر أسبابها- اشتدت فى العصور الأخيرة وشهدت تراجعا خطيرافى العديد من الأفكار التقدمية التى جاء بها الإسلام، وكانت كافية لدفعه الى الأمام.. **فدور المرأة فى المجتمع تدهور بصورة خطيرة فى العديد من المجتمعات الإسلامية فاصبحت مهمتها الأساسية الإنجاب وخدمة سيدها الرجل.** بحجة أن الرجال قوامون على النساء مما يعنى أن



يتحكم الزوج فى رقبة امرأته دون النظر الى أن الزواج شركة متكافئة تقوم على السكن والمودة والرحمة، ولايمكن أن يتحقق ذلك وأحد الأطراف يبطش بالطرف الآخر. بل أرى المرأة على قدم المساواة مع الرجل فى الحقوق الواجبات ويكفى سيدنا محمد ص فخرا أن دينه كان أول من أعطى المرأة زمة مالية مستقلة عن الرجل، فلها أموالها الخاصة التى لايجوز حتى لأقرب الرجال إليها التدخل فيها، ولم يجبر الإسلام الزوجة أن تحمل اسم زوجها كما هو الحال حاليا حتى الان فى معظم الدول الأوروبية، بل لها شخصيتها الخاصة المستقلة. **فالمرأة على قدم المساواة مع زوجها..** نعم واجبها الأول فى المنزل لكن لها مشاركة أساسية فى خدمة مجتمعها، والا أصيب هذا المجتمع بالعطب، ووجدناها فى عهد الرسول ص تحارب الى جانب الرجل فى مختلف الغزوات، بل أن امرأة طلبت من سيدنا محمد ص الذهاب مع الجيش المقاتل للغزو فى البحر فلم يستنكر عليها ذلك، أو يقول مالك ومال البحار؟ ..قال لها: «أنت منهم».. يعنى لم يرفض طلبها، بل أكد أنها ستكون ضمن أفراد هذا الجيش.

أبغض الحلال

والحقيقة إننى اتعجب من هؤلاء الفقهاء الذين يسمحون للرجل أن يطلق امرأته فى أى وقت شاء.. الطلاق أبغض الحلال الى الله.. رحمة بالزوجين عندما تستحكم الخلافات بينهما..شرفا لسيدنا محمد ص أن أوجده،فلايمكن أبدا أن يكون سيفا مسلطا على المرأة فهذا يتعارض مع رسالة نبى الإسلام، والعديد من الفقهاء ذهبوا الى أن طلاق الغضبان باطل، لأن الغضب يحجب العقل، والطلاق يجب أن يكون بمعروف لا فى لحظة أنفعال وغضب.. (فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف ولاتمسكوهن ضررا لتعتدوا) قرآن كريم. وهذه الآية التى جاءت فى سورة البقرة تثير قضية أخرى خطيرة منتشرة فى أيامنا التعسة وهو «تعليق» الرجل لزوجته فلا هو يعاشرها بالمعروف وفى ذات الوقت يرفض طلاقها لتسترد حريتها وتتخلص من «سجنه».. وكل هذه الأمور تهدد الثورة الاجتماعية التى جاء بها نبى الإسلام عليه السلام.

أمراء المال

وكما تدهور حال المرأة فى عصور التأخر حدثت ردة فى النظرة الى المال، وشهدت **بعض البلاد الإسلامية مثل الدول البترولية انتكاسة خطيرة تمثلت فى أنظمة رأسمالية تضاهى تلك الموجودة فى البلاد الغربية، والغريب أنها أرتدت لبوس الدين، مع أن الإسلام منها برئ، والاستغلال الوقح الذى يمارسه العديد من الأمراء** والميلونيرات فى عالمنا الإسلامى يطبع تماما بتعاليم ديننا.. والعجيب أنه فى هذه البلاد تجد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على قدم وساق ولا أدرى كيف يستقيم هذا الأمر وهؤلاء المتكبرون فى الأرض يعبثون بأموالهم فسادا بعيدين عن الإسلام بتصرفاتهم المالية وإن صلوا وصاموا وأدوا فريضة الحج. أرى ذلك من سمات التخلف.. أقصد تجزئة الدين.. الاهتمام بالعبادات وترك فرائض الإسلام الأخرى.. لكن ديننا أيضا أخلاق ومعاملة وشريعة تسير كلها جنبا إلى جنب بغرض الارتقاء بالإنسان ليفوز فى الدنيا والآخرة معا....

حلقة جديدة في مسلسل مصادرة الكتب

خليل عبد الكريم

موقفى معروف من الدروشة والانجذاب والتجليات والعرفان والغنوصية والتوسمات والتوهمات إلى آخر هذه المنظومة من المفاهيم اللاعقلانية لإننى مع أبى العلاء المعرى أنه لا دليل ولاحاكم إلا العقل فى الصبح والمساء.

ولكننى وبذات الدرجة ضد مصادرة الكتب لانها دليل على العجز عن الرد والتفنيد، وتقصمنا عن العصر الذى نعيشه وتنقلنا إلى القرون الوسطى وهيمنة محاكم التفتيش على الفكر وعلى ضمائر الناس.

والدين الذى يهزه كتاب أورواية أو قصة قصيرة أو طويلة أو مسرحية أو قصيدة.. لايستحق أن يسمى دينا، والاسلام فى تاريخه الطويل تعرض لمئات الكتب التى ناقضته وبشتى لغات الأرض ومع ذلك ظل كما هو.

أكتب هذا بمناسبة صدور قرار المجلس الأعلى للطرق الصوفية فى ١٩ من المحرم ١٤١٥هـ - ١٩٩٤/٦/٢٨ بمصادرة كتاب (شراب الوصل) للشيخ ابراهيم محمد عثمان عبده البرهانى وماتلاه عن غلاسة (فى مختار الصحاح للرازى: الغلس ظلمة آخر الليل) مثل حظر أى نشاط للمؤلف ولأتباعه ولجماعته.

والمجلس المبارك مصدر القرار- بداية- هو من حفريات عصور الانكسار والهزيمة والانحسار والتراجع وعندما يرتفع وعى المواطنين وتمحى أميتهم سيحال هذا المجلس وأضرابه إلى متحف التاريخ الإسلامى. وأول أسانيد قرار المصادرة خطاب من مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر من الادارة العامة للتأليف والبحوث والنشر- ومايؤسف له أن جمهرة المثقفين فى مصر والعالم العربى فى غفلة تامة عن الدور الخطير الذى يلعبه المجمع المذكور فما من كتاب صودر فى العقدين الاخيرين إلا ومن ورائه أصابع هذا المجمع العتيق ، وثانيها تقرير كتبه أحد الازهريين، تفرنج مؤخرا فخلع العمة والكاكولة واستعاض عنهما بـ البذلة الكاروهات والكارفته الجنجاه، وتخصصه فى (الحديث) ولا علاقة له بـ (التصوف) والمسافة بين الحديث والتصوف أطول مما بين الصين والأندلس، فالتصوف يقوم على الذوق والوجدان والقبض والبسط والشهود والحلول والاتحاد.. وله معجمه الفريد ومصطلحه المتميز أما المعارف الحديثة فقد تجمدت-منذ قرون- على نفسها وانغلقت على ذاتها وغدت تقتات على التقليد والتكرار والاجترار والحفظ والتلقين، والعداء بين المتصوفة وأصحاب الحديث يعرفه من له أدنى إلمام بتاريخ الفكر الإسلامى، واسناد كتابة التقرير إلى ذلك المتفرنج الازهرى أو الازهرى المتفرنج المتخصص فى الحديث جعل النتيجة معروفة سلفا، خاصة وأن ، صاحبنا محصوله من المعارف الحديثة ضامر وخزينه منها هزيل وبضاعته منها عجفاء وطريقته فى عرضها والقائها تقيم بينه وبين المتلقى سدا من الانفصام والتباعد والصد والقطيعة تحثه على أن يهرول باحثا عن محطة أخرى- أن استمع اليه عبر المذياع- أو يهرع إلى تبديل القناة إذا شاهده في التلفاز.

ودوافع المجلس الأعلى للطرق الصوفية الميمون- الكامنة وراء قرار المصادرة- لاتخفى على أحد، فتعداد جماعة صاحب كتاب «شراب الوصل» يبلغ أربعة مليون عضو حسبما ذكرته مجلة قومية أسبوعية، فى حين أن الطرق الأخرى لايصل عدد المريدين فى كل منها بضع مئات. كما إن المجلس المبجل يتزلف بهذا القرار إلى السلطة السياسية لان صاحب الكتاب سودانى، وإذا كان هذا هو مسلك الزهاد الذين من المفترض فيهم أن تقوم حياتهم على التجرد والتقشف والفقر والفرار من الدنيا فلماذا نلوم غيرهم الذين لايرفعون مثل هذه الشعارات ولايلبسون مثل هذه الشارات

وبعد : فان من حسن حظ الشيخ ابراهيم مبدع «شراب الوصل» أن مصر لايطبق بها دستور لاهوتى أو شريعة ثيولوجية إنما تحكمها قوانين مدنية ووقعت على الميثاق العالمى لحقوق الإنسان وإلا كان مصيره على أيدى المجلس الأعلى للطرق الصوفية ومجمع البحوث الاسلامية - المقدسين- كمصير: الحلاج والسهروردى المقتول.

الاشتراكية واليسار

د. خليل حسن خليل

ليس المقصود «باليسار»، المجلة ، التى تناضل فى صبر وإصرار فى سبيل الاشتراكية ضد قوى شرسة ولكن المقصود هم اليساريون، أو القوى اليسارية المنظمة فى احزاب ،أو جماعات سياسية، معترف بها من السلطة، أو غير معترف بها. المصطلح يشمل كذلك ،فى نظرى، الكادحين من ابناء الشعب. وهم كثرة كثيرة ، تعتبر بطبيعتها جزءا من اليسار، وموضوعا لنضاله ، لاقامة مجتمع اشتراكى ، ينتهى فيه استغلال الانسان للانسان. وسوف نقتصر فى هذا المقال على اليسار المنظم.

على أن العنوان مازال يثير تساؤلا: كيف تكتب عن الاشتراكية واليسار، وهما غير منفصلين ، فاليسار هو الاشتراكيون، وهؤلاء، يستمدون صفتهم من الاشتراكية. لعل المقال يلقى ضوءا على ذلك التساؤل.

اليسار فى مصر، مجزء إلى، ثلاث فصائل أساسية ، **هم الشيوعيون والتجمع، والناصريون**. وذلك بغض الطرف عن التجزيئات الفرعية الأخرى، داخل هذه الفرق، ونحن لانود أن نغرق فى هذا التفتت الفرعى. فهذا واجب خاص بالفرقة المفتتة، إذا ارادت أن تنهض وتقوى، على الأقل طبقا لمصلحتها الذاتية، بالمعنى الضيق، كذلك فان متابعة التفتت الفرعى قد تبعدنا عن الموضوع الذى نتصدى له اليوم.

لقد جوبه اليسار بقوى معوقة رهيبة، قامت على مصالح طبقية. فقد تملكت قلة من الرأسماليين وسائل الانتاج ، واستخدمتها لاستعباد الناس واستغلالهم. وتحالفت تلك الطبقة مع قوى أخرى رجعية استغلت اسم الله وأديانه فى اتهام حركات التحرر الإنسانى والاشتراكي بالالحاد واستمعت لهم جمهرة فقيرة، استغل الرجعيون ضعف وعيها، وايمانها بالاديان، فشنوا حربا قذرة ضد الاشتراكية، وإبعاد الناس عنها.

لانزاع أن اليسار بشعبه الثلاث قد عانى من ذلك طويلا، بدءا بالشيوعيين، ثم عبد الناصر، ثم التجمع.

والمشكلة فيما يتعلق بالنضال ضد القوى الرأسمالية الرجعية ليست عضالا. فطالما أن الجشع وامتصاص كدح العامل، وتحويله الى رأسمال يملكونه، هو فلسفة الرأسماليين، فإن **المعركة لن تهدأ الا بانتصار الكثرة العاملة ، على القلة الرأسمالية المستغلة، أى بانتصار الاشتراكية.** هذه هى الحال، بالنسبة للرأسمالى الاصلى، فما بالك بالرأسمالى الطفيلى، الذى يجمع ثرواته من نشاط طفيلى، غير منتج، أو من نشاط غير مشروع. وقد تجلى ذلك فى صور الفساد والاثراء، التى اصبحت مألوفة للناس فى الوقت الحاضر.

يتبقى أمر الرجعية الدينية. وقد ثبت من الأحداث الدولية الأخيرة، بما فى ذلك عمليات الارهاب الدينى، ومن زيادة الوعى بالمشكلة الاجتماعية والاقتصادية لدى الجماهير، ومن انكشاف الكذبة الكبرى بتعارض الاشتراكية والدين، التى استخدمها أعداء الشعوب فى الماضى.. هذه الاعتبارات وغيرها يمكن استخدامها لتحرير الاشتراكية من كذب الرجعيين ضدها.. وبهذا تتحرر من أهم معوق يمكن أن يعترض سبيلها ، وبصفة خاصة فى أوساط لم يبلغ فيها الوعى المستوى المرجو.

هذا الاقناع للجماهير، بأن الاشتراكية هى نظامها، وأن اعداء الشعوب، حاولوا تشويهها باستخدام الدين، يتطلب جهودا مشتركة ، وجبهة يسارية قوية ، تستطيع أن تلتحم بالجماهير وتقودها الى عملية التغيير.

إن مبادئ اليسار، بفرقة المختلفة ، قوية. وهى حقا مبادئ الجماهير. فهى تدعوهم الى السيطرة على وسائل الانتاج، والى أن يمثلوا فى المجالس النيابية تمثيلا ديمقراطيا ، صادقا وأمينا، أى تمثيلا حقيقيا، للفلاحين والعمال والمثقفين ، وغيرهم من الكادحين ولمصالحهم. لكن هذا الصوت يقف عند حدود جريدة أو ندوة أو خطاب. وحتى الخطاب لايمكن أن يلقى فى مكان عام مفتوح تحضره الجماهير من كل لون، فحق التظاهر والخطاب فى جمهور عام ممنوع.

وحتى تصل المبادئ الى الناس ، لكى تحولهم وتدفعهم لعمل جماهيرى خلاق- وهو العلاج الحقيقى لامراضنا السياسية والاقتصادية- يجب أن يتصل اليسار، اتصالا مباشرا بالجماهير، لكى يحادثها حديث القلب للقلب، الحديث الفاعل ، الذى لابد منه لاحداث التغيير المطلوب.

وبغير ذلك سنظل نصرخ فى واد غير ذى زرع، أو «ننفخ فى قربة مقطوعة» كما يقولون.

هذا الاتصال المباشر بالجماهير ليس عملية سهلة فى ظل الظروف السياسية التى نحياها. ولامراء أن توحد اليسار قد يسهل منها. ولا اقصد الاتحاد الطموح- ولو اننى اتمناه- أى أن تدمج فصائل اليسار فى «سرية» واحدة، اذا استخدمنا تعبيرا عسكريا، ولكن ، على الأقل، يمكن الاتفاق على **ميثاق عمل مشترك لليسار.** توقعه ، وتلتزم به كل الفصائل. وتكون الفترة الأولى، التى تتطلب لقاءات أولية لبلورتها ، وبحثها للوصول الى الطرق الفاعلة، **هى الاتصال بالجماهير.** وهذا يقودنا الى النقطة الاساسية فى الميثاق، وهى الاشتراكية.

لاجدال فى أنه لايسار من غير اشتراكية . وفكرة اليسار فى أنه ذلك الفريق ، الذى يعارض الحكومة ويجلس فى الجهة اليسرى من المجالس النيابية ، فكرة لم تعد صالحة فى الحقبة المعاصرة، حيث اليسار هو الاشتراكيون. واذا كان الأمر كذلك ، فإن الاشتراكية، يجب أن تكون الفكرة الكبرى ، التى تنبثق منها المبادئ التى تحويها مواثيق الاحزاب أو الفرق اليسارية.

وبكل آسف ، فان إحساسى- وأرجو صادقا، أن أكون مخطئا- هو أن الاشتراكية لم تعرض فى مواثيق فرق اليسار، بحيث تكون لحمتها وسداها . - ربما يستثنى من ذلك الشيوعيون وقد ذكرت ، الى جانب مبادئ أخرى كثيرة، تاهت الاشتراكية بينها.

إننى أقصد بأن الحزب **اليسارى يصبح من غير رسالة، إن لم تكن الاشتراكية رسالته.** وهى الوحى الذى يوجه الحزب نحو الاهداف الأخرى. فهى تتسلل الى التنظيم الاقتصادى والسياسى والاجتماعى، والى علاقة الجماهير بالسلطة، والى تكوين السلطة وتنظيمها فى القطاع الحكومى والقطاع العام، والقطاع الخاص.

والاشتراكية تحدد نظرتنا أيضا ، الى العالم وسياستنا الخارجية ، ومؤازرة الشعوب التى تناضل فى سبيل تحررها السياسى والاقتصادى ، الشعوب التى تقاوم التبعية ، وتتطلع للاستقلال الحقيقى.

وحتى القومية العربية يجب أن يكون للاشتراكيين بصمة عليها. فدور القومية العربية الاجتماعى والاقتصادى أساس هام لتطوير فكر القوى الداعية إليها... وقد بذلت جهود مخلصة وشاقة، فى عهد عبد الناصر، لربط القومية العربية بالاشتراكية. وبذلك تجدفيها الجماهير العربية مخرجا من حالة التخلف والتمزق، والظلم الاجتماعى ، التى يعانون منها. وتسلط الضوء على أن أصحاب الحق والمصلحة فى التجمع العربى ، الاقتصادى والسياسى هم الجماهير العربية.

وليس هناك درجات فى الاشتراكية بين الفرق الثلاث. فتفكك الاتحاد السوفيتى، وبلدان شرق أوربا . والاستيعاب التاريخى لتطور الانسان ماديا ووجدانيا فى علاقته بالملكية الخاصة، وتثقيفه وإعداده لمجتمع اشتراكى كامل، كل ذلك وغيره قد ألغى مايسمى بدرجات الاشتراكية. فهذه مسألة تخضع للظروف التاريخية والمادية والثقافية، التى يمر بها كل مجتمع.

وقد يكون من المفارقات الغريبة، أنه بعد سبعين عاما، فشل الحزب الشيوعى السوفيتى فى تثقيف الانسان السوفيتى - أوعدد كبير منه- وفى تحويله الى انسان اشتراكى، يؤمن حقيقة بالاشتراكية، كنظام اقتصادى وروحى ،أو فلسفى، وانها نظامه الذى لايهزه ، ولاينال منه أى نظام أو ايديولوجية أخرى. ولابد أن تكون هناك عوامل عرقلت هذا العمل التثقيفى. ربما يكون من بينها البيروقراطية التى استغرق فيها الحزب، والتى عزلته عن الجماهير. هذه البيروقراطية تسببت فى اغتراب الجماهير السوفيتية- وكذلك جماهير شرق أوروبا- عن وسائل الانتاج وعن المنتجات. كما هو الحال فى الرأسمالية، حيث عزلت الرأسمالية شعوب تلك الدول عن وسائل الانتاج والمنتجات ، وأصبحت مغتربة عنها. وبذلك لم يعد هناك فارق كبير بين الاغتراب الرأسمالى ، واغتراب احدثته بيروقراطية بعض الاحزاب الشيوعية.

إن هدف الفرق الاشتراكية جميعا، هو اقامة مجتمع اشتراكى، تسيطر فيه الجماهير على وسائل الانتاج، وتوجهها نحو التنمية، وتلغى استغلال الانسان للإنسان. وتتدرج السيطرة من سيطرة غير مباشرة الى سيطرة كاملة مع الزمن، حسب الظروف التاريخية لكل مجتمع. وبهذا فان هناك مجالا لصياغة مشتركة لخصائص النظام الاشتراكى، تؤمن به وتعمل له الفرق اليسارية جميعا للوصول الى الهدف النهائى.

لقد كانت الاشتراكية فى تاريخنا فكرة تتردد فى اذهان فئة مناضلة، كافحت كفاحا فذا ضد القوى المعادية للانسان. **وهى قوى رهيبة، استخدمت الاعتقال والتعذيب والقتل، ضد هؤلاء الاحرار، الذين كان أغلبهم ماركسيين.** ومنعتهم من التواصل مع الجماهير. **وكان لعبد الناصر فضل نقل الافكار الاشتراكية، لتكون أداة فى يد السلطة لتحرير الجماهير . وبهذا** برزت الاشتراكية فى دستور البلاد، ومواثيقها السياسية، وقطاعاتها الاقتصادية، لأول مرة فى تاريخ مصر.

ولكن يجب أن نعترف (وهذا نقد ذاتى)، أن التجربة أصيبت بمرض عضلى، أصاب أيضا بعض التجارب الاشتراكية الأخرى. وهى أن عبد الناصر، كان يقيم اشتراكية من غير اشتراكيين أى أن الكوادر التى قادت السياسة والاقتصاد ، كانت جذورها البرجوازية عميقة، بحيث لم تسهم فى عملية التثقيف والتحول الاشتراكى. وعلى العكس كانت عقبة أمام الاشتراكية. فما أن مات عبد الناصر، حتى التفت تلك القوى حول خليفته.. **ومسح السادات صفحة الفخار التى خطها عبد الناصر فى تاريخ مصر والعرب. وقلب النظام الى نظام رأسمالى طفيلى انفتاحى وتابع،** ذهب بكل مكاسب الشعب الى جيوب النهابين والهدامين والقافزين على السلطة.

وليس أدل على ذلك من أن المجموعة ، التى أدار بها عبد الناصر نظامه الاقتصادى هى فى أغلبها المجموعة التى أستخدمها السادات للقضاء على الاشتراكية، وزرع رأسمالية خبيثة بدلا منها. وهى المجموعة التى أدارت تأميم المشروعات، ووسعت وقوت القطاع العام فى عهد عبد الناصر ثم ضربته فى عهد الخلفاء ، وباعته اخيرا للأجانب بثمن بخس. أى انها باعت عرق الشعب وكدحه للاجانب. ليعود القهر الاجنبى للمصريين مرة أخرى. درس يجب أن نستوعبه، ونبرزه، ونفيد منه.

وبهذا فالجهود التثقيفية والتنظيمية للجماهير، فى هذا الظرف التاريخى ، الذى نجتازه، تتطلب منا توحيد الجهود فى نطاق اليسار، اذا اردنا حقا أن نحقق نجاحا سياسيا واقتصاديا ، حسب الافكار التى نؤمن بها، وتؤمن بها معنا الجماهير الكادحة. **ولكن الجماهير تود مصداقية من جانبنا، هى التوحد بيننا ،على الأقل، فى العمل الاشتراكى.، وأن نعطيها قدوة** بدعم هذه المصداقية، باننا جادون فى الاصرار على أن.. الاشتراكية هى المنفذ للجماهير، سواء فيما يتعلق بالتنمية، أو فيما يتعلق بتوزيع الدخل ، والعدل الاجتماعى.

هذا الاتصال المباشر بالجماهير وقيادتها ، عملية شاقة فى الحقبة المعاصرة.فالحكم القائم يدعى بأنه خليفة ثورة يوليو، وحارس مبادئها العظيمة. وكانت الاشتراكية أعظم مبادئ الثورة. أين هى الآن، والقطاع العام يباع للمغامرين الاجانب. أين هى من الرأسمالية التابعة، المخلصة فى تبعيتها، بدرجة اكبر من اخلاص الرأسمالية الكبرى المتبوعة لنفسها. وهناك قوى ظاهرة وخفية تدعم الحكم، وبذلك فالتصدى له فكريا يتطلب جبهة قوية.

وهناك حزب برجوازى ،يعد نفسه ليكون بديلا للحزب الحاكم . وهو لايختلف عنه كثيرا فى الفلسفة السياسية والاقتصادية ، الا بالقدر الذى يتيح له أن يخلفه، وهو يضم بعض الاعيان ورجال الاعمال، والباشوات القدامى. والفارق بينه وبين الحزب الحاكم، هوأن الأخير:يضم الباشوات الجدد.

والجبهة التالية الخطيرة، التى تتطلب نضالا مصرا طويل الأجل، هى الجبهة التى تستغل الاسلام للقفز الى الحكم، وفرض ديكتاتورية ورأسمالية، تستغل اسم الله ودينه، وليكون استعبادها للناس مقدسا، لايستطيع أحد أن يناقشه. هذا الخصم التقليدى لليسار يتطلب جهدا ضاريا لحماية الجماهير منه.

ومن الواضح أن هذه الجبهات، الى جانب القوى الأجنبية التى تساندها، تملك السلطة والمال وأدوات الكذب والتلفيق والاعلام. كل هذا يستوجب توحد اليسار. بل يتطلب تنظيما يساريا صلبا، إن لم يصبح معه الاشتراكيون تنظيما واحدا شاملا فى الحل، **فلابد على الأقل من وحدة أو جهة تضم عناصر اليسار جميعا،. ولابد لهذه الجبهة من ميثاق ، تكون الاشتراكية عموده الأول، ميثاق يبرز الهدف النهائى للنظام الاجتماعى، وهو الاشتراكية ، ويبين برنامج العمل مع الجماهير.** بهذا نعطى الجماهير ايديولوجية تشعل خيالاتهم، وتتصل بحياتهم السياسية والاقتصادية اليومية. وتصور حاضرا يحمل الأمل، ومستقبلا يترجم الأمانى: ديمقراطية وعدلا ونماء.

التخبط المنتظم

د. سمير حنا

يعرف الاطباء نوعين من عدم الانتظام فى دقات القلب : عدم **الانتظام المنتظم regular Irregularity** وعدم **الانتظام غير المنتظم Irregular Irregularity**.

ولما كان ما نعيشه اليوم يفرض على كل مهتم بشئون بلده واولادة أن يتأمل ويفكر ليستخرج الأسباب والعلل وليصل إلى القواعد والقوانين والتعميمات ، فأنى- بعد التأمل العميق- قد وصلت إلى القاعدة الاساسية التى تسير عليها سياسة حكومتنا السنية، وهى «**التخبط المنتظم**».

أما عن التخبط فهو واضح وضوح الشمس

أنظر إلى **تشريعات الانتخابات**: فهى يوما بالقائمة المطلقة، وهى يوما بالقائمة النسبية وهى يوما بالدوائر الفردية ثم يوما بخليط من هذا وذاك.

ثم انظر إلى **ميدان التعليم**: ففى عصر سابق اقنعتنا حكومتنا بأنه من الواجب اختزال اعوام الدراسة لكى نتفادى حشو ادمغة الطلبة بالمعلومات، وتسبب هذا الإجراء فى ارتباك شديد فى العملية التعليمية تحملناه لتنفيذ هذه الخطة العبقرية لإنقاذ التعليم. ثم اقنعتنا حكومتنا بأن التعليم الجامعى مضيعة للوقت والمال وأن نسبة الجامعيين عندنا تفوق نسبتهم فى البلدان المتقدمة (وهى اكذوبة جرينة) وأن فى التعليم الفنى الذى عقدنا له الاتفاقات مع المانيا خلاصنا، ثم جاء وزير التعليم الحالى فانقلبت الامور فإذا التعليم الجامعى قاصر كما ونوعا، وإذا التعليم الفنى فى غياب تنمية يؤدى إلى بطالة ويؤدى إلى إرهاب، وإذا اختزال سنة من سنين الدراسة خطأ فادح ينبغى التخلص منه.

ثم النظر فى نفس الميدان إلى **التخبط الذى يتردد مرة كل اربع سنوات بين تطبيق نظام الفترات والغائة وبين تعيين العميد أو انتخابه**. وكل هذا علاوة على فشل الخطط المختلفة للتخلص من الأمية أو حتى خفض نسبتها أو رفع مستوى الدارسين الذين حصلوا على الإعدادية ولايستطيعون «فك الخط». هل هناك عجب **إذن أن تصفنا تقارير الأمم المتحدة عن التنمية البشرية نتيجة لهذا التخبط فى قاع المتخلفين؟** وهل هناك عجب أن تتفوق علينا فى هذا المجال كل الدول العربية ما عدا السودان واليمن والصومال وأن تمتاز عنا كثير من الدول الافريقية مثل ناميبيا وليسوتو؟

وانظر إلى التخبط فى ميادين **الثقافة والاعلام** فبينما تنادى الدولة بالتنوير وبالقراءة وبالمكتبة تنشر أهم أجهزة الإعلام فى الدولة الخرافات والدجل بالحديث عن «**سبعمائة امرأة صباحا ومثلها مساء**» وبالنصيحة لعلاج الحسد «**بالاغتسال فى مياه وضوء الحاسد**» ومثل الاستعانة فى علاج الامراض المختلفة باستشارة العطارين.. ولماذا التعجب إذا كانت مديرة البرامج الثقافية فى إحدى قنوات الإعلام الحكومية تبدو بجوارها اتفه المذيعات فى ذكاء **البرت اينشتين** . وهل تريد المزيد؟ لقد اقنعنا التلفزيون منذسنوات بأنه يجب على المواطن المصرى أن يذهب إلى فراشه مبكرا ولذا فقد قرر الانتهاء من برامجه قبل منتصف الليل. وسررنا لهذا القرار من التلفزيون ايما سرور، فنوم الظالم عبادة، ولكن لم تدم سعادتنا طويلا.. فقد عاد الظالم إلى البث حتى الرابعة صباحا بقرار من نفس قيادته السابقة.

ثم انظر إلى الحديث المستمر عن الطفولة: **«عام الطفل» و «عقد الطفل» و«اسبوع الطفل» و«جمعيات الطفل» و«شارع الطفل»**..إلى آخر هذه الأحاديث والاحتفالات التى يظهر فيها وزراء الاعلام والتعليم والمحافظون فى الوقت الذى **يسقط فيه الأطفال فى البالوعات وتنفخ فيه امعاء الاطفال الذين يعملون فى اسوأ ظروف العمل** وفى غياب تنفيذ ابسط التشريعات الانسانية التى تحميهم، ويصاب فيه الاطفال بنسبة كبيرة من الامراض لعل افضحها **فقر الدم الناتج عن سوء التغذية الناتج عن الفقر المدقع** الذى اصبح مستشريا فى مصر والذى يؤدى **إلى التخلف العقلى.**

***

ولاينبغى أن يغرك هذا التخبط، فداخل هذه الفوضى هناك خط واضح لاحيدة عنه ولاانحراف:

- **فاسعار السلع ترتفع وسيزداد ارتفاعها يوما بعد يوم والقوة الشرائية لدخل الفقراء والطبقة المتوسطة تضمحل وستضمحل شهرا بعد شهر.**
- **والتعليم والصحة يقل وسيقل نسبة الصرف عليهم ميزانية بعد** ميزانية.
- **والدجل والجهل ستزداد مساهمتهم فى البرامج الاعلامية والتعتيم على الاحزاب وقتل الديمقراطية والمن على المعارضة الشرعية بعشرين دقيقة كل انتخابات استمر وسيستمر برنامجا بعد برنامج.**
- **وبيع القطاع العام وسحق الطبقة المتوسطة وازدياد الثراء الفاحش للطبقات الطفيلية وللقادة وظهور اعداد اكبر من المرسيدس والشبح والبودرة سيستمر إلى أن يقضى الله أمرا كان مكتوبا.**

وتبدو الأمور وكأنما هناك قوة مغنطيسية هائلة، ثقب أسود ، تنجذب إليه القرارات والسياسات ، قوة تحدد المسارات والاتجاهات، قوة تخلق طبقة طفيلية تستورد وتستهلك من الغرب وتوقف وتعطل قوة الانتاج الداخلى.. هل هى البنك الدولى؟ هل هى صندوق النقد؟ هل هى سلطات توجه البنك الدولى وصندوق النقد؟

الله اعلم



مابين مطرقة إسرائيل وسندان "حماس"

كثيرة هي الاحلاف العربية العجيبة في تاريخ الانسانية والدبلوماسية، وكثيرة منها الاحلاف التي تجعل من السياسة سوق نخاسة. أكثر ماهي فن ودها . أحلاف قد تنتهي بالحليفين الى قاتل ومقتول. كما حصل في تحالف المرحوم انور السادات مع **الحركات الاسلامية المصرية**. وأحلاف قد تنتهي بالحليفين الى غالب ومغلوب. كما حصل في تحالف **بوش وجورباتشوف** . وأحلاف على طريقة الحلفاء، في الحرب العالمية الثانية الاتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا وامريكا ضد المانيا) وعلى طريقة «المجاهدين» في أفغانستان (الذين يذبحون بعضهم بعضا بشكل جنوني)... الخ.

ومن الاحلاف الغريبة التي نعيشها نحن في أرضنا الجريحة ذلك الحلف القائم بين **حكومة اسرائيل من جهة وبين حركة حماس (حركة المقاومة الاسلامية)** في فلسطين وأمثالها من المعارضة الفلسطينية من جهة وبين حكومة اسرائيل من جهة ثانية.

بالطبع، قد يحسب القارئ اننا نمزح أو نتجنى.. خصوصا وأن ساحة قطاع غزة المحرر قد شهدت فقط في مطلع شهر أغسطس/ آب ١٩٩٤ عمليتين عسكريتين نفذتهما عناصر «حماس» ضد اسرائيل ،في احداهما قتل مستوطن اسرائيلي وجرح آخر وفي الثانية جرح شخص جروحا خفيفة.

لكن من يتمتع بذاكرة متوسطة الجودة، يعرف أن اسرائيل شجعت، في مرحلة معينة، قيام حركة «حماس» (وهي تعلم انها حركة تدعو الى إبادة اسرائيل وإقامة الدولة الاسلامية الكبرى في فلسطين) ومثيلاتها،

نظير مجلي

رسالة حيفا

فغضت الطرف عن انتظام قواها في المناطق الفلسطينية المحتلة. **وسلطات الاحتلال التي كانت تسجن المواطن الفلسطيني لمجرد «ضبطه» حاملا نسخة من صحيفة «الاتحاد» الحيفاوية وتحكم عليه بالسجن ستة أشهر ، فتحت باب الحرية لنشاط**

ياسر عرفات



حماس ولصحفها ولاجتماعاتها ولتدفق الاموال عليها من الخارج. لذلك ليس غريبا أن يقوم بينها حلف.

غير أن الحلف هذه المرة، هو أشبه مايكون بالحلف الذي يقوم مابين المطرقة والسندان.. وهما الجسمان اللذان يقدمان فيمابينهما ،طرفا ثالثا دائما.. ويطمئنانه.

والجهة الواقعة بين مطرقة اسرائيل وسندان حماس اليوم ، هي **السلطة الوطنية الفلسطينية**، ورئيسها عرفات. كلاهما، وكل واحد من جهته، يحاول الضغط عليها وإحراجها وابتزازها لمصلحة أهدافه الذاتية. كل واحد منهما يسعى للمساس بهيبتها واضعاف دورها.

«حماس» ، عندما نفذت هجومين عسكريين ضد مستوطنين وجنود اسرائيليين داخل منطقة الحكم الذاتي الفلسطينية استهدفت التمرد على السلطة الوطنية الفلسطينية وتحديها واختبار رد فعلها . وعندما قامت قوات الامن الفلسطينية باجراء التحقيقات والاعتقالات في صفوف **«حماس» اتهمتها هذه بأنها تفعل ذلك لارضاء اسرائيل كما جاء في بيان** رسمي لها وفي تصريحات لقادتها.

وبالمقابل، اتهمت اسرائيل السلطة الوطنية الفلسطينية بعدم الجدية في ملاحقة الارهاب. واعتبرت اجراءاتها ضد «حماس» مجرد ذر للرماد في العيون، كما صرح بذلك وزير الخارجية **شمعون بيرس** في الاسكندرية (١٩٩٤/٨/١٧). وراح يوجه تهديدات مبطنه بأن المفاوضات الاسرائيلية- الفلسطينية حول توسيع رقعه

المناطق المحررة (الحكم الذاتي) ستواجه عقبات جدية وتبعه في ذلك عدد من المسؤولين، مثل رئيس الحكومة، **اسحاق رابين**، الذي زعم أن السلطة الوطنية قادرة على تصفية الارهاب من حماس وغيرها لكنها لاتفعل كل ما في وسعها. وفي ذات الوقت، كانت قوات الجيش الاسرائيلي تطلق الرصاص على فتى فلسطيني حاول اجتياز الحدود ما بين رفح الفلسطينية ورفح المصرية «بشكل غير شرعي» فأردته قتيلا.

..وهكذا، الحليفان في الحلف غير الرسمي، حكومة اسرائيل وحماس، يجدان نفسيهما وبشكل مخطط متعمد، في خندق واحد.. للمساس بهيبة السلطة الوطنية وإظهارها ضعيفة وعاجزة.

أهداف حماس

لم تخف حركة «حماس» مسؤوليتها عن الهجومين العسكريين المذكورين، بل اعلنت مسؤليتها بشئ من التباهي. وكان مفهوما من إعلانها هذا أنها أطلقت الشرارة الأولى في حربها ضد السلطة الوطنية الفلسطينية، بكل ما يعنيه من كلمة. فهاتين العمليتين هما جزء من مقاومة الاحتلال.

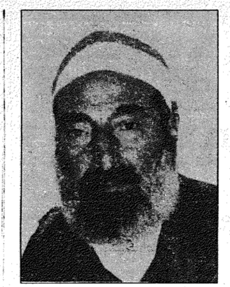
فالمعروف أن معظم اراضي قطاع غزة باتت تحت ظل الحكم الفلسطيني **وكل وجود اسرائيلي فوق هذه الاراضي هو بموجب اتفاق رسمي بين ممثلي الشعبين**، حكومة اسرائيل من جهة ومنظمة التحرير الفلسطينية من جهة ثانية. فإذا كان هذا الوجود مخالفا للاتفاق أو متعارضا مع قانون السلطة الوطنية، فمن حق هذه السلطة فقط أن تحاسبه. وهي تحاول بسط سيطرتها فعلا، مدركة بأن نجاحها في ذلك، هو الطريق لتحويل الحكم الذاتي الحالي إلى دولة مستقلة في المستقبل.

لكن حماس لاتريد كل هذا.

لاتريد، أولا أن تعترف بالسلطة الوطنية. ولا تريد أن يقتنع الشعب بهذه السلطة ويمتثل لقوانينها. ولا تريد له أن يثق بأن هذه السلطة تقود نحو دولة فلسطينية فاذا اقتنع الناس بهذا، ماذا يبقى لحركة «حماس» في الشارع؟

****

لقد كنا فوجئنا للأفضل بتصرف «حماس» مع بداية تسلم السلطة الوطنية زمام الحكم في غزة، اذ رحبت بالعائدين وبرجال الشرطة الفلسطينية. ووعدت بعدم تشويش



أحمد ياسين

عملها. وشارك عدد من رجالاتها في مختلف الاعمال التطوعية. وفي المساجد التي يسيطرون عليها، دعا الائمة الى الوحدة وعدم اراقة الدماء الفلسطينية لأي سبب كان. ووافقت على أن يوقع سجناؤها على التعهد الذي اشترطته اسرائيل لاطلاق سراحهم. وفيه اكدوا مناهضتهم للارهاب وادراكهم بأنهم يتحررون بموجب اتفاق المبادئ الاسرائيلي-الفلسطيني.

فمن الخطل الظن بأن وطنيا فلسطينيا، أيا كان انتماؤه السياسي، يرضى بالتوتر بين السلطة الوطنية الفلسطينية وبين «حماس» أو غيرها من قوى المعارضة الفلسطينية. فمثل هذا التوتر، كيفما يكون حجمة ونطاقه، وحتى لو كان في اطار تمرد على سلطة وطنية واجراءات رد قانونية، هو توتر مضر، لذلك فرحنا وارتحنا في حينه.

لكن، على مايبدو، فان حماس لم تشعر بذلك الارتياح. فالتعايش السلمي بينها وبين السلطة الفلسطينية، لا يكسبها، مثلما لايكسبها التعايش السلمي بين الشعبين الفلسطيني والاسرائيلي.

إن الرصيد الشعبي الاساسي لهذه الحركة وامثالها يقوم على اليأس والتيئيس من كل الحلول السلمية ومن كل تعاون مشترك. بوارق الأمل تعتبر بمثابة عدو لها ينبغي قتله، أن كان ذلك أمل بالسلام أو بالامان أو بحل المشاكل الاقتصاديةفالامر عندها سيان. وقد انتظرت حماس وحليفاتها فترة حتى تجس النبض الجماهيري. ورأت كيف انقلب اتجاه الناس لمصلحة العملية السلمية والتفوا حول السلطة الوطنية والرئيس عرفات بحماس جارف. ولمست كيف ينتظر الناس بقناعة وبأمل بامكانية تغيير الوضع الاقتصادي للأفضل. وشعرت أن الكثيرين من مؤيديها باتوا ينفضون من حولها. وحتى المظاهر الاجتماعية التي روجت لها «حماس» وغيرها من الحركات الاسلامية الحزبية بدأت تتساقط ،لدرجة أن هناك من الشبان الملتحين حلقوا ذقونهم ومن النساء المحجبات من خلعن الحجاب واكتفين بملابس معقولة الاحتشام.

لذلك، بحثت حماس عن طريق لتغيير الوضع.

فماذا تفعل؟ هل تدخل في صدام مباشر مع السلطة الوطنية؟ هذا ليس في صالحها. لذلك لجأت الى العمل العسكري ضد اسرائيل. فهكذا تكسب الناس، الذين مازالوا يشعرون بالعداء لاسرائيل جراء سنوات الاحتلال والقمع والعذاب المريرة والطويلة. واذا اعترضت السلطة الوطنية، فتكون التهمة ضدها جاهزة:«سلطة فلسطينيين تدافع عن اسرائيل وترضي اسرائيل.. الخ». واذا نجحت في استفزاز اسرائيل، فان ضباطها سيخترقون منطقة الحكم الذاتي لمطاردة الفاعلين من حماس، وبهذا تتورط إسرائيل في الاساءة، للسلطة الوطنية وقادتها. وهذا هو المطلوب.

ومن يتابع منشورات وتصريحات حماس بعد العمليتين ورد الفعل الفلسطيني عليهما (التحقيق مع عشرات نشطاء، وقادة حماس واعتقال بعضهم) يلاحظ انها جاءت متطابقة مع هذا السيناريو.

والسلطة الوطنية، رغم حرصها على تجنب الصدام مع حماس ومع بقية قوى المعارضة، صداما جسديا او ناريا، وجدت نفسها تنفذ اعتقالات جماعية فور المطالبة الاسرائيلية بمعاقبة الفاعلين (توقيت سئ، وربما غير مدروس وبشكل كاف، او انه مقصود).

***

ولكن، اذا كان تصرف حماس «مفهوما»، باعتبار انها معادية لاتفاق السلام

الاسرائيلي- الفلسطيني من أساسه، ومعنية بافشاله بكل الوسائل، فان تصرفات حكومة اسرائيل الشريكة الاساسية في هذه العملية السلمية لايمكن أن تكون مفهومة لنا.

ولنبدأ بتصريحات السيد شمعون بيرس، بالذات في الاسكندرية.

السيد بيرس معروف بأنه الأب الروحي والجسدي لعملية السلام الاسرائيلي - العربي وهو أكثر المعنيين بنجاحها، لأن رصيده السياسي كله مربوط بنجاحها. واختياره بالذات لإلقاء هذا التصريح، مع التهديد المبطن بعرقلة المفاوضات، ومع اللجوء الى مصر لتجنيدها (مثلما حاول عرفات تجنيدها قبل فترة عندما «عصلجت» اسرائيل في المفاوضات حول المعابر واطلاق سراح السجناء وادخال بند ادارة الاماكن المقدسة في القدس الى الاتفاق مع الاردن..) ، كل هذا جاء ليشكل ضغطا على الرئيس الفلسطيني حتى «يشدد قبضته» على حماس.. وعلى المعارضة عموما ويقدم التنازلات على طاولة المفاوضات.

قد تكون هذه التصريحات «مريحة» لحكومة اسرائيل في الشارع الاسرائيلي، لتواجه بها المعارضة اليمينية الواقفة لها بالمرصاد. فتظهر متشددة مثل اليمين، وليس رابين فقط بل بيرس المعتدل ايضا.

ولكن، للأسف، هذه حسابات قصيرة النظر للغاية.

فالمواطنون الاسرائيليون الذين يبحثون عن «تشدد»، يفضلون أن يروا هذا التشدد في اليمين واليمين المتطرف. فهكذا يكون أصليا أكثر. وأن رضوا به الآن، فانهم لن يكتفوا به غدا.. عندما تقوم حماس وغيرها بعمليات أخرى.

والساذجون فقط هم الذين يعتقدون بأن عمليات كهذه ستتوقف لا بل أن التطورات التي حصلت بعد هاتين العمليتين تشجع حماس على تكرار الفعلة نفسها وبأشكال مختلفة وربما أخطر. فما الذي سيقوله بيرس عندها، وبماذا سيهدد؟ وهل سيترك شيئا لرابين يهدده به، وهو المعروف بتفوقه على بيرس في هذا المجال؟

***

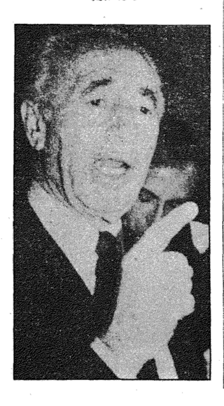
أن حكومة رابين، الشريك الأساسي في عملية السلام الاسرائيلي- الفلسطيني، تبدو في ممارساتها هذه مثل اعدى اعداء السلام. تحكمها المصلحة الانانية قصيرة النظر والتي تعود باضرار اولا وقبل كل شئ على عملية السلام واصحابها. ويندرج تصرفها ضمن سلسلة اجراءات وممارسات تستهدف المساس بمكانة منظمة التحرير، منذ توقيع اتفاق اوسلو قبل سنة (في واشنطن - ١٣ ايلول/ سبتمبر ١٩٩٣)

وأبرزها:

- مواصلة القمع الاحتلالي في المناطق المحتلة. ومع أن هذاالقمع خف نسبيا، لكنه ظل قائما وتسبب في الكثير من الضحايا، قتل، جرح، هدم بيوت، اعتقالات. مداهمات .. الخ.

- الاستمرار في سياسة الاستيطان ومسايرة المستوطنين، والمثل الصارخ على ذلك مجزرة الحرم الابراهيمي الشريف في الخليل (٢٥ شباط/ فبراير ١٩٩٤)، التي ارتكبها مستوطن، واكملتها قوات الاحتلال وزاد الطين بلة قرار لجنة التحقيق الرسمية الذي حصر مسؤولية المجزرة في المستوطن باروخ غولد شتاين بينما برأت قيادات الجيش الميدانية والقيادة السياسية التي ترسم السياسات وتضع القوانين والمفروض انها تتحمل المسؤولية الأساسية عن المذبحة.

شيمون بيرز



- المماطلة في تطبيق بنود اتفاق اوسلو أولا ثم اتفاق القاهرة. فالانسحاب الاسرائيلي من قطاع غزة واريحا لم يتم في موعده، بل تأخر عدة اسابيع، وتسليم بقية المناطق الذي كان مفروضا انهاؤه خلال بضعة اسابيع.. لايزال موضوعا للتفاوض... ويسمح رابين لنفسه بأن يوقف التفاوض في جانب ويؤجل التفاوض في جانب آخر.

- حتى رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية، ياسر عرفات، يجد امامه قيودا في التحرك الحر ما بين غزة واريحا. فلم يؤمن له، بعد، ممر آمن حر، لا جوا ولا برا، ومازال المواطنون العائدون من ممرى الحدود، في رفح او اريحا، يعانون من ساعات الانتظار الطويلة.. والكثيرون يمنعون من دخول الوطن، لمختلف الحجج.

- الموقف الاسرائيلي المتعنت في موضوع القدس والاصرار على تثبيت احتلالها. وقد زاد الطين بلة اعطاء مكانة مميزة وأفضلية عليا للمملكة الاردنية في ادارة الاماكن المقدسة فيها، عند الحل النهائي. ان وضع هذه الفقرة في الاتفاق الاردني- الاسرائيلي، اعتبرت استفزازا للجانب الفلسطيني، المفروض أنه صاحب القدس واعتبرت محاولة لدق الاسافين مابين الشقيقين العربيين، الأردن وفلسطين.

ان هذه المواقف والتصرفات المتلاحقة وغيرها.. تمس بمكانة منظمة التحرير. ويستغلها خصومها من المعارضة للطعن في مصداقيتها وهيبتها.

بالطبع، منظمة التحرير من جانبها لاتسلم بالامر الواقع، وتقوم بالتصدي لهذه الممارسات على ارض الواقع وبتجنيد مصر وباطلاع الرأي العام العالمي وحكومات الغرب على كل التطورات. ولكن الجهود التي تصرفها في هذا المجال تستنزف قواها وتشغلها عن مهماتها الاساسيةفي استثمار الجوانب الايجابية في اتفاق اوسلو وتوقعها في زحمة وضغط يتسببان في اخطاء عديدة واجراءات متسرعة.. هي في غنى عنها.

لقد وصلت الأمور في هذا المجال الى مرحلة تستدعي وقفة مجددة لدى كل الاطراف، اسرائيل ومنظمة التحرير والمعارضة والقوى الداعمة لعملية السلام عربية واجنبية، لإزالة العقبات التي تعترض طريق عملية السلام. فالقطار انطلق ولامجال لعودته الى الوراء. وليس هناك من مفر سوى تسهيل الطريق وتوضيح الهدف لمصلحة جميع الاطراف.

سلام إسرائيل
تمزيق العرب

مدحت الزاهد

فى ٢٥ يوليو ٩٤. وفى حديقة الورود بالبيت الأبيض وقع العاهل الاردنى «**الملك حسين**» ورئيس الوزراء الاسرائيلى «**اسحاق رابين**» على اتفاق لانهاء حالة الحرب وبدء عهد من السلام والتعاون بين الاردن واسرائيل.

وقد أثار الاتفاق الاردنى- الاسرائيلى ولايزال، ردود افعال واسعة فى العالم العربى فالاتفاق- مع التطورات فى المسارات الأخرى- كشف حقيقة التسوية السلميه للصراع العربى- الاسرائيلى عارية، بلارتوش. أو اوراق توت تتستربها التسويات المرحلية والمنفردة رغم كل الصفحة التى احاطت بافتتاحية مؤتمر مدريد.

والتطورات الأخيرة منذ هذه الافتتاحية كشفت عن أن هدف المؤتمر هو فتح الطريق لشرق اوسط جديد تنهض فيه علاقات اسرائيل مع الاطراف العربية المختلفة، وتنسج فيه الرابطة الشرق اوسطية وعلاقات التعاون الاقليمى على حساب الرابطة العربية والتضامن والتنسيق العربى.

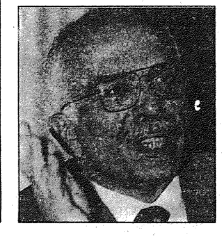
اختراقات

وقد ناور المفارض الاسرائيلى بذكاء لتأكيد هذا التوجه، فى اللعب بالمسارات الثنائية المختلفة، لا ستخدام الاختراق فى هذا المسار او ذاك لتطويع المسارات الأخرى وتليينها، واستخدام أى انجاز فى احد المسارات، لاضعاف الشرط التفاوضى للمسار الأخر، وتجميد المسار المتقدم لتنشيط مسار اخر يبدو منافسا وبديلا، حتى بدا المفاوض الاسرائيلى وكأنه **قد نظم مسابقة بين الاطراف العربية فى لعبة الكراسى الموسيقية، والتى يقل عدد مقاعدها بمقعد عن عدد المتسابقين**..

وفى مثل هذه اللعبة تبدو طبيعة مشاهد الشد والجذب ومحاولة دفع الأطراف الاخرى خارج الساحة، مادام هناك طرف ماسوف يخرج فى النهاية بلامقعد.. واحيانا مايحدث أن يتزاحم طرفان فى مقعد واحد.

وقد لخص **اسحاق رابين** منطق المفاوض الاسرائيلى والعابة البهلوانية فى كل المسارات بقوله :إن **اسرائيل تؤمن بالسلام الشامل ولكنها لاتؤمن بالمفاوضات الشاملة او المتزامنة لان أى طرف متمرد يمكن أن يعيق حركة الاطراف الأخرى.**

ولم يحدد رابين معنى التمرد.. التمرد على ماذا؟ ولكنه كشف مع ذلك أن التسوية الشاملة هى مجموعة التسويات المرحلية والمنفردة التى تتحقق تباعا فى الزمن بعد أن يدفع كل طرف مقدما فاتورة حسابها.


الملك حسين

الشكل والمضمون

وهكذا يبدو الآن- وقد كان الوضع كذلك من الأصل- أن **الخلاف الذى دار منذ الاعلان عن مؤتمر جنيف عام ٧٣ حول لجان المؤتمر.. هل هى لجان موضوعات (الامن.. الحدود.. السلام.. الخ) تشارك فيها الوفود العربية مجتمعه مع الوفد الاسرائيلى، أم لجان ثنائية على اساس جغرافى.. لم يكن خلافا حول الشكل- بل المضمون**..فطوال مراحل المفاوضات فإن وحدة الشكل والمضمون كانت واضحة فى استراتيجية المفاوض الاسرائيلى رغم كل الضجيج الاعلامى العربى حول التسوية العادلة، والشاملة والثابتة والدائمة إلى آخر تلك النعوت التى اطلقها كل طرف وهو مندفع فى طريق تسوياته المرحلية والمنفردة.

اتفاقات مرحلية

وللإنصاف فإن هذا التاريخ لايبدأ بوقائع الاحتفال فى حديقة الورود بانهاء حالة الحرب بين الاردن واسرائيل فى ٢٥ يوليو الماضى. **بل يمتد إلى اتفاقية فصل القوات الأولى عام ٧٤ إلى اتفاقية سيناء عام ٧٥ إلى كامب ديفيد ثم التطبيع، وصولا إلى اعلان المبادئ الاسرائيلى الفلسطينى (اتفاق اوسلو) فى ١٣ سبتمبر ٩٣ ثم أتفاق القاهرة (التنفيذى) فى ٤ مايو ٩٤ ، إلى الاتفاقات المحتملة اللاحقه فى المسار الفلسطينى والأردنى ثم السورى واللبنانى.**

عادت بنا التطورات الاخيرة اذن بعد مدريد إلى التسوية الحقيقية: بشحمها ولحمها وصفاتها الحقيقية (**الخطوة.. خطوة**) (**قطعة من الارض مقابل قطعة من السلام**) والصراعات التى تثيرها الاتفاقات

المنفردة بين الاطراف العربية فيما بينها.

ذكر النحل

ومن هذه الزاوية يمكن القـول أن اهم مايثيره الاتفاق الاردنى الاسرائيلى أنه قد تم فى فترة يجرى فيها تجميد عمدى للمسار الفلسطينى، الذى تحقق فيه أول اختراق، وتعطيل بعض البنود التى تم الاتفاق حولها، والتحايل على بنود أخرى، وتعطيل المفاوضات حول ماينبغى اتخاذه من خطوات لاحقة لتنفيذ اعلان المبادئ المبرم فى ١٣ سبتمبر.

والنقطة المثيرة للانتباه أن المفاوض الاسرائيلى استخدم المسار الاردنى لضرب المسار الفلسطينى وجدد المخاوف التى اطلقها الكاتب الصحفى **محمد حسنين هيكل** حو الدور المطلوب من عرفات فى التسوية، كذكر النحل يلقح الملكة: ثم يموت.

ترويض

والسؤال هو: هل أرادت اسرائيل، أن **تستخدم المنظمة فى تلقيح التربة الفلسطينية للدور الاردنى** باعتبار أنه لم يكن بوسع أى طرف أخر أن يقوم بعمليه التلقيح غير عرفات ومنظمة التحرير؟

أم أن اسرائيل تستخدم المسار الاردنى لتطويع المسار الفلسطينى، كتوجه استراتيجى، يلعب فيه المنافس دور المروض، وتتكامل فيه الأدوار **فى اتجاه** الكونفدرالية الاسرائيلية: **الاردنيه- الفلسطينية، تحت الهيمنة الاسرائيلية؟**

كما أن المفاوض الاسرائيلى استخدم المسار الاردنى فى محاولة الحسم المبكر لتصفية خلافية كانت مؤجلة لمرحلة أخرى من المفاوضات، وفقا لإعلان المبادئ الفلسطينى- الاسرائيلى **وهى قضية القدس.**

أى أن المفاوض الاسرائيلى يستخدم المسار الاردنى فى تعديل الاتفاق الفلسطينى الاسرائيلى.

بدأت القصة بأن وجه رابين الدعوة للملك حسين للصلاة فى القدس، وذكر أن للاردن حق الولاية الروحية على الاماكن المقدسة فى المدينة (القدس الشرقية) التى تعتبرها منظمة التحرير الفلسطينية عاصمة الدولة الفلسطينية، بينما تعتبرها اسرائيل عاصمة أبدية للدولة الصهيونية، على مر الاجيال.

ولكن اعلان المبادئ الفلسطينى قد أرجأ كل هذه القضايا الشائكة إلى مرحلة لاحقة فى المفاوضات.. القدس واللاجئين والسيادة والمصير، ولكن الاتفاق الاسرائيلى الاردنى نزع هذه القضية وحاول إغلاق ملفها، وقصر حقوق الولاية عليها، فى الاماكن الروحية.

المنافس والشريك

خلفية هذا التوجه أن الأردن يبدو بالنسبة لاسرائيل فى القدس، وربما فى كل الارض المحتلة، كشريك، بينما تبدو منظمة التحرير كمنافس، ومن هنا تبرز أهمية الدور الاردنى فى تحويل المنظمة من علاقة المنافسة إلى علاقة الشراكة.

أكثر من ذلك تبدو اسرائيل، وكأنها تتصرف مع منظمة التحرير الفلسطينية بحساب بل كثيرا ماتتعمد إهانة عرفات، كما صرح هو بنفسة للصحافة الاسرائيلية، وكأنها لاتريده أن يدخل الارض المحتلة مختالا يمتطى صهوة جواد.

اجلت اسرائيل الانسحاب من غزة والذى كان مقررا له ١٣ ديسمبر الماضى. لعدة شهور، واجرت تخفيضا غير مشروع على مساحة اريحا، واكد رابين أن مايجرى الحديث عنه ليس الانسحاب ولاحتى إعادة نشر القوات الاسرائيلية، بل خروجها من المناطق السكانية الكثيفة، واصرت اسرائيل على السيادة على المعابر واجلت انتخابات سلطة الحكم الذاتى التى كان مقررا لها ١٣ يوليو الماضى، إلى موعد لم يحدد بعد.

وبين اتفاقين، أى اتفاق اوسلو، وأتفاق القاهرة التنفيذى، جرت مذبحتان **مذبحة الخليل** فى ٢٥ فبراير الماضى **ومذبحة فى غزة** فى ١٦ يونيو الماضى

الأولى عندما تم فتح النار على جموع المصلين فى ساحة الحرم الابراهيمى، والثانية عندما مزق جنود الاحتلال بطاقات عمل العمال الفلسطينيين عند حائط ارينز، وصاحوا فى وجوههم ساخرين

قدموا شكوى لعرفات.

ليس هذا كل مافى الامر، بل يثير الانتباه ايضا تعطيل المساعدات الدولية التى كانت مقررة لمنظمة التحرير لمساعدة سلطة الحكم الذاتى وإعادة بناء البنية الأساسية التى دمرتها سلطات الاحتلال واضعاف البيئة التى تترعرع فيها الاصولية، حسبما اثير وقتها، وتدعيم سلطة عرفات فى مواجهة منافسيه.

رسائل الغزل

ليس أهم ما فى الاتفاق الاردنى الاسرائيلى أذن اتفاق الربط الهاتفى المباشر، أو التعاون السياحى أو انشاء معابر اتصال، او حتى فتح الاسواق وحرية التجارة، الاهم منه من وجهة نظر عرفات محاولة استخدام المسار الفلسطينى فى ضرب المسار الاردنى، وإعلان ولاية الأردن الروحية على مساجد القدس الشرقية.. **والاهم أن الدور الاردنى سوف يستخدم فى خنق محاولة انتزاع جنين دولة من مشروع الحكم الذاتى الانتقالى.**

لم تكتف اسرائيل فى المسار الفلسطينى باتفاق مرحلى (الحكم الذاتى الانتقالى ٥ سوات) لأزمه أتفاق مرحلي أخر (غزة واريحا اولا) واتفاق تنفيذى للاتفاق المرحلى، بل بدا وكأنها تحاصر وتحاول خنق المسار الفلسطينى

وفى حقيقة الامر فإن نجاح المفاوض الاسرائيلى لايعود إلى عبقرية فريدة للعقلية الصهيونية المدعومة امريكيا، **بل يتصل بانهيار شامل فى مواقف وارادة المقاومة لدى الانظمة العربية التى كانت مسيرة التسوية بالنسبة لها هى مسيرة الاندماج فى علاقات التبعية والانشطار كشظايا متناثرة ومتنافرة..**

فى هذا السياق كان بوسع رسائل الغزل الاسرائيلى أن تصل إلى عمان، وهى رسائل موجهة عن عمد لاحداث شقاق فلسطينى- اردنى

من ذلك مقال بيريز: (نعترف بشرعية الاردن خلافا لليكود الذى يعتبر الاردن فلسطين)

(قلنا لهم الاردن بالنسبة لنا هو الاردن)

فاسرائيل غازلت الاردن برسالة واضحة أن فى قوة المنظمة ضعف الاردن ذى الاغلبية الفلسطينية، وأن العمل ليس مخلدا فى الحكم وقد يأتى الليكود غدا ويقدم للفلسطينيين هدية بسيطة عبارة عن دويلة فلسطين فى الاردن بدلا من النزاع حول الارض المحتلة من قبل إسرائيل.

والامير الحسن، ولى عهد الاردن كان واضحا فى التقاط الرسالة إذ قال: «**إن عدم مبادرة الاردن للتحرك فى مساره المستقل قد يؤدى إلى تهميش دوره فى المنطقة وإلى صعود التطرف باشكاله العرقية والمذهبية والطائفية**».

كما تحدث **الملك حسين** أمام كبار الضباط عن ضغوط يتعرض لها الاردن تهدد **بانهياره وانقسامه**.

فالتوجه الاردنى نحو السلام اذن توجه استراتيجى حاول الملك حسين أن يعوض به ضعف الاوراق المتاحة له، باستخدام دوره كمنافس، وبالاندفاع الشديد فى علاقات التعاون والتكامل مع اسرائيل، وأن يكتسب من خلال هذه العلاقة عناصر قوة.

خلاف سورى- أردنى

والاتفاق الاردنى الاسرائيلى لم يسفر عن احتمالات خصام اردنى- فلسطينى فقط، بل ايضا أثار امكانية خصام أردنى - سورى

وأزمة التسوية السورية، أن خطوط البحث فى ملفهما مفتوحة، ولكن احتمالات حسمه مؤجله، وهى تتهم **جميع الاطراف أنها خانت سوريا.. السادات فى اتفاقية سيناء وكامب ديفيد، وعرفات فى اتفاقية اوسلو والمفاوضات السرية التى سبقتها، وحسين فى اعلان واشنطون فى حديقة الورود**.فمن بقى اذن من الاطراف العربية لم يخن سوريا سوى لبنان؟

هذه الاجواء بدت واضحة فى التصريحات التى أدلى بها **الرئيس الاسد** فى اعقاب الاتفاق الاردنى الاسرائيلى وذكر فيها أن البعض قد خرج على التنسيق ووحدة الصف ويتحمل المسئولية امام شعبه والجماهير العربية كافة.

والاحساس السائد فى دمشق أن كل طرف يسبق يضعف من المركز التفاوضى للمفاوض السورى وكأن الطرف الذى يلتهم حصة من كعكة التسوية لايترك لغيره الا القليل ، والمشكلة أن الكعكة لاتكفى الجميع.

من هذه الزاوية يبدو مفهوما تحفظات دمشق على شهر العسل الاسرائيلى -الاردنى وعلى الاعلان الاردنى الخاص بانهاء حالة الحرب مع اسرائيل بينما لاتزال اراض سورية واردنية وفلسطينية ولبنانية محتلة.

ويثار السؤال فى دمشق: ألم تشارك الاردن فى الحملة ضد السادات عندما اعلن أن حرب اكتوبر آخر الحروب بينما لاتزال الارض العربية محتلة.. فماذا جرى الآن؟

فاتورة الحساب

ودمشق تدرك بالطبع ماجرى، مثلما تدرك ان الاردن لم يرفع السلاح فى أكتوبر وليس من المحتمل أن يرفعه هو، او أى طرف أخر فى المدى القريب،، ولكن السؤال يظل مشروعا **لماذا العجلة والتنازل المجانى الذى يضعف حتى القاعدة القانونية للتفاوض والاجواء النفسية، وربما ايضا ماء الوجه...؟**

باختصار تشعر دمشق أن ملفها مؤجل عن عمد لذيل جدول الاعمال حتى تسدد غدا ماترفضة اليوم.. ولهذا تحرص دمشق على مابقى معها من اوراق الضغط.. **علاقاتها بالمعارضة الفلسطينية للاتفاق.. وعلاقاتها بفصائل المقاومة فى لبنان.. وعلاقاتها بايران**، وذلك بعدان ادركت صعوبة «التوازن الاستراتيجى» فى اجواء الصراع العربى- العربى، وطرحت بدلا من ذلك شعار «**الكل مقابل الكل**»

أوراق الضغط

ودمشق لازالت تملك اوراقا للضغط دفعت **فاروق الشرع** وزير خارجيتها إلى التصريح (ليس صحيحا على الاطلاق أن عملية السلام أضعفت سوريا، بل أن الذى حدث هو عكس ذلك، **من دون سوريا لن يكون هناك سلام فى الشرق الاوسط**، وإذا لم يتحقق السلام الشامل بمافى ذلك تقدم فى المسارين السورى واللبنانى سيكون من الصعب المحافظة على الوضع على صعيد مسيرة السلام كلها.

معنى ذلك أن دمشق تناور بمالديها من اوراق تندرج تحت خانة «**المعارضات**» فى تهديد ماتم انجازه فى المسارات الأخرى..

ولكن عمان تشجعت هذه المرة على دمشق ولم تبلع النقد السورى واعلن مسئول كبير «**أن دمشق تريد أن تأخذ دون أن تعطى وأن تقاوم الضغوط، ولاتفعل شينا لمساعدتنا باستخدام علاقاتها الطيبة مع دول الخليج لانهاء عزلة الاردن ومقاطعته بعد حرب الخليج**»

ومن المفارقات المثيرة فى مسيرة التسوية أن اسرائيل هى التى كسرت عزلة الاردن بتعويضه بالوسط الاقليمى، وبعلاقات حسن الجوار الاسرائيلى الاردنية، وبالتوصية لدى واشنطون لإسقاط الديون المستحقة على الأردن..

فنفس المسئول يصرح «**لقد اكتشفنا أن الدولة اليهودية هى مدخل الاردن إلى واشنطون وليس العكس**). والامير الحسن يضيف لماذا تغضب سوريا وهى تسير فى اتجاه الدبلوماسية الدولية والامريكية لحل مشكلة الجولان.

جدول المراقبة

ودمشق تغضب لان الجدول الزمنى للانسحاب الذى أقترحته اسرائيل يمتد على ثمانى سنوات، وهو يتضمن مثله مثل الاتفاق المصرى والفلسطينى اتفاقات مرحليه يجرى فيها التطبيع وفتح الشعارات وأقامة علاقات السلام قبل استكمال المراحل النهائية للانسحاب.

أنه نفس الجدول: **جدول المراقبة والتطويع** وقد يمكن، بل ومن المرجح اختصار المدة، غير أن العملية التحويلية المطلوبة فى علاقات سوريا العربية والدولية وبنية الوضع الداخلى السورى. هذه المهمات غير قابلة للاختصار.. وسوريا وان ناورت بذكاء بمالديها من أوراق إلا أن المياه الجديدة فى الشرق الأوسط تفرض عليها ألا ترفع صوتها عاليا سواء، فى معارضة الاتفاق الفلسطينى -الاسرائيلى، أو الاردنى -الاسرائيلى، وهى تستوعب جيدا المثل الشهير «**لاتبصق فى بئر قد تضطر للشرب منه**»

لهذا السبب تبدو المعارضة الان للاتفاقات المرحلية والجزئية والمنفردة، أكثر هدوءا، وكأنه كتب على السادات أن يكون رائدا فى كل شئ بما فى ذلك حجم المعارضة ضد كامب ديفيد المصرية.

وحتى نصل إلى نهاية مسيرة التسوية يكون مطلوبا تحويل لافتة المنطقة إلى **(الشرق الأوسط العالم العربى سابقا)..**

إرادة المقاومة

والمفارقة الغريبة أنه رغم كل ماأثير عن علاقات القوى والنظام الدولى الجديد والقطب الواحد فإن **عناصر القوة فى الوضع العربى كانت بسيطة للغاية.. انتفاضة الحجارة فى ارض فلسطين المحتلة.. والمقاومة الباسلة للشعب اللبنانى فى الجنوب، ونضال الشعب المصرى** ضد التطبيع، ولكنها عناصر لاتنتمى إلى علاقات قوى ونظم دولية أو جيوش حكومات بل تنتمى ببساطة إلى إرادة المقاومة.. ولهذه الارادة، مثل مسارات التسوية. مسار، وصراع الارادات سوف يحدد فى النهاية نتيجة الصراع.

اليمن : مأزق الاندماج ومفارقات الانفصال والوحدة

عبد السلام نور الدين

رسالة عدن

هل خطر ببال أكثر المتشائمين حول مستقبل اليمن السياسى أو ذهن أكثر خصوم اليمن حقدا أن ينتهى ذلك المحفل الجليل للوحده اليمنية التى تمت فى ٢٢-٥-١٩٩٠- بمذابح ومحارق فاجعه لاتقع عادة بين أكثر الأعداء غلظة وضراوة ناهيك عن الاحباب الاشقاء ؟إذ يعد كل مانقلته قنوات الارسال الفضائية نذرا يسيرا من واقع ماحدث فى طول البلاد وعرضها التى تحولت بمشيئة اليمنيين وارادتهم الحرة الى ميدان واسع للتنابذ والملاعنه والتناحر تكنولوجيا الهدم والموت.

يبدو إن المفاجأة غير الساره لذلك الفشل الكامل للوحده اليمنية التى لم تدم طويلا مردها مفارقة أنه قد جرت سنه اليمنيين أيام التشيطر القديمة أن يقتلوا اولا ثم يختصون قتالهم باتفاق جامع يدعو الى وحدة فورية كما حدث فى حرب ٧٢- و١٩٧٩. أما هذه الكره فإن اليمنيين اجمعوا اولا على **وثيقة العهد والاتفاق بعد جهد** وعمل متواصل طويل ووقعت كل الاطراف على ذلك فى محفل اقليمى كبير ثم انتقلوا مباشرة من الاتفاق الى حرب ضروس أذهلت الجميع واغرقت المراقبين والمحللين فى اضطراب وتضارب وفوضى فى التصورات والتفسير والاستنتاج، إذ ذهب بعض المعلقين إن حرب اليمن التى توقعوا لها زمنا طويلا وجاءت قصيرة وحاسمه تعد ملحقا شفويا لحرب الخليج قامت فيه المملكه العربية السعودية ودول الخليج بدور الممتحن الخارجي وكل ذلك لعقاب اليمن واليمنيين لموقفهم الذى صب فى نهاية المطاف فى مجرى **صدام حسين**، وسار العقل التشبيهى الى نهايته المنطقية فى تفصيل الملابس وتوزيع الادوار على اطراف النزاع فى اليمن لتتطابق مع سيناريو حرب الخليج.

ولكن وقائع ويوميات ونتائج حرب السبعين يوما اليمنيه اباتت بجلاء أن حرب الخليج بكل اطرافها وملابساتها كانت بداية النهاية للحرب البارده التى ذهبت **بهوش وشامير** مع الانتخابات الاسرائيلية والامريكية، أما الحرب اليمنيه فقد خطت أولى القسمات البارزه فى طريق النظام العالمى الجديد فى العالم العربى حيث تتقاطع فيه المصالح والطموحات والنزاعات الجديدة (بعد غياب السوفيت) بين القوى الاقليمية، ودول الاتحاد الاوربى، والولايات المتحدة واليابان، وأن هذه المصالح وتنازعها لم تعد فى طى الكتمان، وقد استطاع الرئيس **على عبد الله صالح** أن ينفذ الى حيث يريد ويشاء من ثغرة التنازع بين الولايات المتحدة والقوى الاقليمية من جهة، وبين كل هؤلاء ودول الاتحاد الاوربى حيث وقفت اليابان فى مفارق الطرق موزعه الاهواء والمشاعر، ورقص **على سالم البيض** كالريشه المعلقة فى الهواء اذ **«تخلى عن كل قواعده وتحالفاته آملا فى المستحيل فى وقت حافظت فيه كل الاطراف المتنازعة الأخرى على ثوابتها وتحالفاتها وفقا لطبائع الاشياء.**

مفارقات وعجائب التحالفات والمواقف فى الحرب اليمنية

أضحى مدخلا تقليديا مألوفا أن يعتذر الكتاب عن اليمن فى مقدماتهم عن نقص المعلومات المتوفرة عن حقيقة الأوضاع الاقتصادية وتعقد البنيات العشائرية وخفاء جوهر اتجاهات النزاع أما اليمنيون انفسهم فيستطرفون كل ذلك، فاذا كان الآخرون لايعرفونهم حقا فذاك يستخفهم طربا، ويمنحهم قدرا من الحرية فى التصرف والسلوك السياسى وغموضا لايخلو من جاذبية يحلو لكل انسان أن يحيط به نفسه. يروى عن **الأمام أحمد بن يحيى حميد الدين** أن قد اصابه الملل يوما، فاستدعى الى مجلسه تركيا اشتعل رأسه شيبا فى اليمن، ولم تفارق العجمى لسانه بعد، وله خطرات معروفة عن غرائب اليمنيين وعجائبهم، فإذا الامام أحمد يستطرف وينتشى بمفارقات التركى عن شوارد اليمن وتجاربه فيها، فطلب منه أن يوجز بصراحة مارأى فى اليمن وله الامان فيما يقول فاجاب:،، ياخارجا عن بلاد اليمن لاترجعن، ياداخلا لاتعجبن، قانونها **لايكتبن، لايقرأن لايفهمن».**

يبدو أن مفاجآت الحرب اليمنيه الاخيره قد أضفت قدرا من المصداقية على عجائب اليمن كما قد وردت على لسان التركى أمام الامام أحمد لو صحت الرواية اصلا، فقد انهارت الوحده اليمنيه بالضبط فى ذات الشهر مايو الذى تحققت فيه، وقد وافق الانفصال يوم اعلان الوحده بعد أربع سنين على وجه التحديد، وقد توقع كل المراقبين والذين يديرون الحرب أن يطول امدها فكانت قصيرة نقيضا لكل التوقعات. وقد اطلق عليها الجميع الحرب الاهليه ولكنها كانت نظاميه محكمة التخطيط والاداء والتنفيذ، **حزب التجمع اليمنى للإصلاح الاسلامى الذى وقف بصرامه ضد الوحده والدستور ووصمها بالكفر وبالإلحاد حارب من أجل الوحده تحت رايات الشرعيه الدستورية وألحق بالخارجين عليها لعنه الكفر والالحاد مرة أخرى**، الأمين العام للحزب الاشتراكى اليمنى أكثر المتحمسين للوحده الفوريه

الاندماجية والعضو التقليدى المتطرف والمتبقى فى الجبهة القومية التى رأت فى الوحدة اليمنية– هوية للجبهة ثم للتنظيم السياسى الموحد ثم الحزب الاشتراكى والذى ابرم اتفاقية الوحده مع نظيره الرئيس **على عبد الله صالح** ثم دفع مكتبه السياسى واللجنة المركزية لتأييد خطواته الوحدوية الفورية الاندماجية **قد اعلن الانفصال أولا ثم طلب التأييد من حزبه الاشتراكى فنال بحق جلباب وشارة درويش الوحده وبطل الانفصال.**

قد حارب إلى جانب جيوش الاشتراكى التى يقودها العميد العطاس وبن حسينون والبيض نفسه **جيش الانقاذ الذى عبر الحدود قادما من المملكة السعودية لنجدة البيض والمشكل من شيوخ محميات الجنوب العربى وسلاطينها،** والذين جندوا وتلقوا الرعايه والدعم الادبى والتمويل من **المملكة العربية السعودية** قديما لانقاذ اليمن الجنوبى من براثن الحزب الاشتراكى. ضد الجيش الذى يقوده **على عبد الله صالح** والذى ظل يحظى لزمان ليس بالقصير بعواطف المملكة وتأييدها.

توجه أمين عام الحزب الاشتراكى اثناء الحرب الى حضرموت ليخاطب قبائل **الصيعر وعبيده ومراد** لاستنهاضها لتوطيد مشروعه الحضارى فى الدولة الجديدة التى تتوزعها قيادات عشائرية ومناطقية فى شبوه وابين. ومنحت عدن لجبهه التحرير التى لم يعد لها وجود كتنظيم فى اليمن ، وتطابق تشكيل مجلس رئاسة جمهورية اليمن الديمقراطية مع التوزيع المناطقى للجنوب. ثم اضاف مجلس رئاسة البيض الجديد فقرة بتبنى دستور الجمهورية اليمنية ووثيقة العهد والاتفاق فى دوله انفصالية لاعلاقة لها بالجمهورية اليمنية وفى موقع المواجهة العسكرية معها، ومضى البيض فى مفارقاته فاصدر امرا جمهوريا باغلاق مصنع البيره فى عدن، ثم الحقه بامر آخر يحرم فيه شرب الخمر فى عموم الجمهورية الجديدة الامر الذى لم يصدره مجلس النواب الذى يضم غلاة الأصوليين.

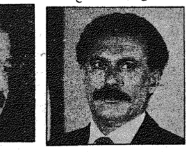
وتلاحقت عجائب الحرب والانفصال بأن تبنى أمين عام الحزب الاشتراكى رأسمالية اقتصاديات السوق فى بلاد اتفقت كل الاطراف فيه على تنشيط كل القطاعات الاقتصادية الدولة، والمختلط، والتعاونى، والخاص.

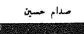
حافظ الرئيس صالح قبيل الحرب وأثنائها على تحالفاته وقواعده القبليه والحزبيه القديمة واضاف اليها قوى وطنية جديدة ظلت تقف بمنأى عن سياساته متوجسة أو متحفظه أوفى المعارضة ولكنها ترى فى الوحده اليمنية– صيغة محورية تدور حولها كل قضايا اليمن الأخرى. أما أمين الحزب الاشتراكى فقد أجرى مقايضه أشبه بالمغامرة على موائد المقامرة إذ **استبدل تحالفات الحزب الاشتراكى التاريخية فى الجنوب والشمال بالاعداء التاريخيين لذات الحزب من رابطة ابناء الجنوب، وجبهة التحرير، والذين دمغوا فى عشيه الاستقلال بالخيانة والغدر والتخابر مع الاجانب، ولحق بهؤلاء، اصحاب الجمعية العدنية، .. واللوبى الحضرمى الذى لم يخالجه الاحساس يوما بانتماء اقليم حضر موت الى اليمن الكبير. وتخلى امين الحزب الاشتراكى البيض صراحة عن كل القوى الوطنية فى الشمال وعن تلك الجماهير فى مأرب والمنطقة الوسطى والبيضاء والحجرية وتعز وتهامه وصعدا التى وقفت معه وأدلت بأصواتها لحزبه وقبل ذلك لم يابه أمين الحزب الاشتراكى بالمصير** الغامض الذى سيواجه اعضاء الاشتراكى فى الشمال الذين سيواجهون موقفا وعليهم ان يدافعوا ويبرروا قرارا لايعرفون عنه شيئا فى فوضى الحرب، وجنون العداء، وغياب العقل إذ كيف يستقيم لهم أن تستجير قياده الحزب الاشتراكى بخصومها من السلاطين وقاده جبهة التحرير ورابطة ابناء الجنوب وعدن للعدنيين فى جيش الانقاذ القادم من خارج الحدود، وتتحالف معهم وتعلق مستقبلها ومصيرها على قرارات مجلس التعاون الخليجى، والامم المتحدة، وتتعلق بوهم انزال مظلى من الغرب سريع لانقاذ عدن وفى ذات الوقت تتخلى عن هويتها الوحدودية، **وتعلن الانفصال وهى محاصرة بالماء المالح وجيوش على عبد الله صالح وعلى ناصر محمد والتجمع اليمنى للإصلاح ؟** تنتظر الاعتراف والنصر والتناصر وكل القوى الوطنية واليسارية من حولها قد سقطت فى جب الحيره والارتباك والاغتراب والعزلة؟.

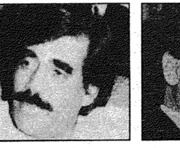
إذن ماذا جرى؟ ولم حدث كل ذلك، ماطبيعة المجرى الذى اقلعت منه كل تلك التناقضات والنقائص والمفارقات وتبدلات المواقف وتغيرات المواقف؟ لم هرب البيض سياسيا من حلفائه ولجأ الى خصومه؟ لم وقفت دول الجزيرة والخليج مع استمرار الحرب عمليا ولم تمد يد العون للبيض وتخلت عنه؟ لم تقاطعت مصالح الغرب والخليج فى حرب اليمن اذ وقف الغرب عمليا مع الوحدة ودول الجزيره والخليج مع الانفصال واشتركا فى قاسم مشترك واحد أن تترك الحرب ووقائعها لتقرر على الارض مصيرها ؟

عبقرية المكان وصراعات الزمان

ظلت اليمن بركنها الجنوبى الغربى ملتقى لطرق اسيا البحرية وافريقيا وشبه القارة الهندية وعلى مدخل البحر الابيض ويمكن الابحار منها مباشرة الى استراليا، ومحورا لمصالح وصراعات الدول الكبرى والقوى الاقليمية الممتزجه بالتطلعات المحليه منذ تاريخ موغل فى القدم. قاد نزاع الحضارتين الفارسيه والرومانية فى القرن السادس والسابع الميلادى الى احتلال اليمن من قبل الاثيوبيين وانفجار بركان الخلافات الدينية بين الوثنيه والمسيحية واليهودية وانقلاب توازنات القوى المحليه الفاعله مما أدى إلى اضطراب طرق الملاحه الدولية وانتقالها من البحر الى القوافل البرية وتحول مركزها من مدن الجنوب الى تجار مكه القرشيين فى الشمال الذين ابتدعوا تجارة الايلاف متخذين موقفا وسطا فى التقاتل بين فارس وروما ليتسهل عليهم رحلات الشتاء والصيف والانتقال من الغرب الى الشرق آمنين برؤوس اموال القبائل العربية التى اضطرت الى حماية طرق تجارة الايلاف لتجنى ارباح رؤوس اموالها التى بيد التجار من قريش، فانتعشت الاسواق فى جزيرة العرب واضحت لها مواسم ومواقيت معروفة طبقا لدورات الفصول والمحاصيل والسلع


على عبد الله صالح


صدام حسين



على سالم البيض

الوارده من وراء البحار والخلجان فانتعشت الثقافة وحدت القبائل من حروبها ، ودخلت فى اتحادات وتحالفات واسعه انبثق فى وعيها نزوع بتميزها وقواها اذا تجمعت وضعفها اذا تفرقت . وجاء الاسلام ليصوغ ذلك النهوض التجارى والوعى بالدور والحضور الفاعل . لجزيرة العرب واطرافها والتمايز الثقافى والدينى فى انتقال حضارى تجاوز فارس وروما والمسيحية واليهودية والوثنية. استطاعت مصر فى العصر المملوكي الأول أن تزدهر تجاريا بفضل تأمينها لطرق الملاحه فى جنوب جزيرة العرب التى تمر عبر البحر الاحمر ثم تنتقل البضائع الى نهر النيل لتصعد قدما الى مدن البحر المتوسط وشهد النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادى ازدهارا تجاريا فى المدن المصرية والشاميه - بيروت وطرابلس وعكا ودمشق واللاذقية وارتبطت بحركة المدن الايطالية فى بدايات عصر النهضة الاوروبية وسددت الدولة المملوكية ضربه ساحقة للاسطول البرتغالى فى المحيط الهندى ١٤٥٢ الذى سعى لكشف طريق جديد للتوابل واللبان والحرير القادم من اقصى الشرق والهند والخليج واليمن يمر برأس الرجاء، الصالح مما يكلف تجار المدن الايطالية رهقا ماليا لطول الطريق الذى يدور حول افريقيا بدلا من الممر التقليدى الذى يمر من عدن ثم الى نهر النيل عبر البحر الاحمر فالقاهرة الى الاسكندرية فالشام فالمدن اليونانية والايطالية. ولكن تقدم الجيوش العثمانية الغازية الى الشرق العربى قد عجل بسقوط الدويلات العربية المتهالكه فى الاندلس وانطلاق حركة الكشوف الاسبانية ١٤٩٢ التى دارت حول افريقيا ثم جزر الهند الغربية الى الاراضى الجديدة الشئ الذى عزز الوجود البرتغالى فى المحيط الهندى وجنوب الجزيرة العربية وقد عمد اجتياح قوات السلطان سليم الاول ١٥١٥ محوريا فلسطين ولبنان ومصر دخول كل العالم العربى الاسلامى فى جب عصور الظلام والانحطاط التى خرجت منها أوربا. **وهكذا اغلق العثمانيون البوابة الجنوبية الغربية للجزيرة فكانت اشاره للعزلة والسقوط العربى تحت سنابك خيول الخلافة العثمانية قرابة ثلاثة / قرون ١٥١٥- ١٧٩٨)** حينما تكشف سيدة البحار بريطانيا العظمى ان فرنسا نابليون بونابرت **تقفزت على مصر** لتقطع عليها الطريق التجارى الدولى **بوضع يدها على منفذى البحرين الابيض والاحمر خفت بريطانيا سراعا واحتلت جزر بريم اليمنية قرب باب المندب** ثم تخلت عنهما بجلاء فرنسا، عن مصر ١٨٠١ ثم عادت بريطانيا مرة أخرى لتضم عدن الى درة التاج البريطانى ولتجعل منها واسطة عقد الامبراطورية التى لاتغرب عنها الشمس فى الشرق الأقصى وشبه القاره الهندية والخليج العربى ومستعمراتها فى شرق افريقيا.

عجزت بريطانيا رغم دهائها البارد أن تستخرج لمدينة عدن مع باب المندب هويه بريطانيه بالميلاد او أن تشتريها نقدا بتنازل أئمة الشمال عن يمنيتها ولكنها بذلت كل ماتستطيعه لتبقى بعدن حتى أشهرت حركات الاستقلال السلاح فى وجهها بقيادة الجبهة القومية لتجلو وتعود أدراجها من حيث جاءت.

حينما مخرت الاساطيل السوفيتية مياه البحر الاحمر والمحيط الهندى واشرفت على مضيق باب المندب بعد الاستقلال ١٩٦٧. قد كان جليا أن اليمن قد دخلت اتون الحرب البارده من اوسع بحارها فانتقل كل الغرب واصدقائه فى الشرق الاوسط وحلفائه فى آسيا الصناعية الى تأييد صنعاء، فى الشمال ودعمها بالمال والتكنولوجيا والسياسه وحصار الجنوب لاعادة شئ من التوازن الذى اختل بدوران عدن فى الفلك السوفيتى. عادت عدن بخليجها وبابها الى سابق اهميتها وموقعها الذى تحتله فى استراتيجات الدول الغربية واقاليم النزاع فى الشرق الاوسط ولكن فى مرحله جد مختلفة يتشكل فيها نظام عالمى جديد بعد نهاية الحرب البارده.

واذا كانت عدن بموقعها الاستراتيجى والمواهب الطبيعة التى يتمتع بها ميناؤها وقدرتها أن تتفوق على كثير من المناطق الحره اذا توفرت لها الارادة والادارة والتمويل هى الثروة الحقيقة لليمن قبل البترول، والغاز الطبيعى والثروات المعدنية التى تبشر بآفاق واعدة، فإن الوحدة اليمنية التى تمت فى ٢٢-٥-٩٠ كمصالحه وطنية وتاريخية بين نظامين يختلفان فى البنيه الادارية والرؤية السياسية والتوجهات الاجتماعية قد بنت الديمقراطية القائمة على التعددية والتداول السلمى للسلطة وفتحت افاقا رحبة لمجتمع ودوله حديثة ومؤسسات وتنظيمات مدنية الشئ الذى أثار رعبا لدى بعض دول الجوار وحذرا وتحفظا لدى البعض الآخر لما تتمتع به اليمن من ثروة بترولية ومعدنية واعدة ورقعه جغرافية واسعة متنوعة المناخات قياسا بدول الخليج الصحراوية، **وأكثر من ذلك كثافة سكانيه تصل الى ١٤ مليون ذات تجربة حضارية عميقة خبرت الوثنية واليهودية والمسيحية والاسلام وتعرفت على الرأسمالية والاشتراكية حديثا. ويتمايز اليمنيون كافراد بتجارب ثره تم استقاؤها من كل بلاد العالم. وهكذا اضحى** اليمن الموحد بتجاربة السابقة مصدر قوة وتهديد متوهم وحقيقى اضافة للقسمات العسكرية الصارمه التى تطبع الشخصية اليمنية وجعلت منه شعبا محاربا من الطراز الأول سيما وقد اسهمت مناخات الحرب الباردة والمواجهات العسكرية الدائمة بين الشطرين الى توفر وتكدس كل انواع الاسلحـــه لدى الدولة والقبائل والمواطنين. **وهكذا أضحت الوحدة اليمنية والديمقراطية التعددية والمنعه العسكرية مصدر قوة لليمن ومصدرا يمكن أن يأتى منه الخطر (وهما وحقيقة)** لاقليم الجزيرة والخليج. وقد زاد موقف اليمن الخاطئ من حرب الخليج الطين بله واضافت حده التوترات ذات العلاقة بنزاعات الحدود الى كل ذلك **موقفا كاد ان يكون موحدا لاقليم الجزيرة والخليج من الوحده اليمنية بأن لاتبقى اما باعادتها الى سابق تمزقها وتشطيرها أو بدفعها الى هاويه الحرب لتدمير آلياتها الحربيه وقاعدتها الاقتصادية وقوتها البشرية وإفلاسها ماليا ومن ثم تندفع تلقائيا إلى** احضان التبعية والاذعان لذات الدول التى تهددها الوحده اليمنية.

لذلك فقد كان قرار الحرب اليمنية يصب فى مجرى ماتسعى اليه دول الجزيرة والخليج مع تباين فى الدرجة بين موقف كل دولة على حده لاسباب تبدو متباينه. اختلفت مصالح الدول الصناعية الكبرى من الوحدة اليمنية طبقا لضخامة أوضاله استثماراتها ومواقعها فى سوق اليمن التجارى ونفوذها الصاعد والنازل ولكن الولايات المتحدة تمثل الموقع الأول فى الاستثمارت البترولية والنفوذ السياسى ومع ذلك فإن موقف الولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوربى واليابان يسير للمفارقة فى اتجاه مضاد لدول اعلان دمشق اذ تتطلع الى استقرار اليمن السياسى واستمرار الوحده اليمنيه على أن يصبح الشريك الاشتراكى فاعلا وعلى قدم المساواة فى الحكم مع المؤتمر **وكل ذلك حتى لايضطرب الممر المائى الدولى لتختل موازين**

القوى وتهتز اعصاب الصناعة الغربية وتحكم الفوضى فينتقل النفوذ الايرانى من مضيق هرمز الى باب المندب الى الصومال والسودان ومصر وشرق السويس. وبالعكس لتجتاح عمق الجزيرة والخليج. صحيح أن الغرب قد دعم الوحده اليمنية لضمان الاستقرار فى المنطقة بدون تكلفة الشرطى الغربى ولكن حينما اندلعت الحرب عثر فيها **الغرب على ضالته بتدمير آله الحرب السوفيتية واستبدالها باله تحى موات سوق السلاح الغربى وسانحه ايضا بالتخلص من مدرسة المشاغبين القدامى وعلى رأسهم البيض.** واذا كان اليمنيون يفعلون كل ذلك بأيديهم فإن الصيغة التى تناسبهم هى العبارة السوريالية التى اضحت متناسياسيا- أن الولايات المتحدة لاتؤيد وحده أو انفصالا بالقوة.

لماذا فشلت الوحده اليمنية؟

الوحدة التى تحققت بالرضا والاختيار عبرت عن العجز فى مواصله غاياتها وبقائها فى المقام الأول باندلاع الحرب الكامله التى اشتركت فيها كل الاسلحه والقوات من الجانبين وغرق الجنوب فى مستنقعها ولم يسلم الشمال من غاراتها الجوهرية وصواريخها والدمار الكبير الذى لحق بالبشر والاقتصاد والبيئة والتكنولوجيا العسكرية، ولكن السؤال الحارق لم فشلت الوحدة رغم الزخم الاحتفالى والحماس الجماهيرى لها فى الجنوب والشمال؟.

يبدو أن صيغة الوحدة الاندماجية لم تك تلائم خصائص مجتمعى الشمال والجنوب والتباين بين مستوى السكان فى بنية الدولتين السابقتين وقد قفزت الوحدة فوق حقائق التباين والتمايز المناطقى فى الجنوب والعشائرى والمذهبى والتراتب الاجتماعى التقليدى فى الشمال فاذا كانت همدان حاشد وبكيل فاعله فى الشمال كقوة عسكرية وعشائرية فإن رد فان ويافع والضالع فاعلة فى الجنوب كقوة عسكرية وقبليه وحزبية بعد استبعاد أبين وشبوه فى معارك يناير ١٩٨٦.

إذا كانت الوحده فى أمس الحاجة الى نظام إدارى ومالى وتعليمى وسياسى يراعى خصائص البنية الاثنية والمذهبية والمناطقية والتباين بين السهل والجبل والساحل والتراتب الاجتماعى التقليدى الذى ظل فاعلا منذ قبل الاسلام وحتى اليوم دون أن تكون غاية المراعاة تكريس البنية أو تفجيرها بالقوة بل بفتح المجتمع الراكد المغلق وتحويل المجتمع الابوى بالتدريج والاصلاح والثورة الى مجتمع مدنى يقوم على التمايز القائم على العمل والانتاج وليس على رابطة العشيرة أو المذهب أو المنطقة- وأن تكون التنمية المحلية ومشاركه السكان فى التخطيط والادارة وفصل الثروه عن السلطة وفصل الثقافة والدين والمؤسسات والجمعيات التعاونية والعلمية عن الدولة ووصلها بالمجتمع. لحمه النظام الادارى والمالى والسياسى وليس بالضرورة أن تكون صيغة الوحدة كنفدرالية أوفيدرالية أو إقليمية ولكن لالأن تقوم على قاعده فصل المال عن السياسة ومراعاة الخصائص البنيوية التى تسمح فى المستقبل بفتح المجتمع المغلق ونقله من العشائرية العسكرية- والمناطقية الى مجتمع مدنى معاصر.

إن وفد التفاوض على صيغة الوحده القادم من الشمال قد طرح الصيغة الفيدرالية والكنفدرالية ولكن البيض رفض كل ذلك مفضلا صيغة الوحدة الاندماجية ذات الطابع المركزى والواحديه المالية والادارية الثقافية مما دفع بمشاعر القادمين من الاطراف البعيدة لحل قضاياهم الصغيرة فى المركز النائى أن تتحول تدريجيا إلى الاحساس بالغبن **والتبعية والالحاق وهكذا لعبت صيغة الوحدة الاندماجية دور المعهد الذى يقوم بتدريب اكثر المواطنين بعدا من مركز الادارة والمال على العزلة والانفصال.**

اما تهافتت قيادة الحزب الاشتراكى التى لم تطرح الوحدة والاشكال المتعددة لانظمتها لتنظيمات الحزب الاشتراكى القيادية والقاعدية ولم تطرحها من ثم لمؤسسات المجتمع وتنظيماته لمناقشتها بوضوح وعلى نطاق واسع فقد كانت عجلى وفضلت المزايدة على الاندماج بدلا من مناقشة كل البدائل الآخرى لصيغ الوحده فقد كانت تعانى من وطأة الاحساس بالعزلة والانهيار بعد معارك ١٣ يناير الداميه واشتراك بعض القيادات التى بيدها قرار الوحده فى تصفية مؤسسى الحزب الاشتراكى بيدهم. وقد اضاف تضعضع الاتحاد السوفيتى وقراره بتصفية وجوده إلى تهافت القيادات الجنوبية على صيغة الوحده الاندماجية. ويبدو أن تصفيات ١٣ يناير والانهيار السوفيتى قد اقنعت بعض قيادات الحزب الاشتراكى وهى تفضل الوحده الاندماجية ان تلك ايضا صيغة مناسبه للخلاص من النظام الاشتراكى الذى اضحى يرمز للماضى وشخصيات بغيضة لديهم على الاقل. كل تلك الحوارات التى جرت داخل الذات قد عجلت فى نهاية المطاف ومن نفس الشخصيات بنهاية الوحده على فوهات المدافع

صحيح أن الوحده اليمنية قد قامت على التعدديه والتبنى النظرى للتداول السلمى للسلطة ومع ذلك فقد كانت هنالك ثنائية فى المرجعيات التى بيدها القرار رغم الاتفاق على مجلس النواب كمرجعيه مركزية- فقد **حافظ كل من الجيش الشمالى والجنوبى على وجودهما المستقل كمرجعيات حقيقية اذا طرأ تنازع حول السلطة اضافة الى القبائل المسلحة والمليشيات التابعة للاحزاب-** وفجأة قفزت المرجعية العسكرية فى الشمال والجنوب لتدفع بالاطراف السياسية المتنازعة لتفضيل خيار الحسم العسكرى ولم يك مجلس النواب او الجمعية الوطنية التى لم تنعقد سوى شكل مهمش وتابع.

وكان لحداثة تجربة الديمقراطية والثقافة الشمولية للاحزاب التى استقتها من الفكر الاسلامى او الماركسى او الفكر غير المكتوب للتصورات العسكرية ، أن احزاب الائتلاف قد دخلت فى خلافات حقيقية حول الدولة والثقافة والتعليم وتوزيع الثورة وليس فى اجندة أى حزب او برامجه أن يتحول من الحكم الى المعارضة ومن ثم كان لابد لاى خلاف أن يؤدى الى الصدام المسلح.

وقد اضاعت قياده الحزب الاشتراكى تلك اللحظة التاريخية التى تجمعت حولها كل القوى الوطنية ووقعت وثيقة العهد والاتفاق فى عمان وبدلا من البدء فورا بعوده الحكومة الى صنعاء لتطبيق الوثيقة بالتدريج طبقا للتنازلات التى تقدمها الاطراف المعنية ومواهب الحركة الوطنية فى السير قدما الى اعلى خطوة خطوة ابتسر السيد على سالم البيض كل ذلك بالتعسف والتراجع والتخلى عن الوثيقة والحركة الوطنية التى اغتربت وضاعت ومن ثم فتحت الابواب. لتدخل منها الخيارات والحوارات التقليدية التى تقوم على اشهار السلاح والتفانى.



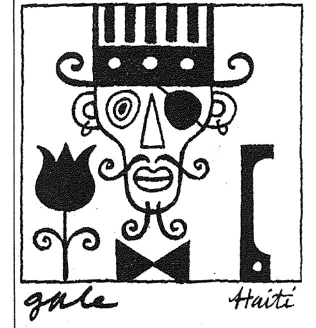
السؤال فى أمريكا: تتدخل أو لاتتدخل؟ يعادل: تكون أو لاتكون..

سمير كرم

رسالة واشنطن

فى بداية عام ١٩٩١، استغرقت مناقشات مجلس الشيوخ الأمريكى بشأن قرار خوض الحرب ضد العراق من أجل «تحرير الكويت» يوما ونصف يوم.

كانت «الأمة الأمريكية» كلهافى حالة أشبه بتلك التى سيطرت عليها قبل قرار إعلان الحرب على ألمانيا واليابان على إثر الهجوم الجوى اليابانى المباغت على «**بيرل هاربور**» الذى دمر الاسطول الأمريكى فى المحيط الهادى. وقد ظلت الولايات المتحدة وقتها ممتنعة عن خوض هذه «الحرب الأوروبية» ضد النازية.



القرصان الأمريكى جاهز دائما للتدخل.. البندقية فى يد.. وزهرة فى اليد الأخرى.
بريشة روبرت جيل عن مجلة «بروجرسيف» الامريكية

فى عام ١٩٩١ كانت حسابات وتقديرات الخبراء الاستراتيجيين والعسكرين الأمريكيين تشير إلى حرب مع العراق تطول لعشرين شهر أو أكثر. أن يستخدم العراق فيها ترسانته الضخمة من الأسلحة الكيماوية والبيولوجية.. أن يصل عدد القتلى من القوات الأمريكية إلى ٣٠ ألف قتيل.. ربما أقل، لكن ربما أكثر أيضا.

مع ذلك لم يستغرق مجلس الشيوخ الأمريكى، صاحب القرار النهائى فى شأن دخول الحرب- سوى ساعات من **المناقشات امتدت على مدى يوم ونصف.**

وكان ماكان.. وباقى القصة معروف.

بعد ذلك بعامين فى عام ١٩٩٣ استغرق مجلس الشيوخ الأمريكى **ثلاثة أيام** فى مناقشة مشروع قرار بأضخم ميزانية اتحادية فى تاريخ الولايات المتحدة، وكانت فى الوقت نفسه تتضمن أضخم خطة فى التاريخ الأمريكى لخفض العجز فى الميزانية.. وبالطبع تضمن الخطة فرض ضرائب جديدة على الأمريكيين وإعادة تشكيل التوزيع النهائى للأعباء الضريبية على «الشرائح الاقتصادية والاجتماعية المختلفة».

مع ذلك لم يجد مجلس الشيوخ صعوبة هائلة فى الموافقة على الميزانية والضرائب الجديدة.. وان كان القرار قد صدر بفارق صوت واحد بين المؤيدين والمعارضين مع أن الحزب الديمقراطى- حزب الرئيس كلنتون- يملك أغلبية فى مجلس الشيوخ بفارق ١٢ صوتا.

هذا العام يناقش مجلس الشيوخ الأمريكى مشروعا جديدا للرئيس كلنتون بشأن التأمين الصحى يهدف فى النهاية.. وبعد تفصيلات وتعقيدات مذهلة.. إلى أن **تشمل مظلة التأمين الصحى كل الأمريكيين .. لأن هناك نحو أربعين مليون أمريكى لايتمتعون بأى تأمين صحى وهى كارثة فى بلد تبلغ فيه نفقات العلاج أرقاما فلكية.**

ويقول الرئيس الأمريكى دفاعا عن مشروعه أنه من العيب أن يكو نظام التأمين الصحى الشامل مطبقا فى كافة الدول الصناعية

رئيس النظام العسكرى
فى هاييتى الجنرال
راؤول سيدارس الشيطان
وهالة ملائكية
بريشه مايكل والكريرو
عن مجلة «ذى نيشن»

المتقدمة الاخرى- حلفاء الولايات المتحدة ومنافسيها الرئيسيين، مثل ألمانيا وبريطانيا وفرسا وكندا- وأن تعجز الولايات المتحدة عن توفير هذا التأمين لمواطنيها.

مع ذلك فإن معارضة مجلس الشيوخ ومجلس النواب وكافة قطاعات الأعمال والمؤسسات الكبرى والصغرى للمشروع تعرقل اصداره **والمناقشات مستمرة منذ نحو ١٥ شهرا..** خلالها تكونت جماعات ضاغطة لحمل الكونجرس بمجلسيه على رفض مشروع التأمين الصحى.. والحجج كثيرة: أنه يحمل رجال الأعمال والشركات فوق ماتطيق. معنى هذا أن الشركات ستضطر لفصل مزيد من العمال لتضمن أرباحها. الحكومة تلعب دورا أكبر ممايحتمل النظام الأمريكى للاشراف على تنفيذ هذا المشروع. نفقات المشروع ضخمة ومعنى هذا أنها ستطلب فى السنوات التالية فرض مزيد من الضرائب.

وعندما لاح أنه لا أمل لكلنتون فى التغلب على هذه الاعتراضات بدأ يقبل تنفيذ المشروع على فترة زمنية أطول. كان يريدأن **يشمل التأمين الصحى كل أمريكى قبل حلول عام ١٩٩٨.. والأن يقبل أن يمتد هذا الاجل إلى عام ٢٠٠٣.** النواب والشيوخ الديمقراطيون يعارضون المشروع بالحماس نفسه الذى يعارضه به نواب وشيوخ «المعارضة» الجمهوريون. **فعندما يتعلق الأمر بمكاسب، الشرائح الدنيا من المجتمع الأمريكى يكشر المحافظون عن أنيابهم. تزول الانتماءات الحزبية والأنتخابية..** وتظهر قوة أولئك الذين يدفعون لتمويل الحملات الانتخابية. أى المؤسسات الاقتصادية والشركات وأصحاب المصالح الخاصة والمناقشات مرشحة للاستمرار والاستمرار...

* هذا العام شهد تدهور «شعبية» الرئيس كلنتون كما تعكسها نتائج استطلاعات الرأى العام. **فالرئيس يتعرض لحملة هجوم ضارية من خصومه لأنه ينتهج سياسة خارجية مترددة غير فعالة.. أنه حتى الآن لم يرغم ليبيا- مثلا على تسليم المتهمين فى قضية لوكيربى. لم يشن غارات على المفاعلات والمنشآت النووية، المشتبه فيها فى كوريا الشمالية. لم يغز هاييتى لتخليصها من الحكومة العسكرية.. ولتخليص أمريكا (وهو السبب الحقيقى) من أفواج المهاجرين من الجزيرة إلى الشواطئ الأمريكية لم يفعل ماينبغى لاسقاط صدام حسين. سحب القوات الأمريكية من الصومال حتى بعد المهانه التى تعرضت لها هذه القوات فى مقديشيو، لم يستطيع أن يروع ايران. تأخر فى التدخل فى رواندا..فقطفت فرنسا ثمار دور المنقذ(...)**

وهناك من يعتقد أنه لو كان **بوش** قد فاز بفترة رئاسة ثانية فى انتخابات ١٩٩٢ ولم يأت **بيل كلنتون إلى** الرئاسة لكان قد ضرب ليبيا بالقنابل وغزا هاييتى بصرف النظر عن أية نتائج مادية أو بشرية. لكان خاض حربا ضد ايران على غرار «عاصفة الصحراء» ضد العراق..

الفقرات السابقة تدلنا بتعاقبها على مدى السهولة التى ينظر بها صناع القرار فى الولايات المتحدة إلى أمور الحرب.. والصعوبة التى تعرقل خطواتهم كلما كان الأمر متعلقا بالاصلاحات الاجتماعية الداخلية. وقد نستطيع أن نستنتج أن الأمريكيين انتخبوا فى عام ١٩٩٢ رئيسا أكثر حذرا فى تناول أمور الحرب، بصورة لاتتفق مع التيار العام لباقى مكونات النظام. لكن هذا الاستنتاج يبقى مشروطا بقدرة كلنتون على مقاومة **هذا التيار التقليدى الذى اعتاد أن يرى فى الحرب والتدخل المسلح** أفضل السبل- مهما كانت التكاليف المادية والبشرية **«لحماية مصالح الولايات المتحدة» أو «لحماية الأمن القومى الأمريكى» أو حتى لحماية هيبة الولايات المتحدة وهو تعبير أقل تحديدابكثير من تعبير المصالح» و«من تعبير الأمن».**

وفى هذا الجو العام من غياب قرارات حاسمة من البيت الأبيض بشن حرب هنا أو التدخل عسكريا هناك لم تستطع إدارة كلنتون أن تكسب نقاطافى معركتها اليومية مع «استطلاعات الرأى» نتيجة لما تعتبره هذه الادارة نفسها «انجازات» فى مجالات السياسة الخارجية. الاتفاق الذى وقع فى واشنطن فى سبتمبر ١٩٩٣ بين منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل عبر سريعا وكأنه مجرد واحد من احتفالات البيت الابيض فى مناسبه دبلوماسية مما يتكرر كثيرا.. مع أنه كان - بكل مقاييس المعلقين الأمريكيين من نوع

الأحداث التى كان من المستحيل تخيل وقوعها فى هذا القرن وربما أبعد. وبالمثل إعلان انهاء حالة الحرب بين الأردن واسرائيل فى يوليو الماضى.

عندما بدأت إدارة كلنتون مفاوضات مع كوريا الشمالية بشأن برنامجها النووى عوملت هذه السياسة باعتبارها خيانة للتقاليد الأمريكية السياسة. وحتى عندما أسفرت هذه المحادثات عن اتفاق مبدئى فى الأسبوع الثانى من أغسطس الماضى على أن تقدم الولايات المتحدة مساعدات تقنية ومالية لكوريا الشمالية مقابل فض برنامجها النووى لم يكد يسمع صوت فى العاصمة الأمريكية يمتدح الدبلوماسية الأمريكية التى تجنبت صداما مسلحا فى منطقة ذاقت قبل أكثر من أربعين عاما أهوال حرب كان الأمريكيون فيها أول الخاسرين.

كأن أركان النظام الأمريكى يشعرون بالاحباط لأن كلنتون لم يصدر أوامره بشن غارات جوية «جراحية» لاستئصال المنشآت النووية لكوريا الشمالية.. على الرغم من أن كوريا الجنوبية حليفة الولايات المتحدة مالت طوال الوقت إلى التنبيه الى أن سياسة التصعيد والتهديد باستخدام القوة العسكرية يمكن أن تؤدى إلى كارثة لها قبل غيرها ..أى كارثة لكوريا الجنوبية نفسها.

حجة المعترضين على اتفاق مبدئى مع كوريا الشمالية على اقامة علاقات دبلوماسية معها وتقديم المساعدات لها مقابل تصفية أى برنامج لانتاج سلاح نووى هى أنه لن يكون من الصعب بعد هذا على أى دولة فى العالم الثالث أن «تبتز» الولايات المتحدة بهذه الطريقة(..) لكن حتى حينما بدأت ادارة كلنتون تعطى مؤشرات واضحة إلى أنهاستلقى عبء مساعدة كوريا الشمالية على عاتق كوريا الجنوبية واليابان، باعتبار أنهما المستفيدان الأساسيان من نزع فتيل الحرب فى تلك المنطقة ،لم يبد أن هذا الاجراء قد خفف من حدة اعتراض الراغبين فى تدخل عسكرى ضد كوريا الشمالية.. لامجرد تدخل دبلوماسى.

إن متابعة المناقشات الدائرة فى أمريكا هذه الايام حول قضية التدخل العسكرى تؤكد بوضوح أن **نحو مائتى سنة من ممارسة التدخل العسكرى فى الخارج كأداة أساسية لها الأولوية بين أدوات تنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية قد تغلغلت فى «ثقافة» الرأى العام الأمريكى**..وأن الهزائم التى منيت بها هذه السياسة (فى حرب كوريا فى الخمسينات ثم فى حرب فيتنام فى الستينات وأوائل السبعينات، وفى غزو «خليج الخنازير» فى كوبا فى بداية الستينات ،وفى لبنان فى أوائل الثمانينات لم تستطع أن تزيل هذه «الرغبة» فى رؤية الأساطيل الأمريكية تتحرك نحو بحار أجنبية.. والطائرات الأمريكية تمارس القاء القنابل على المدن او القرى فى القارات البعيدة أو فى الجزر القريبة.

أن السؤال المطروح بالحاح هذه الأيام: نتدخل أولا نتدخل يبدو معادلا للسؤال: نكون أو لانكون بالنسبة للرأى العام الامريكى.

وهذا هو بالتحديد المعنى الذى قصد اليه كثير من المحللين السياسيين الأمريكيين حين أشاروا إلى أنه **سيتعين على الولايات المتحدة أن تبحث عن عدو- أو أكثر- ليكون بديلا عن الاتحاد السوفيتى بعد تفكك هذا العدو على غير انتظار.** ولابد هنا من ملاحظة .. هى أن وجود الاتحاد السوفيتى طوال أكثر من سبعين عاما لم يحل فى كل الأحوال دون ممارسة أمريكا عقيدة التدخل العسكرى باعتبارها ديانة السياسة الخارجية الأمريكية. بل الأحرى أن نقول أنه اتخذ مبررا للتدخل فى معظم الأحوال.

***

ولقد ظل السؤال: نتدخل أولا نتدخل؟ جزءا أساسيا من كل مناقشة قومية أمريكية حول قضايا السياسة الخارجية منذ بدايات الولايات المتحدة كدولة مستقلة .. أى منذ أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر. ولايعنى هذا أن المناقشة الراهنة تخلو من عناصر جديدة لم تكن ضمن مركب المناقشاتالسابقة.

فماالجديد فى المناقشة الحالية؟

من الناحية العملية أصبحت مسألة التدخل (أو عدم التدخل) فى **جزيرة هايتى** هى المحور الأساسى للمناقشة منذ شهور.. وبالأخص منذ أن بدأ يتضح أن الأساليب البديلة عن «غزو هايتى» - ومنها فرض العقوبات الاقتصادية بأشكالها المختلفة ومواصلة الضغط السياسى على المجموعة العسكرية الحاكمة- لم تؤد إلى النتيجة المطلوبة وهى تخلى القادة العسكريين عن السلطة لإتاحة الفرصة لرئيس هايتى المنتخب **برتران آرستيد** ليغادر منفاه فى الولايات المتحدة لتسلم السلطة فى بلاده.

لقد شكلت أزمة هايتى وضعا جديدا غير الوضع المعتاد للتدخل العسكرى الأمريكى.

كانت «العادة» أن تتدخل القوات الأمريكية لمساندة حكومة عسكرية لا لإسقاط حكومة عسكرية. هكذا حدث عشرات المرات فى أمريكا اللاتينية من **هايتى نفسها إلى المكسيك إلى الدومنيكان إلى كوادور..** كما حدث عشرات المرات خارج أمريكا اللاتينية .أما الآن فتجد الولايات المتحدة نفسها أمام هدف مختلف.. **لكن قطاعا لايستهان به من الرأى العام الأمريكى لايزال يجد من الصعب عليه أن يهضم فكرة التدخل بالقوة العسكرية ضد مجموعة من الحكام العسكريين الذين كانوا إلى وقت قريب أصدقاء لواشنطن،فضلا عن أنهم تلقوا علومهم (المدنية والعسكرية) فى الولايات المتحدة.. وخدموا أهداف السياسة الأمريكية فى بلادهم متعاونين مع المخابرات الأمريكية أو مع المؤسسة العسكرية الأمريكية..الخ**

هذا بالطبع قطاع المحافظين الأمريكيين. الذين يفكرون بالطريقة التقليدية نفسها التى أدخلت أمريكا فى حروب قصيرة أو طويلة وفرضت الاحتلال الأمريكى العسكرى على بلدان كثيرة- خاصة فى نصف الكرة الغربى الذى تعتبره الولايات المتحدة بأكمله مجالها الحيوى، أو السوق المغلقة على سلعها التجارية والسياسية والثقافية.

وبينما اعتاد **اليسار الأمريكى** (بالمعنى الدقيق للكلمة.. وأيضا بمعناها العريض الذى يشمل القوى الليبرالية وذات التوجه الانسانى والتحررى العام،) أن يقف ضد التدخل العسكرى الأمريكى.. وخاض معارك يمكن وصف بعضها بأنه «تاريخى» ضد سياسة الغزو واستخدام القوة ضد الشعوب الأخرى، كما حدث فى سنوات الحرب الأمريكية فى فيتنام.. فأنه - أى اليسار- **يجد نفسه الآن فى المناقشة الحامية الجارية بشأن هايتى يقف فى صف التدخل**، معتبرا أن مسئولية الولايات المتحدة فى الوقت الحاضر تملى عليها الوقوف إلى جانب الديمقراطية. إلى جانب الانتخابات وضد الحكام العسكريين ، خاصة وأن سجلهم حافل بالانتهاكات فى مجال حقوق الانسان والحقوق المدنية.

هكذا حدث نوع من «تبادل المواقع بين» التيار المحافظ والتيار المتحرر.



فيديل كاسترو

لكن هذا لايعني أن القوى المحافظة- سواء في مؤسسات صنع السياسة وصنع القرار أو في صفوف الرأي العام- تخلت عن عقيدة التدخل العسكري كأداة أساسية لتنفيذ السياسة الخارجية. كل مافي الأمر أنها لاتريد أن يحدث التدخل الأمريكي في هاييتي لمصلحة اعادة أريستيد إلى الرئاسة . **فهو في** رأيها «يساري» .. وعلى أي الاحوال فإن المجموعة العسكرية في الحكم الآن لم تلحق أي ضرر بالمصالح الأمريكية.

بل أن القوى المحافظة. خاصة في الكونغرس وفي الاعلام الأمريكي - حريصة كل الحرص على أن لاتترك انطباعا بأنها أصبحت أقل حماسا في ظروف الأوضاع العالمية الجديدة للتدخل العسكري ولهذا ألقى ممثلوها قنبلة مدوية في المناقشة..

فجأة ظهر شعار يقول :**إذا كان النقاش حول تدخل عسكري فليكن هذا التدخل في كوبا.. لا في هاييتي.**

وعلى أي الاحوال فان البلدين: **كوبا وهاييتي في منطقة واحدة هي منطقة البحر** الكاريبي. كلاهما جزيرة . وكلاهما قريبة من الولايات المتحدة. **لكن التدخل لإسقاط نظام كاسترو يشكل اغراء شديدا للقوى المحافظة الأمريكية التي تنظر** اليه الآن على أنه ثمرة توشك على السقوط، لاتحتاج لأكثر من هز الشجرة لتسقط.

في مقال بصحيفة **«واشنطن تايمز»** - التي تعد من أكثر الصحف الأمريكية تعبيرا عن افكار اليمين الأمريكي المحافظ في أكثر صورها فجاجة واستفزازا- كتب المعلق اليميني **صمويل فرانسيس** يقول بلامواربة: إذا كان ماتريدون حربا في الكاريبي فينبغي أن لا يكون الجنرال **راؤول سيدراس حاكم هاييتي**، بل ينبغي أن يكون **فيديل كاسترو** حاكم كوبا هو هدفكم. وذهب فرانسيس إلى حد وصف ماهدد به كاسترو أخيرا من فتح باب الهجرة أمام الكوبيين ، كما حدث من قبل في أواخر السبعينات لاغراق المدن الأمريكية بهم لذا استمرت الولايات المتحدة في إثارة المتاعب لكوبا، بأنه بمثابة «اعلان حرب» من جانب كاسترو ضد الولايات المتحدة. ووصفها بأنها «حرب ديموجرافية» (أي سكانية) «تستخدم المهاجرين واللاجئين» سلاحا بشريا للتأثير على البلدان الأجنبية أو تخريبها».

ولم يذكر فرانسيس- بالطبع- شيئا عن حرب الحصار الاقتصادي والسياسي التي تشنها الولايات المتحدة بلا انقطاع ضد كوبا منذ عام ١٩٦٣.

وعلى الجانب الآخر وقف اليسار الأمريكي مؤكدا **أن الولايات المتحدة مسؤولة تاريخيا عن الأوضاع المتردية التي وصلت اليها هاييتي في السنوات الأخيرة ، وذلك من خلال سنوات غزو عسكري واحتلال طويل أيدت فيها أمريكا أنظمة عسكرية(أو مدنية) غير ديمقراطية.. وأيدت فيها سيطرة للشركات الأمريكية أورثت الشعب الهاييتي فقرا لايكاد يكون له مثيل في نصف الكرة الأرضية.**

ويذكر المفكر اليساري الأمريكي **«ناعوم تشومسكي»** بأن هاييتي كانت طوال القرن الثامن عشر أغنى المستعمرات الغربية.. وأن التدخل العسكري الأمريكي لعب دور حامي أشد النظم طغيانا في الجزيرة، خاصة حكم الدكتاتور دوفاليية (الذي كان يلقب «بابا دوك») حتى استمر ثلاثين عاما كاملة.. والآن تحولت هاييتي إلى جزيرة من الطين والقاذورات يشاهد الناس فيها في أسمال بالية والنساء يصارعن الحياة بالسير في الطرقات الموحلة وعلى رءوسهن أحمال ثقيلة لاتساوي شيئا.. والأطفال يحاولون أن يبيعوا أي شئ وأسراب الذباب تجتاحهم وهم يمسكون بحزمة يمكن تجاوزا اعتبارها خضروات.

ويضيف تشومسكي أنه « **في اعماق فقر العالم الثالث كله يندر أن يجد المرء مشهدا مقززا ومثيرا للاكتئاب إلى هذا الحد.**

ويتحدث تشومسكي - بعد ذلك- في مقال نشره في مجلة **«بروغريسيف»** بعد زيارة كان قدقام بها لهاييتي في العام الماضي- عن عيون رجال الآمن المنتشرة في كل ركن وزاوية تبث الخوف في الناس في ظروف تعد أفضل كثيرا من الظروف السائدة اليوم.. فبعد مجئ كلنتون إلى الرئاسة الأمريكية ساءت الأوضاع كثيرابالنسبة لشعب هاييتي . زادت ضغوط الحكام العسكريين وأعمال الاغتيال الدموية ضد خصومهم السياسيين.. بينما تراخت **قبضة «العقوبات الاقتصادية» ضد هذا النظام تحت ضغوط الشركات الأمريكية التي وجدت أنها تخسر اموالا كثيرة نتيجة لهذه العقوبات .** وبينما تستجيب الادارة لضغوط رجال الأعمال بشأن غض الطرف عن مراقبة العقوبات ضد النظام العسكري الدموي في هاييتي.. فانها لم تظهر أي قدر من الاستجابة لضغوط مماثلة

من جانب رجال الأعمال الأمريكيين أيضا بشأن الخسائر التى يتكبدونها نتيجة لسياسة الحصار الاقتصادى ضد كوبا. لماذا؟ لأن هناك **دائرة انتخابية كبيرة فى أمريكا، اسمها «الكوبيون فى المنفى»** - معارضوا نظام كاسترو الذين انتقلوا إلى الولايات المتحدة وأصبحوا يشكلون كتلة سياسية كبيرة لها وزنها فى تحديد اتجاه أصوات الكوبيين الأمريكيين- بل وأصوات الأمريكيين من أصول لاتينية بشكل عام. سواء فى انتخابات الكونجرس أو انتخابات حكام الولايات... أو انتخابات الرئاسة الأمريكية.

أما الشعب الهايبتى والمنظمات الشعبية المطالبة بالديمقراطية وبعودة الرئيس الذين انتخبه هذا الشعب وأقصاه العسكريون لأنه يهدد مصالح الأقلية الضئيلة من أغنياء هايبتى فلا صوت لها فى الانتخابات الأمريكية.

مع ذلك لايمكن القول بأن اليسار الأمريكي بكافة ألوانه وظلاله يؤيد التدخل العسكرى الأمريكى فى هايبتى أو يدعو اليه. لقد أصدرت **لجنة «الحملة من أجل السلام والديمقراطية»**- وهى تعد واحدة من أنشط منظمات اليسار الأمريكى فى ميدان السياسة الخارجية فى الوقت الحاضر- بيانا طالبت فيه بتغيير سياسات إدارة كلنتون بشأن الأوضاع فى هايبتى بحيث تتخذ من الاجراءات مايكفى لدعم الرئيس ارستيد التى تشير إلى أنه باعتراف الجميع انتخب شعبيا فى انتخابات حرة عادلة عام ١٩٩١.. لكنها فى الوقت نفسه أعلنت **«أننا نود أيضا أن نوضح معارضتنا العامة للتدخل العسكرى الأمريكى ،سواء بطريقة مباشرة أو تحت أشراف مجلس الأمن الدولى من أجل دعم الديمقراطية فى هايبتى. لقد كان التدخل العسكرى الأمريكي فى الماضى مناقضا للمصالح الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للشعب الهايبتى.. أن الحكومة الأمريكية فى الحقيقة ليست أكثر دعما للديمقراطية أو للتغيرات الاجتماعية - الاقتصادية التى يطالب بها اولئك الذين يريدون استعادة الحقوق الديمقراطية فى هايبتى، كما كانت فى الماضى على الرغم من اعلاناتها الكلامية بعكس ذلك.**

وأضاف بيان «الحملة من أجل السلام والديمقراطية» (التى يقع مقرها فى نيويورك) قائلا: «اذا أخذنا التاريخ والمواقف الراهنة فى الاعتبار فانه يكون من قبيل التفكير الطوباوى (الخيالى) أن نعتقد أن التدخل العسكرى من جانب الولايات المتحدة- إذا ماتم- سيكون دفاعا عن المصالح الشعبية فى هايبتى . أما العكس هو المتوقع ولهذا فأننا نعتقد **أن التضامن مع شعب هايبتى يتطلب منا أن نعارض التدخل العسكرى الأمريكى فى ذلك البلد».**

بل أن «الحملة» المذكورة ذهبت إلى حد مطالبة الرئيس كلنتون - فى خطاب مفتوح وقع عليه عشرات من الشخصيات التقدمية- بأن يجرى تحقيقا مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى الاتهامات والانتقادات التى وجهتها إلى الرئيس الهايبتى الشرعى أريستيد بأنه ليس ديمقراطيا حقيقيا وبالتالى لايستحق وقوف الولايات المتحدة وراءه. وبأنه «مريض عقليا». كما طالب الخطاب المفتوح الرئيس كلنتون بوقف ضغوط ادارته ضد اريستيد ليوافق على توسيع نطاق حكومته لتشمل عناصر وثيقة الصلة بالعسكريين الذين أخرجوه من السلطة.

وقد اتخذت هذه المنظمة الموقف نفسه فيما يتعلق بالمطالبة بالتدخل فى البوسنة لمساعدة المسلمين على استعادة مافقدوه من مناطقهم للقوات الصربية.. بينما يؤيد مثل هذا التدخل عدد كبير من المنظمات المحافظة و«مصانع الأفكار» (مراكز الابحاث) ذات الاتجاهات الفكرية والسياسية اليمينية.

وبينما يلاحظ بوضوح أن اليمينيين الذين يؤيدون التدخل العسكرى فى هايبتى (والبوسنة- كوبا.. وكل مكان إن أمكن) وأولئك الذين يعارضون هذا التدخل من اليمينيين يتحدثون بلغة واحدة، أو بالآحرى **يتحدثون عن معيار واحد يقاس به التدخل او عدم التدخل. وهذا المعيار هو ماتقتضيه مصالح الولايات المتحدة. وهم لايعتبرون بأى حال من خطوط مصالح الشعوب**



كلينتون

التى يدعون إلى التدخل عسكريا فيها أو الابتعاد عن التدخل فيها. بعضهم لأنه يرى أن ماهو خير لامريكا لابد تلقائيا أن يكون خيرا للآخرين.. وبعضهم لأنه لايرى أى موجب للتطلع إلى ما وراء الخطوط التى تمثل حدود «المصالح الأمريكية» كما يتصورها ويحسبها.

وعلى النقيض من ذلك نجد أن القوى اليسارية الأمريكية- سواء تلك التى تطالب بالتدخل فى هاييتى أو التى تعارضه- تطرح للمناقشة ماإذا كان التدخل العسكرى يحقق مصالح الشعب فى البلد الذى يستهدفه هذا التدخل؟. ولعل أفضل تعبير عن مضمون هذه النقطة فى المناقشة ماقاله **ستيفن شالوم**- وهو يسارى معروف وأستاذ للعلوم السياسية فى كلية باتر سون الجامعية- من أن «التدخل العسكرى من جانب الدول الغربية كثيرا ماينطوى على السيطرة على الصراع بهدف ابعاده عن الشعب المعنى.. أن التدخل من جانب الدول الغنية والقوية لايكون بهدف «دعم الايثار وخير العالم» انما يكون بهدف تحقيق مصالحها الخاصة.

ويضيف شالوم «إن المدافعين عن التدخل العسكرى يكتبون أحيانا وكأنهم يعتقدون أن الولايات المتحدة مجرد مواطن لاغرض له، يمر بمشاجرة ويجد أن عليه أن يقرر إذا كان يتعين عليه أن يتدخل أم لاينقذ الضحية. والتشبيه الصحيح هو أن هذا المواطن هنا أقرب لأن يكون بلطجيا قاتلا يطلب إليه أن يتدخل للمساعدة بينما هو مستمر فى ضرب ولكم عشرات من الابرياء. فهل يمكن أن يساعد بلطجى ضحية بلطجى آخر؟ ربما، لأنه يحدث أو يتصادف فى حالة .، معينة أن تتفق مصلحته مع مصلحة الضحية. ولكن هذاأمر ممكن ولكنه غير مرجح الحدوث.. وفى هذه الحالة لابد من أن تحسب بدقة حسابات الفوائد والخسائر .إذ لا يستطيع المرء أن يتجاهل كل التكاليف الباهظة التى تنجم عن الاستعانة ببلطجى(...)

اليمين الأمريكى لايعنية أين يقف شعب هاييتى من المشكلة.

اليسار الأمريكى- حتى فى اختلافة الراهن حول التدخل- يتفق على أنه لاسبيل إلى الديمقراطية والعدالة الاجتماعية مالم يلعب الشعب الهاييتى نفسه الدور المركزى. ولايعنى هذا أن اليسار الأمريكى غير معنى بالمرة بالمصالح الأمريكية. ان أكثر التحذيرات جدية من جانب اليساريين الأمريكيين بشأن احتمالات التدخل العسكرى فى هاييتى تتعلق بالمخاوف الناشئة عن تجارب التدخل العسكرى الأمريكى السابقة فى هاييتى كلها أدت إلى فترات احتلال طويلة، وتعميق للكراهية فى نفوس الوطنيين ضد الولايات المتحدة.

والجميع- محافظون ومتحررون، أو يمينيون ويساريون- يعرفون أن **مخاوف شعب هاييتى من الغزو عميقة وحقيقية**، لأنها تستند إلى تاريخ ومعرفة مباشرة بمعنى الغزو والاحتلال الأمريكى.. فلايزال «عواجيز» هاييتى يحكون لابنائهم وأحفادهم عن **الاحتلال الأمريكى الذى أعقب آخر غزو سابق للجزيرة. وقد استمر من عام ١٩١٥ إلى عام ١٩٣٤.** وينقل **فيليب سماكر** مراسل صحيفة «واشنطن تايمز» (اليمينية المناهضة لكلنتون والتى تطالب بغزو كوبا بدلا من هاييتى) عن رجل من بلدة فى هاييتى اسمها «مون دى ليزانفان بيردو» (وهى بالفرنسية وترجمتها «جبل الأطفال الضائعين») اسمه جاك ويبلغ من العمر ٤٥ سنة قوله «يحكون لى أنه (أى الاحتلال الامريكى خلال تلك الفترة) كان مثل العبودية .، الرجال البيض كانوا يهدمون البيوت ويتركونها خرابا، تماما كما فعلوا عندما غزت الولايات المتحدة «بنما».

ولايمكن أن ندع هذه الاشارة إلى فترة الاحتلال الأمريكى لهاييتى هذه تمر دون أن نذكر أن الولايات المتحدة تزرعت فى ذلك الوقت (١٩١٥) بـ«الاعتبارات الانسانية» لكى تتدخل عسكريا، وقبل أن نذكر - طبعا- «**مبدأ مرزو**» الذى أعطاها وحدها حق التدخل العسكرى فى أى من دول نصف الكرة الغربى. وتقول دائرة المعارف البريطانية (حتى لاننقل عن مصدر يمكن الطعن فيه أنه يسارى او معاد للولايات المتحدة)- فى طبعتها الصادرة عام ١٩٨١ (المجلد الثامن - ص ٥٥١) أن **سكان هاييتى « كانوا مقتنعين بأن المارينز انما جاءوا فى الحقيقة لحماية الاستثمارات الأمريكية فى البلاد ولإقامة قاعدة تحمى المداخل إلى قناة بنما»** وقد وقعت هاييتى معاهدة مع الولايات المتحدة- كانت فى الاصل لمدة عشر سنوات ولكنها استمرت حتى عام ١٩٣٤- وطدت السيطرة المالية والسياسية الأمريكية.وفى عام ١٩١٨أجريت انتخابات باشراف المارينز ووضع دستور جديد سمح فيه للأجانب لاول مرة بأن يمتلكوا الأرض فى هاييتى».

وتضيف دائرة المعارف البريطانية:«**كان أحد أثار احتلال المارينز اعادة توطيد نخبة المولاتد وسيطرتها على الحكم. ولقد احتقر كثيرون من الهاييتين الاحتلال الذى آمنوا بأنه أبعدهم عن المناصب العامة وأخضع حياتهم يوميا للمهانات العنصرية** على أيدى المارينز.

والحقيقة أن الرأى السائد فى المناقشات بشأن التدخل العسكرى فى هاييتى فى الظروف الراهنة يذهب إلى أن السبب الحقيقى لتردد الرئيس كلنتون فى اتخاذ قرار الغزو هو أنه يعرف أن «الدخول سهل أما الخروج فسيكون صعبا للغاية..» ان كلنتون يخشى من عواقب ونفقات فترة احتلال طويلة قد تفرضها الظروف على قوات التدخل العسكرى الأمريكية.

على أى الاحوال فان الغزو العسكرى يبدو وشيك الوقوع.. وقد لاتجد هذه الصفحات طريقها إلى القارئ إلا ويكون التدخل العسكرى قد وقع بالفعل... على الرغم من أن كل تجارب التدخل العسكرى الأمريكى فى الماضى البعيد والقريب، فى البلاد البعيدة والقريبة على السواء. لم تقدم حلولا لأى من الأزمات الداخلية التى اتخذت ذريعة للتدخل.

فقد كان الاقدام على التدخل العسكرى عادة استجابة لاعتبارات أمريكية داخلية اكثر مما هو استجابة لأسباب خارجية. وينطبق هذا على هاييتى بشكل خاص. فالرئيس كلنتون يجد نفسه محاصرا بالانتقادات والضغوط من جوانب كثيرة.. وقد لايجد سبيلا لرأب الصدع بينه وبين المؤسسة العسكرية، بينه وبين الكونجرس، بينه وبين المحافظين فى حزبه سوى الاستجابة لدعوة استخدام القوة.

... خاصة وأن تيارا معاديا **للمهاجرين**- من أى من بلاد العالم الثالث الفقيرة- يجتاح الرأى العام الامريكى، يكاد يلقى مسؤولية كل المتاعب التى يعانى منها المجتمع الامريكى على عاتق هؤلاء المهاجرين.. سواء البطالة أو الجريمة أو انتشار المخدرات، وحتى ارتفاع معدلات الإصابة بالايدز . وهم يعتقدون أن غزو المهاجرين مبرر كاف لغزو أمريكى.

والسؤال الآن: هل إذا تدخلت أمريكا عسكريا فى هاييتى، سيتاخر بعد ذلك التدخل عسكريا فى كوبا»

وهذا موضوع آخر.

فرنسا وشبح الجزائر الإسلامى

د. مجدى عبد الحافظ

رسالة باريس

لاينكر أحد طبيعة العلاقات الخاصة الفرنسية الجزائرية، حتى بعد الإستقلال، فهى علاقات شديدة الارتباط ومتميزة . وهى تمتد لتشمل مجالات عديدة، وعلى كل المستويات، فعلاقة الجزائر الثقافية بفرنسا، وبرغم سياسة التعريب ظلت كما هى، حيث **يوجد بالجزائر قاعدة ضخمة للمتحدثين بالفرنسية، وللذين يكتبون بها، ويمثلون قوة لا يستهان بها**، حيث أغلبهم يتصدر إدارات وأجهزة ومؤسسات الدولة، دون الحديث عن الأطباء والمهندسين والمحامين وهم فى أغلبهم كوادر تربت ودرست على المناهج الفرنسية ، والبعض منهم تكون فعليا بفرنسا . أن الكتاب الفرنسى و الجريدة الفرنسية (سواء المكتوبين بالجزائر او بفرنسا) مازالا يلاقيان رواجا لاحد له فى الجزائر.

ولاننسى ارتباط عديد من الفرنسيين وأبنائهم ممن ولدوا فى الجزائر قبل الاستقلال، ومازال هذا البلد يشكل فى ذاكرتهم الجماعيه أرضا ولدوا عليها، ويتوقون شوقا لمعرفة كل مايتعلق بها ، ويلحقهم بنفس الشعور «الحركيون» وهم جزائريون مسلمون رفضوا استقلال الجزائر، وحاربوا إلى جانب فرنسا ضد مواطنيهم، وعند الاستقلال فضلوا الخروج مع الفرنسيين واستقروا بفرنسا. إلى جانب الجزائريين من المهاجرين والذي يعيشون منذ سنوات طويلة على الأرض الفرنسية، ومازال يربطهم ببلادهم روابط كبيرة منها وجود أسرهم هناك، وهم يقومون بالإنفاق عليها وإرسال مدخراتهم، بالإضافة إلى إرتباطهم الاكيد بكل مايدور على أرض الجزائر ويجد صدى بينهم، لذا فنجد فى أوساطهم من يتعاطف مع جبهة الإنقاذ FIS ، أو من يقف ضدها.

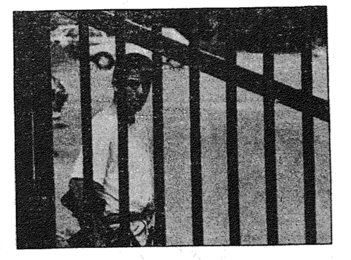
وترتبط الجزائر بعلاقات اقتصادية متميزة تشمل مجالات متعددة على رأسها البترول والغاز والصناعات المختلفة ، ولا يغيب السوق الجزائرى الواسع وإمكانات تطوره فى ظل خصوبة سكانية عالية، عن خطط الإنتاج الفرنسية.

لذا فعلى مدى الاستقرار فى الجزائر يتوقف التعاون والاستثمار المتبادل، وحتى الاستقرار داخل فرنسا التى تخشى من تفشى الظاهرة الاسلامية فى ضواحى المدن الكبرى بها ، وهى الضواحى ذات الحساسية والتى تعمل لها الحكومة الفرنسية ألف حساب ، خاصة فى ظل العنف المحتدم بين شباب هذه المناطق ورجال الأمن ، حيث تتركز أعلى نسبة بطالة، وتنتشر المخدرات، ويكثر العنف والسرقة.. الخ. وتخشى الحكومة الفرنسية من أن يركب الاسلاميون هذه الموجة، ووقتها ستصبح أكثر راديكالية ، وسوف يصبح من الصعب السيطرة عليها. خاصة وأن **الإسلام يشكل الدين الثانى بفرنسا**، وفى ظل وجود نسبة كبيرة من المساجد التى أخذت تنتشر فى الأحياء، والجمعيات الكثيرة ذات التسميات المختلفة. وقد تبدى هذا أكثر من مرة فى ظواهر خاصة بالحجاب فى الأوساط المدرسية، وتم إحتواؤها.

إلا أنه ومنذ ١٩٨٠ كانت هناك أحداث ساهمت فى تثبيت أقدام دعاة الإسلام السياسي بفرنسا مثل موضوع الحجاب- كما أوضحنا- وموضوع سلمان رشدى، ثم حرب الخليج، وصعود أسهم جبهة الانقاذ فى الجزائر، وكلها أحداث جنى من ورائها التيار الإسلامى بعض النجاحات.

حاول الإشتراكيون بمبادرة من **بيبيرجوكس** وزير الداخلية والأديان فى ١٩٩٠ خلق تنظيم يجمع المسلمين فى فرنسا ويعبر عنهم تحت اسم «**لجنة التفكير فى مستقبل الاسلام فى فرنسا**» CO-RIF ، وتكونت اللجنة من خمس عشرة شخصية إسلامية، واستطاعت تحقيق بعض النتائج فى حينه إلا أنه قد أنفرط عقدها بسبب الخلافات الداخلية بين أعضائها. هذه الخلافات يبدو أنها أدت إلى تخلى الحكومة الفرنسية عن حرصها القديم على تشجيع التمثيل الرسمى للمؤسسات والجمعيات الدينية الاسلامية.

ومنذ عشر سنوات احتدت المنافسة الشديدة بين المؤسسات القديمة للمسلمين بفرنسا مثل «**المسجد الكبير بباريس**» والذى تربطه علاقات طيبة بوزارة الداخلية، وبعمودية مدينة باريس، وبين الجمعيات والفيدراليات المختلفة مثل «**الفيدرالية الوطنية لمسلمى فرنسا**» FNMF، و«**اتحاد المنظمات الاسلامية بفرنسا**» UOIF والتى ترى السلطات الفرنسية بأنه يبحث عن مساندات إيديولوجية ومالية من خارج فرنسا. وهناك منظمات أخرى قد تشكلت حديثا مثل **جمعية «الاخوة الجزائرية بفرنسا»** FAF، ولم يكن لها علاقة مؤسسية بجبهة الإنقاذ الجزائرية إلا أنه بعد ذلك بدت وكأنها لسان حال المتعاطفين مع



السفارة الفرنسية فى الجزائر

جبهة الإنقاذ بفرنسا، مما دفع السلطات الفرنسية لوقف نشرتها التى كانت تخرج تحت عنوان LE QITERE (المعيار أو القسطاس) وذلك فى ابريل ١٩٩٣ ، وظهرت بعد ذلك تحت تسميات أخرى متعددة، وكانت تحرص دائما على كتابة يوميات تحت عناوين مثل :**الديكتاتورية والقمع بالجزائر، والتواطؤ الفرنسى، أحكام الاعدام بخصوص العملاء والعلمانيين أو الشيوعيين** (أى العمليات الارهابية التى تنفذها جبهة الإنقاذ بالجزائر ضد الآمنين).

وكانت هذه الجمعية الأكثر نشاطا على الارض حيث أستطاع مؤسسها **محمد كراوش** وهو جزائرى مولود بالجزائر ووصل لفرنسا فى سن العشرين ويحمل شهادة عليا فى المعلوماتية من الجامعات الفرنسية، وقد عمل بعمودية مدينة أرجنتى القريبة من باريس، وأشتهر بالخدمات التى يؤديها مثل تنظيم المجموعات الدراسية للطلاب، كما أستطاع أن ينفذ إلى جمعيات أخرى معروفة بنشاطها الاسلامى مثل **«التبليغ»** ،أو **«التجمع الاسلامى بفرنسا** GIF أو **«اتحاد الشباب المسلم»** فى مدينة ليون UJM ، وحاول أن ينهج فى الضواحى نفس نهج جبهة الإنقاذ فى الجزائر، وفى مناطق أخرى من العالم العربى مثل التصدى للمخدرات والسرقة، وتشكيل المجموعات للتلاميذ، ومساعدة الأسر التى تعترضها مشاكل، وفوق ذلك شكلوا حلقة خاصة بهم لتكوين الكوادر مثل **«الجامعة الاسلامية»** فى منطقة النييفر بمبادرة من **«إتحاد المنظمات الاسلامية بفرنسا»** مع تنظيم سمنارات، ومعسكرات للأجازة الصيفية ، واتسعت دعواتهم الأخلاقية للشباب فى الدعوة للصلاة، ولصيام رمضان ومطالبين الفتيات بارتداء الحجاب.. الخ

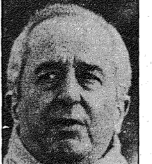
ونتيجة هذا الاحتكاك المباشر على الأرض أقاموا علاقات بالمنتخبين المحليين، وفى الضواحى، حيث وجد هؤلاء، أن هذا النشاط من شأنه أن يجلب سلاما فى الضواحى، وفى نفس الوقت أصواتا انتخابية جديدة لهم، ومن ثم تقوية شعبيتهم. وعلى الرغم من أن هذا المسلك مازال محصورا، ولم تحاربه السلطات الفرنسية، إلا أنه عقب الأحداث الأخيرة أكتشفت السلطات خطورته التى يشكلها على مبادئ الجمهورية والحريات العامة والخاصة، وأكثر من ذلك وبعد متابعة عديد من هذه العناصر النشطة والقبض على بعضها، فى الفترة الأخيرة، **وجد فى حوزتها أسلحة ومعدات عسكرية وأموال فى طريقها للجزائر**، مما يثبت خطورة الموقف فى تقدير السلطات الفرنسية، حيث أنها تخشى دائما من استخدام الأراضى الفرنسية كقاعدة خلفية تستخدم فى تمويل جبهة الإنقاذ بالعتاد والمال.

ولعل ما رفع حرارة الأحداث ، وأدى إلى تشدد السلطات الفرنسية فيما يتصل بهذه الحركات هو حادث قتل الفرنسيين الخمسة فى العاصمة الجزائرية فى الثالث من اغسطس على يد الجماعة الإسلامية ، الجناح العسكرى المتشدد لجبهة الإنقاذ، وما أعقبه من إعلان الجماعة تهديدا للمصالح الفرنسية فى الأراضى الفرنسية ذاتها. **لقد وصل عدد القتلى الفرنسيين منذ بدء الأحداث والتهديد بأغتيال الأجانب فى سبتمبر ١٩٩٣ إلى ١٥ شخصا من عدد القتلى الأجانب الذى بلغ تسعة وخمسين قتيلا حتى الآن**. بدأت أول عملية ضد الفرنسيين فى ٢١ سبتمبر عام١٩٩٣ وأختطف فيها مهندسان ، وجدا بعد ذلك مذبوحين بالقرب من سيدى بلعباس ، والعملية الثانية راح ضحيتها مسن فى الخامسة والستين من عمره وجد أيضا مقتولا بالرصاص فى جنوب العاصمة ، وفى ١٥ يناير الماضى قتلت موظفة بالقنصلية الفرنسية لحظة خروجها من عملها. وفى الأول من فبراير قتل مصور كان يقوم بعمل روبرتاج بمنطقة القصبة فى العاصمة وفى ٢١ فبراير أطلق الرصاص على أحد الفرنسيين ممن ولدوا وظلوا فى الجزائر ولم يغادروها بعد الاستقلال، وكان يمتلك مكتبة فى وسط العاصمة وسقط قتيلا. وفى ٢٢ مارس ذبح أب وأبنه فى منطقة بيرخادم فى شرق العاصمة، وفى ٨ مايو أغتيل فس وراهبة فى منطقة القصبة، وهى المرة الأولى منذ بداية الأحداث يقتل فيها المتطرفون رجال دين.

ولعل حادثة مقتل الفرنسيين الخمسة أخير ذات دلالات كبيرة ، حيث أن ثلاثة منهم رجال شرطة، والأثنين الآخرين موظفين بالقنصلية الفرنسية وتلك هى المرة الأولى التى يسقط فيها هذا العدد من القتلى كما أنهم يمثلون الدولة الفرنسية ذاتها باعتبارهم جزءا من أجهزة السلطة الفرنسية (فهم يمثلون وزارتى الداخلية والخارجية)، مما أزعج السلطات الفرنسية معتبرة أن هذا العمل- وهو الأول من نوعه- يستهدف فى الحقيقة معاقبة الحكومة الفرنسية على مساندتها اللامحدودة اقتصاديا للنظام فى الجزائر ومن هنا تحميل فرنسا مسئولية القمع الذى تمارسه الحكومة الجزائرية ضد المتطرفين ، وذلك باحداث مواجهة مباشرة بين المتطرفين والسلطات الفرنسية التى رأت فى هذا العمل تحد خطير لها وثالثا كان هذا العمل متبوعا بهجوم أخطر للمرة الأولى بسيارة مفخخة على مبانى السفارة الفرنسية ، ولولا أن رجال الشرطة الفرنسيين قد تبادلوا إطلاق النار مع المجموعة المسلحة، وأستطاعوا فيما بعد إبطال مفعول السيارة فى الوقت المناسب وبعد أن فقدوا ثلاثة من بينهم، لكانت النتائج كارثة حقيقية فى الأرواح والمبانى. وهذا مايفسر إهتمام وقلق الحكومة الفرنسية الشديد، وقيام وزيرى الدفاع **فرانسوا ليوتار** والخارجية **الآن جيبيه** (الزيارة العاصمة الجزائرية بعد ساعات قليلة من الحادث.

وعقب الحادث اتخذت الحكومة الفرنسية على الفور إجراءات أمنية مشددة فى كل المدن الفرنسية، **ووضعت كل المعروفين بتأييدهم لجبهة الأنقاذ قيد الإقامة الجبرية فى معسكر فلومبرى**، تمهيدا لترحيلهم خارج الأراضى الفرنسية، وحتى يجدون دولا أخرى تقبل بإقامتهم على أراضيها. وأقيمت حملات تفتيش على السيارات فى مداخل ومخارج المدن، والتحقق من الهويات الشخصية بحيث **تم التحقيق فى الأسبوع الأول فقط من بداية الإجراءات من حوالى ٢٣ ألف هوية وتم تفتيش ثمانية آلاف سيارة، ووصل عدد المتحفظ عليهم بمعسكر فلومبرى ٢٥ شخصا**، وهى أرقام قابلة للزيادة فى كل يوم، حيث ستواصل السلطات الفرنسية هذه الاجراءات بروح المباحث إشعار آخر.

وقد لاقت إجراءات الحكومة الفرنسية والتى أمر بها وزير الداخلية شارل باسكوا آراءا متضاربة : بين ارتياح واعتراض القوى السياسية المختلفة. فقد صرح **إدوار بلادير** رئيس الوزراء، فإن الاجراءات التى أتخذها وزير الداخلية تمت بناء على موافقته وتأييده


ادوار بلادير رئيس وزراء فرنسا

الكامل، وربط عملية القبض على الإرهابى الدولى **كارلوس** بتصميم الحكومة الفرنسية على محاربة الارهاب والإرهابيين. ومن ناحية أخرى لم يعترض **روبير إى** سكرتير عام الحزب الشيوعى على الإجراءات مطالبا التعامل بجدية مع التهديدات بالعنف على الأراضى الفرنسية، وطالب بأن تتم الاجراءات فى ظل احترام القانون وحقوق الإنسان. **وصرح كلود شيسون** وزير الخارجية الاشتراكى الأسبق بأنه يقر إجراءات وزير الداخلية «**لأن المتطرفين قد أعلنوا علينا الحرب وينبغى علينا محاربتهم، وعلينا أن نظهر حدة فى هذا الموضوع، ولايمكن الحوار فى مثل هذه الظروف**»، وأعلن **جان لوى دوبريه** السكرتير العام المساعد للحزب الديجولى بأنه يؤيد هذه الإجراءات الواقعية التى تعبر عن المصالح الفرنسية. بينما وقفت منظمات متعددة ضد الاجراءات حيث طالبت **النقابة العامة لرجال الشرطة** FASP (القريبة من اليسار) باحترام حرية المواطن، ورأت أن هذه الاجراءات عديمة الجدوى، وتركز على الناحية الاعلامية كما أنها حشدت عددا كبير من رجال الشرطة فى ظروف عمل لم يعتادوها. وعبرت جمعيات أخرى مثل SOS-RACISME ضد العنصرية، ومثل MRAPو FASTI وجمعية **حقوق الإنسان** عن قلقهم فى الخلط بين تنفيذ هذه الإجراءات وبين التعامل مع المواطنين الأجانب الذين يعيشون فى سلام ، **وطالبت جمعية حقوق الأنسان بوقف هذه العمليات ذات الصبغة الإعلامية، والتى لم تسفر عن القبض على أى عنصر له علاقة بالإرهاب المفترض**. ولم تؤيد الإجراءات سوى منظمة واحدة هى - FRANCE PLUS ، وصاحبت تأييدها بمطالبتها أن تتم الاجراءات فى ظل احترام القوانين.

السياسة الفرنسية فى الجزائر

على عكس شركائها الأوروبيين والأمريكيين الذين يقفون موقفا مختلفا من النظام الجزائرى ويقيمون بالفعل حوارات مع الإسلاميين، والبعض منهم وجه إنتقادات حادة للحكومة الجزائرية، تتسم سياسة فرنسا الجزائرية بالإزدواجية. **فالمسئولون الفرنسيون خارج الأحاديث الصحفية ، والتصريحات الرسمية يرون فى النظام الجزائرى «نظاما يتخلله الفساد، ومعزول وغير قادر على الإصلاح ويقرون أيضا بأنهم ليسوا مخدوعين، وأنهم فى مساندتهم للنظام يختارون ماهو أقل ضررا، على الرغم من معرفتهم أن هذه مساندتهم للنظام يختارون ماهو أقل ضررا، على الرغم من معرفتهم أن هذه المساندة تعطى الانطباع بأنهم مشاركون فوق العادة لنظام قمعى وغير شرعى»** ، وهذا ما أعلنه بالحرف سفير فرنسى رفض ذكر أسمه لجريدة الليبراسيون. رغم هذه الرؤية،فقد حثت السلطات الفرنسية شركاءها الأوروبيين والأمريكيين واليابانيين على مساعدة الجزائر اقتصاديا وبصورة مكثفة.

من المعروف أيضا أن أجهزة الدولة، والسياسيين هنا غير متفقين فيما بينهم على سياسة فرنسية ثابتة تجاه الجزائر. إذ يرى البعض أن سياسة مساندة النظام الجزائرى تجعل من فرنسا هدفا، بالرغم من أن فرنسا ليست لديها أوهام حول مقدرة هذه النظام فى تأمين الحد الأدنى للاستقرار، أو خلق حشد شعبى ضد الأرهاب.

لكن لماذا هذه الأزدواجية فى الموقف الفرنسى؟

جزء منها بالضرورة يعود للخلاف بين السياسيين، والجزء الثانى سنكشف عنه بعد قليل، إذ فى الحقيقة إذا تتبعنا الموقف الفرنسى منذ إلغاء الإنتخابات فى ديسمبر ١٩٩١ سوف نجد أن **الرئيس ميتران** شخصيا ندد بوقف الإنتخابات، وطالب بعودة سريعة للعملية الديمقراطية، إلا أن هذا الموقف الفرنسى لم يستمر طويلا بسبب الإنتقادات العنيفة والضغوط التى مارستها الجزائر، وفى صيف ١٩٩٣ وعقب تصاعد العنف المسلح أعلن **آلان جوبيه** وزير الخارجية أن سياسة القمع قد أخفقت وطلب من السلطات الجزائرية تنظيم حوار حقيقى بين كل الاطراف التى تنبذ العنف، وأوضح أن الحال لايمكن أن يستمر طويلا على ماهو عليه، مما آثار غضب السلطات الجزائرية متهمة الفرنسيين بالتدخل فى شئونها الداخلية. وفى مطلع هذا الصيف تحددت الأمور وأصبحت أكثر وضوحا، حيث استقرت السلطات الفرنسية أخيرا على سياستها المعروفة الآن فى مساندة النظام الجزائرى إقتصاديا مطالبة شركائها بمساندته.

لكن لماذا هذاالاختيار؟

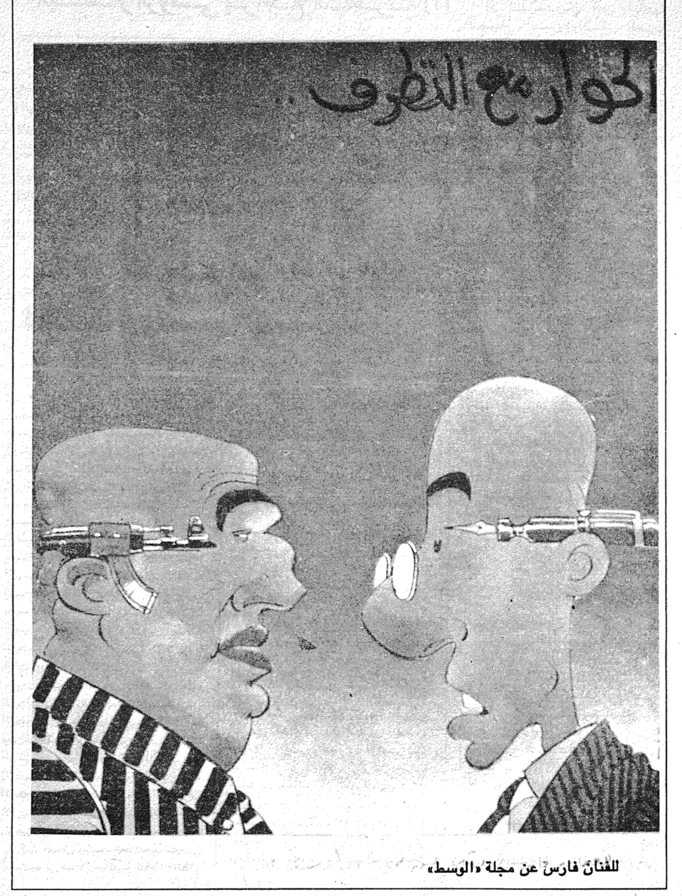
الأرجح أن فرسا أختارت مصالحها الحيوية فى المنطقة، وأيقنت أن وصول الإسلاميين للحكم سيعرض للخطر تلك المصالح، وأكثر من ذلك سوف ينعكس سلبا على **منطقة المغرب العربى** بأكملها المركز الدائم للنفوذ الفرنسى، وسيكون من شأنه إدخال المنطقة فى دائرة مفرغة من عدم الاستقرار. وإنتكاسات هذا الموقف ستكون أكبر على الجالية الجزائرية بفرنسا، هذه الجالية التى فى مجملها- حتى اليوم- لم تأخذ مواقف متطرفة، والخوف أن تصبح رهينة فى يد جبهة الإنقاذ. كما أن هذا الوضع سيجر على السلطات الفرنسية مشكلات تفوق قدراتها، **مثل الهجرة الكثيفة للمثقفين والمعارضين لجبهة الإنقاذ إلى الأراضى الفرنسية- والتى بدأت فعلا بشائرها ولو باعداد قليلة**- فرنسا ضعها الاقتصادى الحالى لاتستطيع إستيعاب هجرات جديدة. أضف إلى أن الاسلاميين الجزائريين يحملون عداوات لاحد لها لفرنسا، وذلك لأسباب تاريخية طويلة، ويودون لو قطعوا معها حتى يقضون على فرنسة الجزائر، ويحققون حلمهم فى التعريب. علاوة على أن فرنسا تستعد لانتخابات رئاسة خلال ثمانية أشهر، وأى تغير فى موازين القوى فى الجزائر يمكن أن يربك الاستعداد للحملات الإنتخابية الفرنسية، إن لم يؤثر بالفعل على نتائجها. هذه الأسباب مجتمعه- من وجهة نظرنا- هى التى ساهمت فى تغيير السياسة الفرنسية تجاه الجزائر ،بالرغم من أنه عقب مقتل الفرنسيين الخمسة، وبداية الإجراءات الأمنية خففت السلطات الفرنسية من حدة خطابها عندما ألحت على أن مساعدتها الاقتصادية تذهب للشعب الجزائرى وليس للنظام، والمح وزير الخارجية الان جيبيه إلى مطالبة السلطات الجزائرية بالإستخدام العاقل للمساعدات، بالاضافة إلى حثه على توسيع قاعدتها.

هل ستنجح السياسة الفرنسية الجديدة فى تفادى الخطر الإسلامى، وفى نفس الوقت مساندة السلطات الجزائرية- على الرغم منها- معتبرة أن تقدم الاقتصاد الجزائرى من الممكن أن يساهم فى حل الأزمة؟

هل ستستطيع تحييد الجالية الاسلامية المقيمة على أراضيها بنزع فتيل التطرف من بين صفوفها؟

هل ستتغير هذه السياسة ذاتها تبعا لتغير الظروف فى المنطقة أو عقب الإنتخابات الرئاسية القادمة؟

أسئلة كثيرة، وملحة ولها وجاهتها، وكلها تعكس قلق الحكومة الفرنسية تجاه شبح الجزائر الإسلامى الذى على مايبدو لن يتلاشى فى القريب العاجل.



للفنان فارس عن مجلة «الوسط»

اليسار الروسى يراجع التجربة (٢)

فى العدد الماضى من اليسار بدأ «أحمد الخميسى» فى مناقشة أوضاع ومستقبل اليسار الروسى بعد حوالى عشرة أعوام على بدء «البيريسترويكا» وفى ضوء العديد من الاسئلة المطروحة حول مصير الاشتراكية، وتكون حوالى ١٥ حزبا شيوعيا فى روسيا، وقد عرض فى رسالته الاولى حول هذا الموضوع البيان البرنامجى للحزب الشيوعى الروسى، أكبر هذه الاحزاب ، ويضم حوالى نصف مليون عضو، وهو الحزب الثانى فى البرلمان الحالى بعد حزب جيرنوفسكى.

ويواصل «الخميسى» فى هذه الرسالة عرض برنامج هذا الحزب..

ثلاث مراحل..
لاستعادة روسيا للاشتراكية

احمد الخميسى

رسالة موسكو

يطرح الحزب الشيوعى الروسى ضمن وثيقة «المبادئ البرنامجية» تصوره لمشكلة الوضع الحالى فى روسيا فيقول: «يتحدد الوضع الراهن فى روسيا بالأزمة الشاملة التى تعم مجالات الحياة الاجتماعية الأساسية: الدولة والاقتصاد، السياسة والثقافة، المعيشة والاخلاق. وقد أدت **السوق الحرة الى عملية تمايز اجتماعى بحيث أصبحت الأقلية الضئيلة تجنى الثروات الطائلة عن طريق نهب الثروة القومية ، بينما يتم إفقار الأغلبية الساحقة التى صنعت هذه الثروة بجهدها**، ويولد التمايز المتسارع الخصومة الاجتماعية والتنافر، بينما تجرى عملية استغلال قاسية للكادحين ونهب الموارد الطبيعية لروسيا والطاقات الانتاجية والدفاعية والذهنية، ويتم تقويض نظام التعليم والثقافة والعلوم مما يفضى الى **الانحطاط المعنوى للمجتمع خاصة بين الشباب**. وفى نفس الوقت حرم الشعب الروسى من حقوقه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الأساسية . وأمست **الجريمة الاقتصادية** أساسا لكافة أنواع الجرائم الأخرى، وتتشكل شيئا فشيئا طبقة البرجوازية الجديدة وعلى رأسها البرجوازية الكمبرادورية.

كما أقيم فى روسيا- بعد تدمير مجالس السوفيت فى سبتمبر وأكتوبر ١٩٩٣- **نظام** **السلطة الرئاسية الفردية**، ورسخت ديكتاتورية رأس المال المندمج مع **عالم الجريمة** أقدامها فى الواقع بحيث أصبح جهاز الدولة الفاسد يخدم مصالح مجموعات المافيا التى تسيطر على القسم الأكبر من اقتصاد البلاد. بينما تتم تنحية الشعب عن إدارة الدولة والرقابة على سلطتها.

وتتعمق يوما بعد يوم المواجهة بين النظام الحاكم والأغلبية الساحقة من السكان، وينضج وسط الجماهير إدراك أن **الأزمة الشاملة التى عمت روسيا هى نتيجة لتحطيم النظام الاشتراكى، والتدمير المقصود للدولة السوفيتية الاشتراكية الموحدة**. وقد وقع الاتحاد السوفيتى ضحية لخيانة القمة الحاكمة التى استولت على المواقع القيادية داخل الحزب الشيوعى السوفيتى، وضحية لنشاط القوميين الانعزاليين الذين تحالفوا مع أكثر قوى رأس المال الدولى عدوانية فى سعيها لتقسيم العالم بشكل جديد.

إن **البيريسترويكا التى أعلنتها النخبة البيروقراطية للحزب الشيوعى السوفيتى، تكشفت عن مغامرة وتسلط على الوعى الجماهيرى لم يعرف له التاريخ مثيلا من قبل**. وأدى ماسمى بـ «العقلية الجديدة» والاحاديث الديماجوجية بشأن «القيم الانسانية العامة» الى تمييع التصورات الخاصة بالمصالح الحقيقية للكادحين والمصالح الوطنية للبلاد. وقد ساعد على ذلك «الديمقراطيون الراديكاليون» الذين عملوا على أن تعلن روسيا والجمهوريات الآخرى «بيانات السيادة» ، ودفعوا للمصادقة على اتفاقيات محمية «بيلافوجسكايا» (التى حل بموجبها الاتحاد السوفيتى فى ديسمبر ٩١- المترجم) **مهملين خلال ذلك نتائج الاستفتاء العام الذى صوتت فيه غالبية شعوب الاتحاد السوفيتى مع استمرار الدولة الاتحادية**. وقد أدى تفكيك الاتحاد السوفيتى الى نشوء خطر تفكك روسيا ذاتها، ومضاعفة حدة العلاقات القومية فى كل مكان، وظهور الحروب القومية واقتتال الأخوة. ونحيت الدولة العظمى شيئا فشيئا عن الطريق العالمية للتأثير فى السياسة الدولية، وأمست تتحول أكثر فأكثر الى ملحق لتصدير الخامات وسوق لتصريف السلع المتدنية الجودة. ولاتنفصل الأزمة التى تنشب فى روسيا عن الأزمة العالمية العامة التى يحاول الغرب التغلب عليها على حساب بلادنا، ذلك **أن اضعاف روسيا عملية مربحة فى استراتيجية النظام العالمى الجديد**. ويطبق خطر الاستعباد الاقتصادى والسياسى والروحى على العلاقة الوثيقة بين الشعوب المتعددة القوميات التى تربطها وحدة المصير التاريخى برباط واحد.

لقد أدى تفاقم التناقضات بين الدول الامبريالية فى أوائل القرن العشرين الى توريط بلادنا فى الحرب العالمية الأولى خلافا لمصالحها القومية والوطنية، لكن ثورة أكتوبر الاشتراكية أخرجت روسيا من تلك الحرب. وقد شكلت تلك الثورة وثبة نحو المستقبل، نحو الاشتراكية، وأثبت التاريخ أن الانتقال الى طريق التطور الاشتراكى مثل ضمانة لسلطة الشعب، وتجديد الدولة الروسية كيفيا ، وانقاذ روسيا كدولة عظمى.

وبعد الضحايا الجسيمة التى أسفرت عنها الحرب العالمية الأولى والحرب الأهلية، وضع الحزب برنامجا للتطور المستمر ومضى فى

طريق «السياسة **الاقتصادية الجديدة»** التى استبعدت بوادر حرب أهلية أخرى ووفرت الشروط اللازمة للمراحل التالية من بناء الدولة مثل كهربة وتصنيع الاقتصاد الوطنى والتعميم الواسع لوسائل الانتاج فى المدن والأرياف، وانجاز الثورة الثقافية. لكن تلك السياسة تعرضت لتغييرات جادة نظرا للخطر الخارجى الذى كان يحدق بالاتحاد السوفيتى. **وتمكن الشعب السوفيتى من الانتصار فى الحرب ضد الفاشية بفضل الاقتصاد المخطط التعبوى، والتنمية العاصفة فى مجالات التعليم والتكنولوجيا والعلوم وحماسة الروح الوطنية الشاملة والمآثر البطولية للشعب. وأعيد بناء الاقتصاد الذى دمر خلال الحرب خلال أقصر مدة ممكنة. وعلى الرغم من بعض التشويهات وانتهاك الديمقراطية والشرعية، فإن الجماهير حافظت على ثقتها فى الاشتراكية** وعززتها. وقامت البلاد بقفزتها الى الفضاء الكونى وخرجت الى المواقع الامامية فى العالم فى عدد من قطاعات الاقتصاد الوطنى. ولكن الاقتصاد التعبوى أخذ فى نفس الوقت يتخلف عن متطلبات الثورة العلمية التكنولوجية التى شرعت تعم العالم ، وصار يتحول شيئا فشيئا الى عائق فى سبيل تنمية العديد من

مجالات الحياة الاجتماعية. ولم يتم تجسيد القدرات الاقتصادية للاشتراكية فى ظروف الثورة التكنولوجية والمعلوماتية. **كما لم تحظ الظواهر السلبية بتقدير كاف لخطورتها مثل الوصولية والسعى للاثراء بكل الطرق وانعدام المسئولية وغياب المعارف. وبرزت التوجهات الرأسمالية الخاصة داخل المجتمع الاشتراكى.** وشرع القسم الأكبر الذى يتعرض للاستغلال داخل المجتمع يفقد ثقته فى عدالة النظام القائم ، مما أضعف قيمة المثل الاشتراكية والشيوعية فى نظر الملايين.

وقد ارتبطت الأزمة التى عمت المجتمع السوفيتى الى حد كبير بالأزمة داخل الحزب الشيوعى السوفيتى الذى ظل حزبا حاكما على مدى عقود طويلة، وكانت أنشطة الحزب النظرية وأساليب ادارة الاقتصاد والدولة بحاجة خاصة للتجديد، **لكن الغطرسة الشيوعية للزعماء الذين آمنوا بثبات مواقعهم زجت بالحزب الشيوعى السوفيتى الى وضع الحزب المغتر بنفسه، مما جعل هزيمته حتمية** . وكان عدم المساواة بين «الفئات العليا» و«الفئات الدنيا» من الحزب يتجلى بوضوح متزايد، وارتسم بعمق بين انفصال الوصوليين عن ملايين الشيوعيين والكادحين. وتشكل داخل الحزب الشيوعى السوفيتى فى واقع الأمر حزبان :**حزب البيروقراطية الحزبية ، وحزب الجماهير.** وأدى ذلك الى أن الحزب الذى أخذ على عاتقه المسئولية عن كافة مجالات التطور الاجتماعى لم يتمكن من العثور على حلول للمشكلات الملحة. وبدت الهوة الواسعة أوضح ماتكون بين الكلمة والفعل، والوعود البرنامجية والتنفيذ. وقامت وسائل الاعلام التى أمست بين يدى المرتدين والديمقراطيين المزيفين باستغلال اخفاقات الحزب وأخطائه التى اقترفها فى مجرى عملية بناء الاشتراكية لعرض القضايا عرضا مشوها. وتشوه وعى الجماهير الكادحة بشدة بالسيل الاعلامى المتدفق الذى صب فى تشويه التاريخ السوفيتى، وجنبا الى جنب مع التأثير الايديولوجى والنفسى، تسنى **تجزئة الطبقة العاملة واستغلال جزء منها فى الصراع السياسى ضد الشيوعيين والسلطة السوفيتية.** ونتيجة لذلك وقفت أغلبية الكادحين من الشعب موقف اللامبالاة من المصير الدرامى للحزب الشيوعى السوفيتى ومجالس السوفيتات. وأسفرت **«بيرسترويكا جورباتشوف» التى** استهدفت بالكلام تجديد الاشتراكية وتعميق الديمقراطية والتغلب على التشوهات والانتهاكات عن الابتعاد الفعلى عن الاشتراكية.فقد أعلنت البيرسترويكا المساواة بين كافة أشكال الملكية، ونسفت بشتى الطرق دور الشكل الأكثر حيوية وهو الملكية الاجتماعية، وأطلق ذلك أيادى رأس مال الظل، وفتح الباب للقوى المعادية للاشتراكية والشعب.

وجرى فى تلك الظروف توفير الظروف للانتقال الى **احتكار الملكية الخاصة، والدمج بين البرجوازية الجديدة والموظفين الفاسدين.** وألحقت اصلاحات **يلتسين** ضربة قاضية باقتصاد البلاد عبر اطلاق الأسعار والتخصيص الذى تم بواسطته نهب الشعب، وتهريب رؤوس الأموال للخارج. وأسفرت الفوضى وعمليات التدمير وافقار الشعب عن انزلاق المجتمع الى هاوية الكارثة القومية. وجاءت أحداث أغسطس ١٩٩١، وأحداث أكتوبر ١٩٩٣ وتمرير الدستور الذى أقر الملكية الخاصة وسلطات الرئيس الفردية التى أيدتها أقلية من الشعب، جاء كل ذلك استكمالا شكليا للواقع الفعلى.

ومع ذلك فإننا نرى أنه من الممكن لروسيا بل ويجب عليها أن تتغلب على هذه الازمة ولكن لتحقيق ذلك لابد من وقف رسملة البلاد ووقف استعمارها، والقيام بالتحول نحو الاشتراكية.

ويرى الحزب أن هناك **ثلاث مراحل** سياسية لانجاز المهام المطروحة بصورة سلمية مطردة وهى:

(١) المرحلة الديمقراطية العامة وسلطة الشعب

(٢) مرحلة الانتقال الى الاشتراكية عن طريق استرجاع سلطة مجالس السوفيتات

(٣) مرحلة التطور الاشتراكى.

ويسعى حزبنا فى المرحلة الأولى لتشكيل حكومة ثقة شعبية بالتحالف مع الحركة الوطنية التقدمية بهدف تصفية الآثار والعواقب الوخيمة التى ترتبت على الاصلاحات، ووقف عملية تدهور الانتاج . ولابد فى هذه المرحلة من إعادة المقدرات التى تم الاستيلاء عليها (التى خضعت للخصخصة) بصورة غير شرعية الى السكان. والعمل على اجتذاب الكادحين للرقابة على الانتاج وتوزيع الثروة القومية .**وتظل فى هذه المرحلة تعددية الأنماط الاقتصادية التى فرضت على المجتمع فرضا.** وتقوم حكومة الثقة الشعبية بضمان أمن واستقلال البلاد عن السياسة الاستعمارية لصناع النظام العالمى الجديد، وتوفر الظروف للعمليات التكاملية بين الجمهوريات السوفيتية السابقة.

وفى المرحلة الثانية التى تحل بعد تحقيق قدر نسبى من الاستقرار يشارك الكادحون بأشكال متزايدةفى ادارة الدولة عبر مجالس السوفيتات والاتحادات النقابية ولجان الاضراب وغيرها من الهيئات الاجتماعية لسلطة الشعب التى تخلقها الحياة نفسها. ويبدأ حينذاك الانتقال الى تغليب وتسييد النمط الاشتراكى فى إطار الاقتصاد المتعدد الأنماط وتحويل الاقتصاد صوب تلبية الاحتياجات الاساسية للكادحين.

وفى المرحلة الثالثة من التحولات الاجتماعية يتم بناء المجتمع الاشتراكى الذى يستجيب لمتطلبات التطور المستقر للحضارة على أساس من القاعدة التكنولوجية والمعلوماتية مع استخدام أفضل منجزات العلم والثقافة الوطنية والعالمية.

اليسار الأوروبى فى ستراسبورج

مجدى نصيف

رسالة لندن

منذ أول انعقاد للبرلمان- الاوربى **بستراسبورج** بعد الانتخابات التى جرت فى أواخر شهر يولية الماضى فى اثنتى عشرة دولة أوربية هى أعضاء الجماعة الأوروبية، كان هناك تحالف عريض لقوى اليسار، بعد أن ظن كثيرون انه قد انتهى أو على الأقل ضعف إلى درجة لايستطيع معها الحركة إلا فى نطاق هامشى.

وقد خرج **جاك سانتير** من انتخابه يوم ٢١ يولية رئيسا للجنة الأوروبية ليحل محل الاشتراكى الفرنسى **جاك ديلور**، رجلا مهزوزا، بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى من الفشل رغم اختيار الحكومات الأوربية له كحل وسط. وكان فشله يعنى أن أوربا كانت على وشك أن تشهد مرحلة المعارضة العلنية من الجناح اليسارى لدور حكومات اليمين والشخصيات اليمينية فى مؤسسات «الجماعة الأوروبية». لكن الذى لاشك فيه الآن ان اليمين سيتقدم بعد نهاية الدور النشط لجاك ديلور.

ورغم أن اليسار لايشكل الأغلبية فى البرلمان الأوربى، **بستراسبورج**، لكنه يمثل أكبر المجموعات واكثرها تنظيما إلى درجة أن البرلمان يمكن أن ينقسم حول عدة قضايا عندما تثار ويتم التصويت عليها. فأحزاب اليسار الرئيسية فى أوربا: ألا وهى **الحزب الاشتراكى- الديمقراطى** فى المانيا **وحزب العمال** فى بريطانيا والحزب **الاشتراكى** فى فرنسا، تدخل معارك سياسية طاحنة ضد الاحزاب اليمينية الحاكمة فى الدول الثلاث، الآن، حيث الانتخابات العامة وشيكة. وهنا تتشابك الأهداف الاوروبية والقومية الداخلية. والمؤكد أنه تدور الآن معركة تشكيل السياسات القادمة فى «الجماعة الأوروبية»، والتى شهدت مفاجأتين حتى الآن.

الأولى هى الفيتو البريطانى حول اختيار **جان لوك ديهاينى** بديلا لجاك ديلور (ولنتذكر أن بريطانيا ترفض تطبيق الميثاق الاجتماعى للجماعة الاوروبية والذى يضمن حقوق الطبقات العاملة والفقيرة).

والثانية، هى الهامش الضيق للغاية الذى فاز به **سانتير** وهرب به من «فيتو برلمانى» آخر **بستراسبورج**

واذا كان **جاك سانتير** قد هزم، فقد كان معنى هذا هزيمة مستشار المانيا الدكتور **هيلموت كول** الذى كان سانتير من اختياره، على أيدى النواب الاوربيين البريطانيين، فنواب بريطانيا من **حزب العمال** هم أكبر مجموعة منظمة وملتزمة داخل المجموعة الاشتراكية فى **ستراسبورج**.

وكانت اعلى المجموعات صوتا فى البرلمان الأوربى، فى إدانه الطريقة التى اختير بها سانتير ودوهاينى معا. وهناك بطبيعة الحال فارق شاسع بين رفض رئيس الوزراء البريطانى زعيم المحافظين **جون ماجور** لديهانى، وتصويت الاشتراكيين ضد سانتير. لكنهما يتفقان فى أن أسباب الرفض، **هو الغضب من** عدم أخذ رأى الطرف المعنى. إذ انه فى هذه الحالات ينبغى التوصل إلى اتفاق على الشخص بين جميع الأطراف.

وقد ناقش الاشتراكيون المستشار **هيلموت كول** حول المرشحين بعد فشل **ديهاينى**، لكن دون جدوى. مما دعا زعيمة الاشتراكيين الجديدة فى البرلمان الأوربى **برلين جرين**، لأن تطلق على عملية اتخاذ القرار «انها غير شريفة وغير صالحة» حتى بعد أن تم اختيار **سانتير** وفوزه. وقد انقذ سانتير من الفشل، اصوات عدد من **الاشتراكيين اليونانيين والبرتغاليين والأسبان**» بعد أن لوى زملاؤهم المسيحيون- الديمقراطيون أيديهم. لكنه، مع ذلك نجح بهامش ضيق، لم يترك شكا فى أنه اختيار سيئ، وقد اضطر وزير الخارجية الألمانى **كلاوس كينكيل** أن يظل فى البرلمان الاوروبى ليشارك فى مساندة رجله ورجل كول: سانتير، وكذلك فإن نجاح سانتير بهذا الهامش الضيق، يعنى أن الألمان يسيئون إدارة شئون الجماعة الأوروبية

مرحلة جديدة

وتتحرك «الجماعة الأوروبية» إلى وضع جديد، فقد كان **جاك ديلور** هو رئيس «اللجنة الأوروبية»، المستقلة بكيانها عن الكيانات القومية والحكومات، وكان رجلا يساريا من الحزب الاشتراكى الفرنسى. كذلك كانت فرنسا- وألمانيا قلب «الجماعة الأوربية» تحكم كل منها حكومة تنتمى للوسط كانتا تعملان كوحدة واحدة ديناميكية. الآن، فان **سانتير** رئيس اللجنة- الأوربية هو شخصية مجهولة، وعامل غير معروف أين يقع.

وبالمثل سيكون هناك ثقل دولة واحدة واتجاه سياسى واحد. واذا افتراضنا فوز المستشار **هيلموت كول** نتيجة لصعود نجمة السياسى مرة أخرى، فى الانتخابات العامة فى شهر أكتوبر القادم، كما فاز حزبه فى الانتخابات الأوروبية، فمعنى ذلك أن اليمين سيهيمن على الساحة السياسية فى المانيا وفى أوربا فى الفترة القادمة، وفى شئونها السياسية. وإحدى نتائج هذا الوضع أن مجموعات اليسار فى **ستراسبورج**

- أى البرلمان الاوربى، ستشعر ان من واجبها التأثير على ميزان القوى، خاصة تلك الأحزاب اليسارية الموجودة فى المعارضة.



الصراع بين البرلمان الأوربي.. ومجلس الوزراء .. والقمة الأوربية

وتستطيع هذه المجموعات استكمال طريق **جاك ديلور** الذى بدأه فى يناير عام ١٩٩٠. وكان يريد به منح «اللجنة الأوربية» سلطات أكبر لتتطور وتصبح هيئة تنفيذية اوروبية بالفعل. ويتضمن هذا اختيار اعضاء اللجنة ورؤسائها.

وعمر البرلمان الأوربى هذه السنة، خمسة عشر عاما. وخلال هذه الفترة كان التفكير فى زيادة سلطاته ،أكبر من الهيئات الأوروبية الأخرى فى بروكسيل، وفوق الحكومات القومية فى الدول الأوروبية الاثنتى عشرة اعضاء، «الجماعة الأوروبية» واستغرق الأمر سنوات ليتم انتخاب نوابه ، بعد التهديد لأخذ القضية إلى «محكمة العدل الدولية» . لكن بعد أن تمت الموافقة على ذلك عام ١٩٧٩، لم يحصل أبدا على سلطات تشريعية تمكنه من التأثير على سير الأمور فى أوربا. وكانت هناك عوامل عدة أدت إلى هذا:

أولا: الوزن الكبير لمجلس وزراء المجلس الأوروبى.

وثانيا: تحول قمة «الجماعة» إلى هيئة - مؤسستية فى حد ذاتها.

وثالثا: قوة مجلس وزراء الجماعة فى ظل شخصية جاك ديلور.

وقد تحددت الأرضية التى ستدور عليها المعارك فى هذا الاتجاه . فسيدور القتال خلف الكواليس حول القرارات وما إذا كانت حول السياسات أم حول الشخصيات، وسيطالب النواب بالديمقراطية «والانفتاح». وبدأت بالفعل حملة «الجلاسنوست» فى بروكسل **وستراسبورج** على السواء. وعندما كان النواب الاوروبيون يطالبون بأن تكون للبرلمان «كلمة» عند اختيار رئيس اللجنة ، فقد كان يطالب بسلطات ليست له قانونا، لكن عندما قال **هيلموت كول أن** «فيتو البرلمان الاوربى سيحترم»، كانت هذه سابقة يمكن استخدامها فى المستقبل. ويمكن أن يتحول «البرلمان- الاوربى» بالقوة التى تملكها الآن إلى أسلوب الكونجرس الامريكى ولجان استماعه، حيث يمكن مساءلة المرشحين لشغل الوظائف او الذين يشغلونها ، بحيث يتم سحبهم إذا كان موقفهم ضعيفا فى هذه اللجان.

وألمانيا هى الآن رئيسة «الجماعة الأوروبية » فى الأشهر الست القادمة. وقد تجد نفسها فى محنة بسبب مقترحات العمالة التى قدمتها للبرلمان الأوربى، فلاشك انها ستواجه معارضة قوية، رغم مساندة حكومة المحافظين البريطانيين، وحكومة اليمين الايطالية. وتقدم المانيا كذلك بعض المشروعات إلى بروكسيل هدفها إعادة تشكيل عدد من السياسات الأوروبية لتفيد بون، وخاصة اتفاقية الدفع الاقليمية والاجتماعية.

ولاشك أن «البرلمان الأوروبى» الرابع له نقاط ضعفه. فمعظم النواب فازوا ولم تكن حملاتهم الانتخابية حول قضايا أوروبية. وفى معظم البلاد الاثنتى عشرة ، كانت نسبة الذين صوتوا لهم قليلة. وهناك مجموعات الآن فى البرلمان الجديد، يمكن أن نقول سيئة ،أكثر مما كان فى البرلمان السابق: **فاشيون جدد ، نازيون ، متعصبون**. وهناك بالمثل مجموعات غير معروفة الهوية مثل هؤلاء النواب الأوروبيون- الايطاليون من حزب **سيلفيوبيرلوسكونى»** فورزا ايطاليا» . ومازالت الشئون البرلمانية تدور بين **ستراسبورج وبروكسيل** وفى تسع لغات تترجم اليها كل وثيقة مهما كانت صغيرة.

وهكذا يكافح «البرلمان الأوروبى» ،والنواب الاوربيون من أجل أن يكون للبرلمان دور فى التغيرات المقبلة فى أوربا عام ١٩٩٦، فى مجهود اكبر لوحدة أوروبية مع التنوع والتعددية. إذ ينضم اعضاء جدد إلى «الجماعة الأوروبية».

الفكر العربى
بين تفكك الحداثة وتجديد الاشتراكية

إذا أردنا اختزال مفهوم الحداثة فى جملة واحدة فستتحدد على الفور فى «ميلاد الفرد». إن مسيرة «الحداثة» الطويلة فى الغرب قد استغرقت ثلاثة قرون، بدأت من القرن السادس عشر وحتى القرن التاسع عشر، ومرت بمحطات أساسية، وهامة، أسفرت كل محطة منها عن قيم ومفاهيم أساسية، كانت أهم ثمرة لتراكماتها مفهوم الحداثة الشائع جدا، وفى الغالب ماتكون معرفتنا به جزئية أو تتركز على وجه واحد من وجوهه المتعددة.

سيعتمد عرضنا هذا عن الفكر الغربى المعاصر وكيفية مواجهة مفكريه لأزماته على آخر ماصدر فى فرنسا فى الفترة الأخيرة من كتب بين تأليف وترجمة وندوات، وسينصب موضوع المعالجة على أهم الموضوعات المثارة حاليا فى الغرب أى **أزمة الحداثة، وربطها برؤية المفكرين الغربيين لى تجديد الاشتراكية.** إذ لايمكن على الإطلاق فصل أزمة الحداثة فى الغرب اليوم عن أزمة اليسار ذاته.

ماهى الحداثة؟

هى ماأسفر عن مجموعة المحطات الاساسية لمسارها، لتتحدد أخيرا فى «ميلاد الفرد». كانت **محطتها الأولى النهضة** حيث تمت العودة فيها لقيم روما وأثينا الوثنية، قفزا على قيم المسيحية الغربية **وتمثلت المحطة الثانية فى الإصلاح** وتم فيه الفصل بين الفرد المؤمن والمؤسسة الكنسية، وهو مامهد الأرض للديمقراطية. **والمحطة الثالثة تمثلت فى الثورة العلمية** والفلسفية والتى أطاحت بالشرعية الدينية، وأعقبتها المحطة الخامسة التى تمثلت فى الثورة الفرنسية التى أطاحت بالفلسفة المدرسية التى كانت تحاول مصالحة العقل مع النقل، أى مصالحة أرسطو مع الكتاب المقدس اللذين كانا معيارا norme للحياة الفكرية والاجتماعية السوية. **والمحطة الرابعة تمثلت فى فلسفة الأنوار** التى أطاحت بالمؤسستين الرئيسيتين اللتين قام عليهما المجتمع التقليدى: أى الحق الإلهى والكنيسة. **وتمثلت المحطة الأخيرة فى الثورة الصناعية،** إذ كانت محطة حاسمة فى مسار الحداثة، لأنها أطاحت بطبقات المجتمع التقليدى والمحافظة (أقطاعيين وفلاحين وحرفيين.. الخ) وأقامت على أنقاضهم طبقتين جديدتين كليا وحديثتين حقا وهما **البورجوازية والبروليتاريا** الصناعيتين اللتين قامت على كواهلهما الحداثة السياسية والفكرية منذ أول ثورة صناعية فى إنجلترا فى عام ١٧٦٠، ودفع هذا الظهور جذور الحداثةالأساسية:-

الديمقراطية: أى فصل المواطن الحر فى حياته الخاصة، وفى أفكاره ومعتقداته وسلوكه العاطفى عن أن يكون «رعية»، أى متحدا عضويا بطائفته، بحرفته دون أى حق فى التمايز عنها.

العلمانية: أى فصل الدين عن الدولة وحق المواطن الملحد فى أن يكون مواطنا على قدم المساواة مع المؤمن دون أن يشعر بنقص أومهانة.

حرية الفكر: طالما وجد الفرد الذى لم يعد جزءا لايتجزأ من العائلة، أو الطائفة أو الأمة، فمن حقه أن تكون له حياته الفكرية والجنسية الخاصة به، ومن حقه أن يعلن على الملأ فرديته وخصوصيته، وتميزه.

أين الأزمة إذن؟ محاولة لتوصيف الوضع القائم

يراها **الآن تورين(١)** فى الشركات عابرة القارات، وظهور الإستهلاك الضخم المتبوع بوسائل الإعلام الضخمة التى أدخلت فى حياة الناس عالم الرغبات والخيال مما أضر بالنزعة العقلانية الحديثة، ويؤدى لإنفجار الحداثة، عندما تخلى المجتمع عن كل مبدأ للعقلنة سواء، كانت توظف كسوق، أولا تحدد الابهوية تاريخية، وعندما لم يعد الفاعلين الا مراجع ثقافية مشتركة أو شخصية. ويعترف تورين بأنه لا شك أن هناك تغيرا جذريا قد تم لصالح المجتمع الليبرالى، وانعكس بأثره على التركيبة الكلاسيكية لليمين واليسار، بحيث لم يعد اليمين يدافع عن أناس فى أعلى السلم الاجتماعى، ولكن فى مقدمته، ويضع ثقته فى استراتيجيته لتقليل التكلفة الاجتماعية للتغيير، **واليسار يدافع الآن عن المهمشين أكثر من دفاعه عمن فى أسفل السلم الاجتماعى، وأصبح أكثر حساسية لعدم المساواة المتنامى بين الشمال والجنوب، والى التهديدات التى تؤثر على كوكب الأرض، وإلى التهميش لعديد من المستويات الاجتماعية والثقافية.**

وهناك رؤية أخرى يوردها تورين فى كتابه ولايتفق معها، وهى رؤية البعض للنزعة الليبرالية المتطرفة حين يصبح المجتمع اشبه بالسوق حيث تبدو الرهانات الإيديولوجية وحتى السياسية وكأنها قد اختفت، ولم يعد يحيا سوى النضال من أجل

النقود، والبحث عن الهوية ، إذ حلت مشاكل ليست اجتماعية كل المشاكل الإجتماعية ، مثل مشاكل الفرد والكوكب ، وهي تتجاوز الحقل الاجتماعي والسياسي من أسفله إلى أعلاه، وتفرغه تقريبا من كل محتواه. هذا المجتمع لايبحث في أن يكون محل تفكير، ولكنه يحترس من الأفكار الكبيرة والخطب العظيمة التي تعكر صفو نزعته البرجماتية وأحلامه. لايتفق تورين مع هذه الرؤية لأنها تقع ضحية نزعتها الآداتية ، حيث تختزل المجتمع في سوق وفي مد دائم من التغيرات ، ولاتعير انتباها للتفرقات التي تفلت من هذه النزعة الإختزالية، وهو يرى أن هذه الرؤية لاتشرح البحث الدفاعي عن الهوية ولا إرادة التوازن، كما أنها لاتفهم الشعور الوطني ولاثقافة المهمشين، ويصفها بأنها أيديولوجية النخبة.

أكثر من ذلك فان تورين يرى أن النزعة الليبرالية لاتعبر إلا عن وجه واحد من الحداثة المتفجرة ، وهو وجه الفعل والتغيير المنفصل عن الوجه الآخر وهو وجه الهوية المقطوعة عن كل فعل اجتماعي، وعن كل ذاتية جنسيات مخنوقة، وعن الجيتو، وعن العصابات العدوانية ، وعن الإشارات التي تتسجل على الحوائط، أو عربات المترو. هوية غير قابلة لفك رموزها ، إنها بالفعل هوية غير محددة. وإذا كان المجتمع الأمريكي قد باهى كثيرا بنموذجه فهو يقترب بسرعة من المجتمعات الأوروبية التي أخذت بأعتبارات اجتماعية. وهنا يتساءل تورين عن مصير العالم الثالث ويقول: يبدو أن دوله سائرة نحو عملية ثنائية بسرعة تضاعف من نسب الفقراء، وتباعد أكثر فأكثر من المستويات التي تشارك في النظام الإقتصادي العالمي. ويحاول تورين وضع توصيف جديد لهذا المجتمع الحديث ، حيث **أن المهمشين عن الحركة الدائمة للإبتكارات والقرار ماعادوا يعتمدون على ثقافة طبقة ، على مستوى عمالي أو شعبي ، إذ ماعادوا يتحددون بما يفعلونه، ولكن بمالا يفعلونه كالبطالة والهامشية.** إذ كما يرى فمن لايتحدد بواسطة نشاطه المهني، يؤسس أو يعيد تأسيس هويته بداية من أصوله. عندما لايصبح الإقتصاد سوى مجموعة الإستراتيجيات الخاصة بالمؤسسة، وعندما لم يعد الفاعل سوى لافاعل فان العاطل، والمهاجر أو الطالب يتخوف على مستقبله، ويجد نفسه كلية منفصلا عن نظام الفاعلين . ويومئ تورين إلى أن تسمية **«الفرد سوقي» للعالم الثالث»** tiers.monde كان الغرض منها أن تلحق هذه الدول بالقسم الآخر من العالم ، أما في إطار التسمية الحديثة اليوم: العالم الرابع quard-monde فهي تعكس الإحباط الذي حل محل الأمل في الدخول في عالم الانتاج والإستهلاك الحديث.

ويصف **موريس بيليه (٢)** الوضعية الراهنة حين يختزلها في الاقتصاد الذي يعتبره «جنون» ، مبني على الشهوة والرغبة القابلة للحساب، وهو يسميه سيد السادة، بل وخميرة كل سلعة ومنتج للأرباح. ويرى أن هذا قد أوصلنا للبطالة عندما تضاءل الاستهلاك، **مما أدى للعودة للأنظمة الشيوعية أو لقادتها في بولنده، وليتوانيا والمجر، عندما كنس الضمان الإجتماعي بعاصفة السوق.**

ويصل الأمر إلى أكثر من ذلك حينما يتساءل **كريستان كومباز(٣)** عما إذا كانت فرنسا قد باعت روحها للأمريكان؟ ويوجه الكاتب خطابة لزميل مجري يستحلفه فيه **«بإنقاذنا من الطاعون الموحد الذي دمرنا تقريبا، ويهدد بدوره البلدان التي تخلت عن الشيوعية. هذا الطاعون الذي يهاجم الذكاء ، ويبتلع الثقافات باسم نزعة عالموية ، وبالتحديد نزعة عالموية أمريكية»،** ويحلل كومباز في كتابه بلغة ساخرة ، أعراض المجتمع الغربي الراهن في مجالات النشر والسينما والتليفزيون، ويتطرق للعادات ، ويتوجه لمحدثه مستنجدا **«أنتم الذين لم تكونوا قد سرقتم بسنوات الشيوعية ، ساعدونا على المقاومة».** حيث يرى أن المقاومة تصبح أهم كلمه في ظل طاعون يتغذى على التواطؤات ، ويتحرك بالإبهار، ويكشف عن دور وسائل الأعلام في تنميط رأى الناس، والدفع بالأكاذيب باسم الحرية.

وظهرت أربعة كتب حديثا مترجمة عن الأمريكية (٤) تعكس جو الأزمة هذا الذي يعيشه المجتمع الأمريكي حاليا، وتحاول من خلال البحث عن أخلاق جديدة لاتعتمد فقط **جون ديوي، أو وليم جيمس أو إمرسون،** بل تمتد في مجملها **إلى كانط** لتستطيع أن تتخطى أزمة المجتمع الأمريكي حيث تتهدد القيم التقليدية القائمة على العلم والديمقراطية في مقتل لأول مرة منذ ثلاثين عاما.

وهاهو جاك دريدا (٥) يرفض باسم العدل إنهاك العالم باللانظام الدولي الجديد، ويدين العالم الثالث، وبتهديدات وسائل الإعلام للحرية، ولايتردد دريدا في أن يعلن أن هذا العصر عار من الشرف ، **لأنه يراه** يسير منهكا في طريق مسدود، وأنه فقد مع التاريخ (الذي يعتبره منظرو الرأسمالية الجديدة «نهاية» مع تهلل مشكوك فيه) القدرة على تخطي عثراته، **ويرى أن إنتصار الديمقراطية الليبرالية أدى للعنف ، والظلم ، والتهميش وجوع عالم منهك.**

ماالذي حدث وعلى أي نحو؟

هذه الأزمة القائمة التي عرضنا لها جديرة بأن تجعلنا نعود للوراء ، لنرى كيف يرى ويقيم الغرب ذاته ولما اوصله إلى أزمته الحالية بشقيها؟

من مقاربات **آلان تورين الإجتماعية** التي تهتم لحد كبير بالتاريخ. يرى أن النزعة التاريخية تؤكد أن الوظيفة الداخلية لمجتمع ماتتضح عن طريق الحركة التي تقود المجتمع نحو الحداثة ، وأن كل مشكلة اجتماعية هي في التحليل الأخير نضال بين الماضي والمستقبل. وحركة التاريخ تصبح في نفس الوقت معناه واتجاهه، إذ أن النزعة التاريخية كانت نزعة إرادية أكثر من أن تكون نزعة طبيعية. **وبهذا المعنى فان فكرة الذات تتماثل** في حركة التاريخ: ولكي يفهم تورين ماحدث يحاول توضيح صورة الفكر الإجتماعي الغربي فيما قبل البراكسيس «فلسفة الممارسة» عند ماركس ، اذ يرى أن النزعة التاريخية تتسم بفكرة مسيطرة وهي هدم النظام القديم ، والبحث عن نظام جديد، ويجد أن هذه الفكرة لاتبدع أي علاقة جديدة بين التقدم والإندماج الإجتماعي ، وعلى العكس فهي تتخوف من النزعة الفردية المنتصرة وأخطارها ، ومن هنا فهي تبدع نظاما جديدا، ومبدأ جديدا للاندماج الإجتماعي. وهو يشرح كيف أن هذه المسألة قد شغلت علم الإجتماع المنتسب **لاوجيست كونت وكيف تخطاها** (النزعة الفردية) بالعبور من الأنا إلى النحن. ومن هنا حل الدين الإنساني محل الدين السماوي، وهو مايعتبره تورين نوعا من يوتوبيا الإشتراكية يحمل في ذاته مفهوما إجتماعيا ووظيفيا محضا للإنسان.

إرادة الجمع تلك بين العقل والأيمان أثرت على **دوركايم** الذي تساءل عن كيفية اعادة بناء النظام في الحركة في مجتمع نفعي وفي

إطار تغيير مستمر. الفكرة السابقة مع تبنى فكرة المجتمع العضوى هو ما أدى بالوضعيين إلى أن يشتتوا الدين الإنسانى لديهم فى المصالحة الصعبة بين الحق الطبيعى والمصلحة الفردية. ويرى أن **هيجل** كان على العكس إذ وجد أن التاريخ ينشط بعمليتين متكاملتين وهما التمزق، والإندماج . هذا التمزق، وولادة عملية تحقيق الذات يقود أيضا من خلال التأملات إلى إندماج الإرادة والضرورة حتى الوصول إلى مصالحتهما الكاملة، وفى هذه اللحظة توجد **«الحرية كحقيقة وكضرورة مثلما هى إرادة ذاتية»**. وإذا كان هيجل استطاع تخطى الثنائية التى هيمنت على التفكير الفلسفى لكل من **ديكارت وكانط** ، الا أنه وقع فى ثنائية أخرى أكثر خطورة ، حيث لم يعد الفرد هو الذى يحمل القيم الكونية، بل الدولة هى التى تحقق هذه القيم فى التاريخ ، وهى التى تتحكم فى المجتمع المدنى.

ويرى تورين أن فلسفة هيجل تلك والتى أختلف عليها اليمين واليسار كانت صعبة فى التطبيقات التاريخية دون النظرفى تأكيد الذاتية والحركة نحو الشكلية وهى تتعارض مع هذا الذى يقطع وحدة الذات والتاريخ والتى تحلم بهما النزعة التاريخية. هذا الانفجار الذى وجد نفسه فى الماركسية ، والتى هى حتمية إقتصادية، وفى نفس الوقت نداء للحركة المحررة للبروليتاريا ، ويصنف تورين الفكر الغربى على نحو يضع فيه سيادة التراث فى مواجهة العقل والنزعة النفعية فى مواجهة الحق الطبيعى فى القرنين السابع والثامن عشر، والنزعة التاريخية التى أبتلعت الذات فى العقل، والحرية فى الضرورة التاريخية والمجتمع فى الدولة يضعها فى القرن التاسع عشر. ويرى أن هم ماركس كان إعادة إيجاد تطبيقات وراء المقولات المجردة للدين، وللقانون ، وللسياسة. إذ أن ماركس كان يتحدث عن «النزعة الانسانية الايمانية» والتى ستولد من «الغاء الحتمية المغتربة للعالم الموضوعى» ويرى تورين أن ما كان يلاحظه ماركس فى عالم صناعى هو اختزال الإنسان فى حالة البضاعة، حيث تم تدميره عن طريق النقود، ومن هنا كان اهتمامه بهذه الذات ،هذا الكائن النوعى أو الإجتماعى المغترب والمستغل . فقد كان ماركس ينفى كل مرجع يعيد الإنسان لكائن معنوى كموضة القرن الثامن عشر، كما أنه ينسف أيضا الحركة الإجتماعية التى تقودها قيم الحرية والمساواة. فكما يرى تورين أن ماركس الذى جمع بين القائد النشط فى صفوف الأممية العمالية ، وفى نفس الوقت المفكر رأى أن الاغتراب الكامل يعيق العمال عن أن يصبحوا الفاعلين لتاريخهم الخاص وأن تحطيم سيادة الرأسمالية تأتى عن طريق إلغاء الطبقات وبانتصار الطبيعة ولأن ماركس يدعو إلى الطبيعة اكثر من الفعل الإجتماعى كقوة قادرة على تخطى تناقضات مجتمع الطبقات فهو اكثر قربا من الفلاسفة الذين دعوا لهدم فكرة الحداثة.

ومع ذلك فــأن تورين يرى أن **ماركس حديث إلى أعلى درجة**، لأنه حدد المجتمع كمنتج تاريخى للنشاط الإنسانى ، وليس نظاما معدا حول قيم ثقافية أو حتى فى درجات إجتماعية. ولكنه لم يطابق الرؤية الحداثية فى النزعة الفردية ، على العكس فالانسان الذى يتحدث عنه هو أولا الإنسان الإجتماعى، المحدد بموقعه فى عملية الإنتاج، داخل عالم تقنى، وفى إطار علاقات الملكية ، إنسان محدد بعلاقات إجتماعية أكثر مما يحدد بالبحث العقلى للمنفعة . ويعترف تورين بأن ماركس لايدافع عن حقوق الانسان ، حيث أن الخطوات التى قادت تفكيره المرتبطة بالنزعة التاريخية لايمكن أن يتبدى فيها الفرد سوى من حيث هو بورجوازى أو عامل. فالنزعة التاريخية قد تخلت عن إله المسيحية وحلت محله أولا الارادة البسيطة فى توحيد التقدم بالنظام ثم بأكثر عمقا لدى هيجل عن طريق الجدل الذى يقود لإنتصار العقل المطلق، والذى حوله ماركس بتقريبه للممارسات الإقتصادية والإجتماعية إلى دفعه للطبيعة وللعقل قالبا للدفاعات التى بنتها الطبقة المهيمنة وعملاؤها. بالفعل إن اختفاء فكرة الله ورفض النزعة النفعية الاجتماعية فتحت طريقين لإثبات الحرية: إما العودة للكائن عن طريق الفن، والجنس، والفلسفة ، أو تأكيد الذات فى حريتها مما سيكشف عن سخرية إذ أن هذه الحرية لم تتجسد فى معارك ضد القوى المهيمنة. وبعدما أضافه **لوكاتش** فان البراكسيس ليس مجرد دفاع عن مصالح ولاقلب أوضاع مسبوق بمثال، إنه تطابق لمصالح طبقة ومصيرها مع ضرورة تاريخية. إن الوعى لذاته هو الحزب الثورى الذى يستطيع قلب الأوضاع ويحول طبقة مغتربة إلى أقصى حد إلى فاعل ثورى قادر على الالغاء الحتمى لمجتمع الطبقات ومحررا للإنسانية.

ومع هذا فإ **تورين** يفاجئنا بموقف أخر تجاه الثورات ، حيث يرى أنها أدارت دائما ظهرها للديمقراطية فارضة وحدة لايمكن أن تكون سوى ديكتاتورية على تنوع المجتمع المقسم إلى طبقات ، ويرى أن عصر الثورات قد قاد إلى الارهاب وقمع الشعب باسم الشعب والحكم بالإعدام على الثوريين باسم الثورة ، ولأنها أكدت وحدة الحداثة والحشد الاجتماعى فقد قادت إلى الإخفاق الاقتصادى واختفاء المجتمع الذى ألتهمته الدولة. وهو يرى أن واجب المثقفين اليوم هو الإعلان عن أن أكبر استخلاص تاريخى كان حلما خطرا وأن الثورة كانت دائما نقيض الديمقراطية. وفى ختام رؤيته فى وصف ماحدث يتساءل تورين إن كان فى إمكاننا الوصول لنوع من المجتمعات حيث الحداثة تكون محددة ليس بمبدأ وحيد وشمولى ولكن على العكس محدودة بتوترات جديدة بين العقلنة وعملية تحقيق الذات.

وفى ندوة عقدت بالسوربون فى شهر مايو ١٩٩٠ تحت عنوان :**«هل هى نهاية الشيوعية؟ ماذا عن الماركسية اليوم؟** (٦) تطرق **جان كينيو إلى** ضبط ثنائية بين المجتمع الروسى والمجتمع الغربى الرأسمالى الذى شكل القاعدة الاساسية لنظرية ماركس النقدية، حيث ركزت النظرية على محاور ثلاثة **الأول**: اغتراب الفرد داخل المجتمع الرأسمالى، **والثانى** علاقة الهيمنة (مهيمن ومهيمن عليه) ، **والثالث** علاقة الاستغلال ، ويرى أن تحولا جذريا لدى ماركس- كماهو معروف- يستلزم القضاء على هذه العلاقات ، ويرى أن المجتمع الروسى لم يكن قد بلغ بعد مستوى التطور الذى بلغة المجتمع الغربى، حيث لم يكن المهيمن الوحيد فى روسيا هو التناقض بين رأس المال والعمل المأجور، ولهذا أحال ما حدث تاريخيا فى روسيا إلى ردة الفعل ضد التخلف الإجتماعى وسياسة الاستبداد القيصرى وبهذا يرى أن بوادر الفشل ماديا وتاريخيا كانت كامنة فى التحول ذاته. بحيث لو تم هذا التحول من الغرب لكانت الاساليب النضالية والنتائج نفسها مختلفة ، وربما أدى هذا إلى انفتاح الفرد كما يتصور **فرويد** ،حيث يدعو **كينيو** إلى ضرورة التكامل بين **ماركس وفرويد**.

وينصب نقد **جورج لابيكا** - فى نفس الندوة- على المرحلة الستالينية ، حيث ركز نقده على ماحدث فى النزعة المردودية -pro ductirsneالتى سادت المشروع الستالينى إذ كانت هذه النزعة سمة أصيلة للبورجوازية فى مرحلة مراكمة رأس المال، حيث كانت الدولة فاعلا إقتصاديا. وفى هذا الإطار يفهم الحضور الدائم لجهاز الدولة فى كل المسار الستالينى.

وفى نفس الندوة أيضا يتصور روبير بلاك بيرن أن ماحدث كان بسبب الخروج عن فكرة ماركس وإنجلز الاساسية المتمثلة فى التأكيد على أن رأس المال وتطوره هو الشرط الأساسى لبناء المجتمع المستقبلى، وهذا البناء يكون وليدا لتناقضات ولصراعات إجتماعية داخل عدة بلدان متطورة على الأقل. ويرى لهذا من الوهم تصور بناء مجتمع اشتراكى داخل بلد واحد، وإن كان كبيرا، أو عدة بلدان غير متطورة ، ومن هنا يعزو فشل التجربة السابقة لتخلف المجتمع الروسى وتقوقع المسار البلشفى فى بلد واحد، ويذكر فى نفس الوقت بموقف روزا لوكسمبورج حين حذرت البلاشفة من خطر غياب الديمقراطية عن الاشتراكية، بحكم غياب القاعدة المادية الضرورية لها. بالإضافة إلى أن لينين وتروتسكى كان يقران بأن تجربتهما محكوم عليها بالفشل إذا لم ينقذهم الحريق الأممى .

وفى نفس الندوة حاول جاك بيديه الأهتمام بالكيفية التى بين بها ماركس سمة الإجتماع الرأسمالى، والتى تفرده من بين سائر أنماط الاجتماع السابقة عليه. هذه السمة تتمثل فى تلك الصيغة التعاقدية التى تتحكم فى تشكيل علاقة الهيمنة والإستغلال التى تؤسسة ، وهو يحاول إعادة النموذج مرة أخرى لكى ينجح- فى رأية- التقليد الماركسى الذى طالما أدرك- بتأثير من فلسفة تاريخية موسومة بالخطية والغائية- التميز بين الرأسمالية والشيوعية، بوصفه تتابع حلقات، وهو يرى أنه من الأولى بلورتها عبر صياغة جدول ينهض بمهمة تعريف مجموع البنية المجردة للعالم الحديث والتى تطرح فى سياقها مسألة المجتمع العادل-. ويربط بيديه مثل توريه الموضوع بأزمة الحداثة حيث وجد أن الشيوعية المتحققة تاريخيا لم تغادر الأفق الحداثى المأزوم بحكم محافظتها على التقسيم الاجتماعى «حكام ومحكومين» . وهو يرى أنه لاينبغى اعتبار إقتصاد السوق مرادفا للطبيعة الانسانية ولااللبيرالية وضعا خلاصيا . وفى تقديره أن خطأ ماركس يتمثل فى إعتباره الاشتراكية قاعدة لعالم مختلف ، لعالم برئ من اقتصاد السوق، ذلك لأن الإقتصاد المخطط هو الآخر حامل لمبدأ إحتكار حق ممارسة السلطة على الدورة الإنتاجية، وبهذا يبدو الحزب الواحد بوصفه المؤسسة الضامنة لهذه السيطرة الطبقية، موحدة وتوحد الحزب هما المرادفان لوحدة وتوحد المخطط.

وفى كتاب الأمريكى ريتشارد بيب عن الثورة الروسية (٧) يعود بنا حتى إلى عام ١٨٩٩ حيث عمت الفوضى الجامعة الروسية ، وينتقل لعام ١٩١٧ حيث يصف الوضع فى روسيا بأنه ظل ملكية وراثية، ونبلاء أرض كانوا فى طريقهم للاختفاء بحكم الضغوط الاقتصادية والرفض الفلاحى لهم.. وكان رب العائلة يملك السلطة على الأشخاص والاملاك ، وكان المنزل يتحلل عند موته. ولم يعرف الفلاحون فى هذا الجو مايسميه النزعة الوطنية (الاخلاص الشخصى للامبراطور) ، ولا الشرعية. إذ كانوا يعتبرون الأوكازاز -ou kasee ليست كالقوانين ولكنها كالفرمانات الصالحة لمرة واحدة. وأعقب هذا صعود الانتليجنسيا وظهور مثقفون عطشى للحكم ممن كانوا يعتبرون أنفسهم ليبراليين وقد ظلوا فى أغلبهم ملكيين حاول الحكم أن يصالح بين البيروقراطية اللاشعبية ولكن ذات الخبرة ، وبين الانتيلجنسيا الليبرالية ذات الشعبية ولكن عديمة الخبرة، وكانت آخر محاولة فى ١٩١٥ والتى أعقبها سقوط نيقولا الثانى.

ويحاول الكاتب تتبع الثورة البلشفية يوما بيوم ، فيجد أن بداية الأحداث كانت عقب إضطرابات الجنود ذوى الأصول الفلاحية لأسباب إقتصادية ، ولقد أفضى إبعاد القيصر إلى الوصول لنظام «السلطة المزدوج» للجنة المؤقتة للجمعية الوطنية (الدوما) و إقامة حكومة مؤقتة مع اللجنة التنفيذية للسوفيتات. وأستطاع البلاشفة أن يحوزوا على اتفاق الجميع على حكمهم باسم السوفيتات، ويرى بيب أن اكتوبر لم تكن ثورة بل انقلابا تم لحساب لينين عن طريق لجنة عسكرية ثورية، وأنه بعد ذلك فقط بدأت ثورة ثانية- ويوضح الكاتب بالوثائق (وما أكثرها فى كتابه) أن لينين كان يخشى قيادة بلده نحون الخراب، وأنه كان لديه موجه من الإحساس ببعض الندم الذى عبر عنه فى نهاية حياته. ويلجأ الكاتب لعلم النفس ليصف لينين بالجنون كإنسان كان مسكونا بكراهية لا محدودة لهؤلاء الذين أفشلوا حياته المهنية ولفظوا عائلته، خاصة بعد إعدام أخيه الأكبر، إذ عند سماعه كلمة بورجوازى يبادر دون تفكير بكلمة «إقتلوه» . كما يرى الكاتب أن لينين قد أقر فى المؤتمر الحادى عشر بأن البروليتارى الحقيقى- حسب ماركس- لم يظهر بعد فى روسيا، مما جعل رفيقة شليا بنيكوف يبادره: أسمح لى أن أهنئك لكونك طليعة لطبقة غير موجودة.

وعلى عكس مواطنة الأمريكى يرى بوريس كاجارليتسكى (٨) فى كتابة عن المثقفين والدولة السوفيتية أن إنتليجنسيا على النمط الأوربى قد تطورت فى إطار دولة أسيوية ، واستطاعت جلب الحداثة فى دولة متخلفة، وهو يضع لينين فى زمرة هؤلاء المثقفين، ويعتقد أن فلاديمير إيليتش لم يكن عدوا لدودا للحرية. وحسب مايرى أن الفساد أستقر حينما أصبحت البيروقراطية قوة سياسية وأن لينين كان يرى أن الثقافة ينبغى لها أن تكون الدواء لشر البيروقراطية إلا أن هذا كان متاخرأ جدا.

آفاق المستقبل

لعل ماأوردناه يجعلنا نتساءل عن المصير، وعن الآفاق المستقبلية فى ضوء الرؤى و التحليلات السابقة وهى كثيرة ومتنوعة، بل وأحيانا متناقضة. وتلك سمة أساسية للفكر الغربى الذى تميز دائما بالتنوع والإختلاف والتناقض ، ولعل هذا أهم ما أنجزته الحداثة ذاتها فى الغرب، حتى وهو على أعتاب التحلل والإنهيار.

يفاجئنا الآن تورين بعد انتقاداته العنيفة السابقة للحداثة ، عندما يرى أن نقد الحداثة لايقود فى الغالب لتركها ، ولكن طبقا للمعنى الأصلى لهذه الكلمة فصل عناصرها لتحليلها، وتقييم كل منها بدلا من ترك النفس مغلقة داخل كل أو لاشئ والذى يجبر على قبول كل شئ بسبب الخوف أو فقدان كل شئ. فالحداثة كما يراها تورين مفهوم نقدى أكثر منه بنائى، وهو يدعو إلى نقد ينبغى هو نفسه أن يكون إلى أقصى حد حديث، مما يحمى ضد الحنين للذكريات التى نعرف أنها تأخذ بسهولة دورا خطيرا- وفى نظره فالمراحل الثلاث للأزمة هى أولا إنهاك الحركة الإستهلالية للتحرير، وثانيا فقدان معنى ثقافة كانت تشعر بأنها منغلقة فى التقنية وفى فعل آداتى، وثالثا فى فصل الكنيسة عن الدولة حدث فصل آخر أكثر جذرية وهو فصل المجتمع عن الدولة مما «نحى»عن فكرة المجتمع ذاتها طابع المجموع، والنظام أو الجسم الاجتماعى ، مما جعل الفكر الإجتماعى يجد نفسه بعيدا عن نقطة إنطلاقه. ويحاول تورين أن يصف الإنفجار الحالى المعروف بأسم تفكك الحداثة فى الآتى.

١- الأنثروبولوجيا الجديدة حديثة فى

نضالها ضد المسيحية، وضد الحداثة، عندما تغيب الكائن التاريخي عن الإنسان في خدمة طبيعتها الأنثروبولجية، النضال الأبدي للرغبة والقانون.

٢- ارتبطت العقلنة الصناعية بالعقل العلمي والتقني، وتحدد الاقتصاد في الانتاج و الاستهلاك الجماهيري الذي هيمن عليه السوق والتسويق، حيث أصبحت العقلانية آداتية.

٣- أصبحت المؤسسة (الشركة) مركزا للقرار حيث أصبح يدور فيها الصراع الاجتماعي.

٤- اختلطت الصراعات الاجتماعية في الغالب بالصراعات القومية، وأضيفت اليهما أخيرا فكرة إحياء الهوية الثقافية.

ويضيف أخيرا أن القوى الأساسية التي سيطرت على المسرح الاجتماعي والثقافي في القرن الماضي هي: الجنسية، والاستهلاك السوقي، والمؤسسة، والأمة، ورغم هذا لوحظ أننا نعيش في مجتمع متكسر، بل ولامجتمع حيث الشخصية والثقافة والاقتصاد والتاريخ ذهب كل منها في إتجاه يبعده عن الآخر مما خلق شكلا من عدم الإتساق وأدى إلى تفكك الحداثة الكلاسيكية. ويرى تورين أن ماركس يظل تاريخاني لرؤيته أ ن الحياة الاجتماعية ليست صراعا بين قيمة الاستعمال وقيمة التغير، بين قوى الانتاج في مقابل العلاقات الاجتماعية للانتاج، دون الإهتمام بذات عاملة، ومع ذلك فتورين يرى أن ماركس أول أكبر مثقف مابعد حداثي لأنه ضد إنساني، ولأنه حدد التقدم كتحرير للطبيعة، وليس كإنجاز لمفهوم عن الإنسان. ومن هنا فأهمية الفكر الماركسي لدى تورين تظهر في القوة النقاشية والسياسية غير المسبوقة تحديدا، حيث أن الفكر الماركسي يهاجم جبهة النزعة الاخلاقية للخيريين و الإصلاحيين والطوباويين وخاصة أنه يركز حركة العمل السياسي في أيد ثورية وضد النخبوية. **واذا كانت العودة المقترحة لفكر ماركس والتي أقرها تورين لكي يستطيع تخطي أزمة الحداثة التي تشغله، هي عودة لماركس الفيلسوف، فنجد أن جاك بيديه يؤكد أن ماركس لم يبدع فلسفة، وأنه لايقبل للماركسية أن تشغل وظيفة الفلسفة،** ولهذا في تقديره أن من شأن المحاول لتلافي هذا الفراغ أن يتجه إلى النجاح في توفير سيادة إنسانية على شروط إعادة إنتاج الحياة وبقاء النوع الإنساني. وهكذا يرى أن الرباط الطبقي يتمركز في رحم الرباط البيئي وهو ماسيشغل من الآن فصاعدا وظيفة الأفق الاشتراكي.

وهناك الكثيرون اللذين دعوا للعودة مرة أخرى لماركس، فهذا ماكسيمليان ريبل (٩) يدعونا إلى ماركس الشاب، ويورد رسالة موس هس للروائي **برتولد أورباخ** واصفافيها ماركس الذي لم يكن قد تجاوز الرابعة والعشرين بالعبقري وهو يرى فيه :**روسو، وفولتير، وهولباخ، وليسنج، وهين، وهيجل** جميعهم ذائبون في شخصية واحدة، يورد أيضا رغبة ماركس وهو في التاسعة عشرة لدراسة الفلسفة، ويرى بأنه لم يكن يريد أن يكون فيلسوفا، بل كان يريد أن يضع للفلسفة حدا، أو ربما أراد أن يفككها، أو يحولها لشئ واقعي، بحيث تقطع مع شكل من الوعي ينبغي تجاوزه. ويرى الكاتب أن دعوته للعودة لماركس ليست نوعا من البروباجندا التي تعتمد الدوغمائية. ولكن فلتكن قراءة ماركس مثل قراءة ديكارت أو ليبينتز وبنفس البساطة، إذ أن مسعاه يفرض خطوة أقل هدوءا. حتى ولو أستبعدنا المعجزات التي أقامتها الماركسية، فكتابات ماركس الشاب تظل قبل كل شئ أعمال معركة- معركة فيلسوف ضد هيجل- آخر أكبر الوجوه- ضد نفسه أيضا- معركة بالتأكيد دون نهاية، ولكن ربما سيعقبها نتائج

وهذا كاتب آخر :**كوستاس بابيانو (١٠)** يشد إنتباهنا لنفس الكتابات لماركس الشاب. أذ يرى أن بعض كتابات ماركس المعروفة لم تنشر الا متأخرا، فكتاب نقد القانون السياسي الهيجلي لم ينشر سوى في ١٩٢٧، والإيديولوجيا الألمانية لم ينشر سوى في سنة ١٩٣٢، وعلى الرغم من أن هذه الكتابات قد أنجزها ماركس قبل أعمال النضج وعلى الأخص رأس المال. أي أنها نشرت بعد أن تم وضع العقيدة الماركسية التبسيطية وحتى غير المتناسقة، ويستطرد أن تلك الأعمال أهملهاماركس بعد أن حررها دون أن ينهيها، فهي توضح خط تطوره الفكري، ويتساءل :لماذا لم ينهها ماركس؟ وأي إشكالية أساسية وصعبة التجاوز قادته لصرف النظر عنها، وإعادة البدء، والأخفاق، وتركها معلقة والبدء مرة أخرى من زاوية ثانية؟ ويجيب الكاتب أن ماركس أرتبك في مهمة لم يستطع أن ينهيها، لأنه قد حاول الخروج من الفلسفة، ولكن دون أن يعطي لنفسه الوسائل الفلسفية لهذا الهروب. ومع ذلك لم يكن العمل في الصحافة أو في الاقتصاد أو في السياسة للهروب فعليا من الميتافيزيقا.

ويرى الكاتب في تبرير ماركس بأنه أراد للديالكتيك الهيجلي أن يمشي على قدميه بعد أن كان يمشي على رأسه غير كاف، أو ينبغي إبداع طريقة فلسفية للقطع مع الفلسفة، ويورد الكاتب رسالة **لجوزيف ويتزجن** كان قد أرسلها إلى ماركس قائلا له: أقرأ مابين السطور في عملك، إقتصادك الواضح جدا يقترح فلسفة أقل وضوحا.

ونصل إلى فيلسوف آخر كنا نعتقد منذ سنوات أنه قد التزم الصمت بعد قتله لزوجته واحتجازه بإحدى المستشفيات النفسية، الا وهو **لويس ألتوسير (١١)**، الذي أعتقدنا أن كتابه عن حياته والذي صدر منذ عامين هو آخر كتبه بعد وفاته، الا أنه قد فاجئنا حينما نشرت مراسلاته مع الارجنتينية **لرناندا نافارو** وعالج فيها الكثير من الموضوعات، الا أننا سنتخير حديثة عن موضوعنا، إذ أهتم ألتوسير بكيفية تحديد النزعة المادية لكيلا يقيم نظاما جامدا، أو تجريد معارض للنزعة المثالية واصطناعي مثلها. وهو يقترح فكرة نزعة مادية إتفاقية تخرج من فكر أبيقور، وأقل مطابقة لقيد **الماركسية الأرثوذكسية**. حيث يرى أن الفيلسوف المثالي يهتم بمعرفة محطتي الرحيل والوصول، ومايتعلق بالتاريخ، وبالانسان، وبالله، وبالعالم والكائن.. فهو يهتم بالأصل وبالنهاية الأخيرة، يستمتع لأسر الحقيقة ويدعى أنه يسيطر على كل شئ بالعلم القادر على حصر العالم في فخاخه. ويرى أنه على العكس فالفيلسوف المادي، رجل يأخذ دائما «القطار في حالة المسير، كأبطال الوسترن الأمريكان». إذ يلاحظ الناس، ينظر من الشباك، ولكن ليس لديه هوس بالضرورة لمعرفة نقاط الرحيل أو الوصول، ولاحتى الأسباب التي من أجلها وجدت السكة الحديد. بالإجمالي فهو يسجل لقطات إتفاقية، وليس كالفيلسوف المثالي، نتائج مأخوذة من أصل أساسي لكل معنى، أو من مبدأ أو علة أولى ومطلقة.

وجاك دريدا من أنصار هذه الدعوة أيضا للعودة لماركس، ولكن على طريقته، إذ يرى بعد سقوط حائط برلين، ينبغي أن نتحلى بالجسارة والحساسية الفلسفية لنقوم بالبحث في عقل ماركس عن موتور لهذا الربيع الجديد للشعوب، وهذه الحركة الجديدة للأنوار، ولهذه الأهمية الجديدة التي يتحسس دريدا جذورها. فهو يرى أنه لاينبغي العودة

لماركس أبدا فى شكل أرثوذكس (ستالينى)، وهو ماجعله يأخذ مسافة منذ الخمسينات، وبعدها فى أعقاب أحداث تشيكوسلوفاكيا السابقة فى ١٩٨١، وهو يعترف بأن من المؤكد حسب رأى ماركس نفسه «بأنى لست ماركسيا». ويرى أن مابقى من الماركسية هو «الروح» فماركس الذى يفهم دريدا ليس حيا كما أنه ليس ميتا- إنه كوالد هامليت يتعيش على نمط الخيال. إنه يلاحق النزعة الرأسمالية الجديدة. كما كان يرى ماركس خيال الشيوعية يلاحق أوروبا. ويستطرد دريدا بأن الغطرسة المبالغ فيها والتى يعلن بها حاملو المباخر للرأسمالية الجديدة عن موت ماركس، ليست إلا تأكيدا على الحضور الشبحى لماركس. مثل حداد مرضى لاينتهى منه أبدا.

ويوجه **جاك تكسييه**- فى نفس الندوة- خطابة إلى المسارعين بالتخلى عن الماركسية، واصفا همتهم وحميتهم فى هذا السبيل كالمسارعين إلى قبر الشيوعية دون حتى التفكير فى تأبينها، داعيهم إلى التمهل. ويطالب المتوفرين على دراسة النصوص الماركسية بأن يعيدوا بنباهة إلى ذاكرتنا أسلوب ماركس فى التعامل مع مفهومى «النسق» و«النقلة» وغيرهما من المفاهيم التى توسلها لفهم الحركة الاجتماعية. حيث يرى أننا أحوج مانكون لفهم أفضل لفكر ماركس وهو يتساءل عن نوعية العلاقة التى يمكن أن نقيمها مع ماركس بعدفشل التجربة التاريخية فى تحقيق الشيوعية. ويقترح تكسييه جينالوجيا تمتد لتشمل هيجل لكى ترضى تطلعه لتأمين تفاعل نظرى مع الوقائع الطارئة والتحول الذى استجد، وهو تفاعل يود أن يكون بعيدا عن العفوية وأسلوب ردة الفعل. وذلك بصياغة ناظمة مفهومية جديدة تساعد على فهم التحولات العميقة الجارية. ليس فقط فيما يخص تجربة التحقق التاريخى للشيوعية، ولكن كذلك أزمتها ونقلتها نحو أفق وإن كان موسوما بالإحتمال فانه مع ذلك يتضمن حتما إقتصاد السوق الذى يحل محل الإقتصاد الموجه والتعددية السياسية محل الدولة- الحزب الواحد. هذه المهمة يريد من خلالها بلورة بنية مجردة تحمل مشروع الحداثة، وتسمح بتعقل التجارب المتنوعة، وبالخروج من النماذج الخطية التى أنحبس الماركسيون فى داخلها طويلا.

وهناك من حاول أن يعطى الجانب النضالى فى الواقع العملى أهمية كبرى عن الإطار النظرى المجرد ومن هؤلاء نجد **جورج لابيكا** - فى نفس الندوة- يركز على مايحدث فعليا على أرض الواقع، وعلى وجه الخصوص فى فرنسا، حيث يدعو لإعطاء الأهمية لبرنامج عملى واسع يتضمن مسائل نضالية يومية، تتجاوز الإطار المحلى لمقاومة النظام الرأسمالى ككل، وضرورة أن يتسم هذا البرنامج ببعد ديمقراطى، ومناف للاشكال البيروقراطية، من أجل إيجاد بديل ديمقراطى.

ويدعو **موويس بيليه** - فى نفس كتابه- إلى أنه علينا أن نتعلم مرة أخرى من الحيوية العظيمة للإنسانية، وروح الثورات التى تقيم وتهدم الأنظمة من أجل تجسيد عدالة حقيقية، وحرية حقيقية، وإرضاء الحاجات الاساسية والمجانية للحياة مع الآخر بالكرامة والحب. ويريد الكاتب إجماعا كبيرا يجند العقول ضد التهميش، وتعديل نظام العالم فى مبدئه، مقدمين لكل إنسان حياة يستطيع أن يعترف بأنها كريمة، تنهى التهميش والاستغلال وتعدل من علاقة الإنسان بالأشياء ولاتختزله فقط فى العمل. **وموريس بيليه** مع كل هذا ليس حالما فهو يعلم حدود القوة التى تخضع لها من سلطة رأس المال والعمل، إلا أنه مع هذا يؤمن بأن قدرة الإبداع والرغبة لايمكن التحكم بها وتستطيع أن تفلت كثيرا من حكم الإقتصاد لكى تؤسس «يوتوبيا واقعية» ولهذا ففى رأيه ينبغى البدء من حاجات واقعية للكائن الإنسانى، وليس من فرضيات إدعائية عن الانتاج والنقود، فهو يود أنشطة نافعة عديمة المردودية، لخلق فضاء أكبر من الحرية فى مواجهة التقنيات التى تقمع الجمعيات.

ويضع **كريستيان كومباز**- فى نفس كتابه- حلولا عملية حين يدعو لإنشاء برلمان ثقافى أوروبى ليس له علاقة بأى لجاجات سياسية واقتصادية ومقره بودابست، يتكون من ممثلين للمناطق، ومهمته خلق مناخ ثقافى أوروبى، كما يدعو لإنشاء «جمعية عالمية أخلاقية» مهمتها الدفاع عن حقوق الآدميين، وثقافاتهم، تصدر تقريرا سنويا على نمط تقرير الأمنستى الدولى، يهتم بإبراز المعلومات حول تخلف الانسان نتيجة وسائل الثقافة والإعلام كالكتابة والتليفزيون والسينما. وتعطى أرقاما حول تطور الأسواق، ومناخ إغراق الأسواق بالبضائع، معلنه عن أسماء المجرمين، والمنتجين، والممولين، والمختصين بنشر الإعلانات، لكى تصل إلى «معاقبة عن طريق المستهلك»، ويرى أنه لكى يصبح الآدميون أحرارا ينبغى أن يكونوا ذواتهم، لكى تكون ذاتك ينبغى أن تكون من جهة مافى بلد صغير. وفى «العالمى» الذى يوحد نرى كومباز يعارض «الكونى» والذى هو عام لكل الناس من خلال التنويع. ولعل العنوان الثانى لنفس كتاب كومبازكان «هل نهاية النزعة الإنسانية هى ممالامفر منه؟» يجيب كومباز فى كتابة بلا، ولكنه يستدرك أن الإنسان فى خطرة وينبغى على كل فرد أن يصارع من أجل الحفاظ على ثقافته.

د. مجدى عبد الحافظ

هوامش

(1)ALAIN TOURAINE, CRITQUE DE LA MODERNITE FAYARD(1)

(2) MAURICE BELLET , LA SECONDE HUMANITE, DESCLEE DE BROUWER

(3) CHRISTIAN COMSAZ, DE PEST, DE LA PESTE ET DU RESTE-LA FIN DE P,HUMANISME EST-ELLE INEVITAB LE?, ROBERT LAFFONT.

(4) THOMOS NAGEL, LE POINT DE VUE DE NULLE PART, DE LECLAT/ RICHARD RORTY, CONSEQUENCES DU PRAGMATISME, SEUIL/ STANLEY CAUELL, CONDITIONS NOBLED ET IGNOBLES, DE L ECLAT.

(5) JACQUES DERRIDA, SPECTRES DE MARX-L ETAT DE LA DETTE, LE TRAVAIL DU DEUIL LA NOUVELLE INTERNATIONALE, GALILEE.

(٦) نشرت متابعة هذه الندوة فى حينه بأحد أعداد مجلة قضايا فكرية، وقد قامت مجلة القاهرة فيما بعد بترجمة الجزء الأكبر من أوراق هذه الندوة فى أحد أعدادها.

(7) RICHARD PIPES, LA REVOLUTION RUSSE, PUF.

(8) BORIS KAGARLITSKI, LES INTELLECTUELS ET LETAT SOVIETIQUE, PUF.

(9) MAXIMILIEN RUBEL, PHILOSOPHIE DE KARL MARX, GALLIMARD.

(10) KOSTAS PAIOANOU ECRITS DE JEUNESSE DE KARL MARX, LA R. DES LETTES.

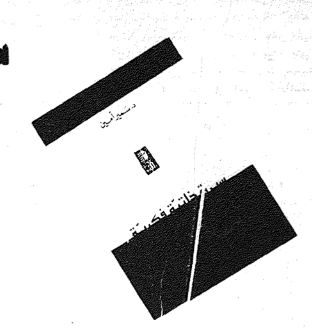
(11) LOUIS ALTHUSSER, SUR LA PHILOSOPHE, GALLINARD.

* نوجة عناية القارئ إلى أن هناك كتبا أخرى كثيرة صدرت بخصوص الموضوع، الا أننا لم نعرض سوى لما أتيح لنا. أيضا سأقوم بعرض نقدى وتفصيلى لكتاب آلان تورين نظرا لأهميته فى مجلة أصول بالعدد القادم.

كتب

سمير أمين يكتب سيرته الفكرية

سقطت الاشتراكية الثانية تحيا الاشتراكية الثالثة



فريدة النقاش

حين يكتب مفكر ماركسى فى وزن «سمير أمين» سيرته الذاتية الفكرية فلابد أن نتوقف ونقرأ، لافحسب لأنه مبكرا جدا قدم أفكارا خاصة به طالما وضعته فى الأقلية- المغضوب عليها غالبا- ضمن تيارات الفكر الماركسى التى كانت رئيسية على مدى ثلاثين عاما، وانما أيضا لأنه واصل بجرأة وعمق تأصيل وتدقيق هذه الأفكار واختبارها، وسرعان ماكشف لنا الواقع أن بعضها كان كالنبوءات التى سرعان ماتحققت فى الواقع وان كانت نبوءات ذات طابع مأساوى. فهذا المفكر الشريف ذو العقل النقدى الكبير كان يرى على البعد مثل زرقاء اليمامة، فقد تصدع الاتحاد السوفيتى وانهار، وانهارت المنظومة الاشتراكية التى راهنت أغلبيتها على صمودها وقدرتها على مواصلة المعركة ضد الرأسمالية والأمبريالية، وقبل هذا الانهيار كان تراجع حركة التحرر الوطنى أو ما أسماه «سمير أمين» بمرحلة باندونج، ووصول سياسة التضبيط الرأسمالية (الفوردية والتيلورية) لحدودها التاريخية كوسيلة لتجديد الرأسمالية وحل تناقضاتها لاتجاوزها، كذلك تراجعت دولة الرفاهية الإشتراكية الديمقراطية فى غرب أوروبا لنرى معه خريطة عالم فى أزمة.. ولنتابع معه كيف أن الخروج صحيا من هذه الأزمة لابد أن يكون عملا متواصلا طويلا ونضالا دءوبا لتجاوز الرأسمالية والاستعداد للدخول الى «**الاشتراكية الثالثة**» كما أسماها.

فالخيار المطروح أمام البشرية ليس بين الرأسمالية والاشتراكية بل بين البربرية والاشتراكية. وعلى الاشتراكيين أن يرسموا معا خطوط عالم آخر وأن يتخلوا عن فكرة اللحاق بالرأسمالية والتى ثبت فشلها.

إنها المرة الأولى التى يتحدث فيها سمير عن حياته الخاصة فى سياق سيرته الفكرية وهو مايضفى على كتابه الصعب ألفة وحميمية.

«ولدت فى القاهرة سنة ١٩٣١ من أبوين طبيبين، أب مصرى وأم فرنسية، وقضيت طفولتى ومراهقتى فى مدينة بورسعيد حيث درست فى الليسية الفرنسية حتى شهادة البكالوريا سنة ١٩٤٧ ثم سافرت الى باريس لمتابعة دروسى الجامعية..

أذكر بدقة الأسباب التى دفعتنى باكرا جدا، فى سن المراهقة لاعتناق مثال الاشتراكية، وهذه الأسباب كانت- قبل كل شئ -تمردا على اللاعدالة الاجتماعية التى بدت لى غير مقبولة ولا انسانية فقد كنت أشاهد البؤس المدقع الذى يعيش فيه الأطفال من أترابى، فى حين أن غالبية الفتيان المنتمين الى نفس الوسط الاجتماعى المميز الذى أنتمى إليه كانوا يقبلون هذا الواقع وكأنه واقع طبيعى، لذلك قررت أن أساهم فى حركة الثورة الاجتماعية الضرورية لتغيير هذا العالم.

ولاشك أن هذا الخيار يعود بنسبة عالية الى التربية العائلية التى تمتعت بها، وعلمتنى أن الخضوع لنظام ظالم أمر غير مقبول. **وتوصلت عندئذ الى الاستنتاج بأنه علينا أن نفعل «مافعله الروس» الذين حلوا هذه المشكلة عن طريق بناء مجتمع جديد، مثالى، وجدت فيه كل هذه المشاكل حلولها . ومنذ سنة ١٩٤٢ (واذكر هنا القلق الذى تابعت فيه بداية معركة ستالينجراد والفزع الذى رافقنى مع نهايتها بدأت أعتبر نفسى شيوعيا)**..

ولأن «سمير أمين» لم يستطرد فى الحديث عن طفولته وتفصيل ذلك العامل الحاسم فى تكوينه الوجدانى الذى جعله شيوعيا، ألا وهو تمرده على اللاعدالة الاجتماعية، فسوف أحكى عن الدكتورة «أمينة رشيد» الناقدة أستاذة الأدب الفرنسى التى زاملت «سمير أمين» فى أول

حياته العلمية فى القاهرة نقلا عن والدته الطبيبة.. **إن سمير وهو طفل صغير جدا شاهد مجموعة من الأطفال فى سنه يفتشون فى القمامة عن شئ يؤكل وقد وجد أحدهم برتقالة عطنة وأخذ يلتهمها... قال الطفل «سمير» لأمه**

- لن أنسى ذلك المشهد طول عمرى.

أسوق هذه الحكاية لأستخلص منها أن الثقافة الموسوعية العميقة وحدها لاتكفى ليصبح اختيار الشيوعية اختيار حياة، ولايكفى أن يملك المرء عقلا لامعا مثل عقل **«سمير أمين»** ليبقى اختياره صامدا رغم المستوى الاجتماعى العالى لحياته الأولى وإمكانيات الارتقاء الطبقى غير المحدودة التى توفرت له بعد ذلك، والتى يمكن أن تشكل أساسا للميوعة الفكرية أو التحلل من الماركسية، بحجة شيخوختها، كما فعل الكثيرون خاصة بعد الانهيار المدوى للاتحاد السوفيتى وأوروبا الشرقية.

لابد من شعلة فى القلب لاتنطفئ.

وقد كانت لسمير أمين هذه الشعلة التى بقيت منذ طفولته الأولى متأججه ومازالت.

«على أننى كنت أفهم الشيوعية على أنها نظام يحقق المساواه بين جميع الأفراد وجميع الشعوب. ولم أغير رأيى فى هذا الشأن. فلا أزال أعتقد أن هذا هو الهدف الوحيد الذى يعطى معنى للنضال الاجتماعى والذى يحمى العمل السياسى من خطر الانحراف الانتهازى..

وكان طبيعيا أن يتعلق الصبى الذى تفتحت مداركه على ضرورة تغيير العالم الظالم بمادة التاريخ.

«وفى المدرسة كان التاريخ يهمنى أكثر من أى مادة أخرى لأنه سيقدم لى دون شك المعرفة التى سأتسلح بها فكريا من أجل فهم العالم وتطوره ووسائل تغييره...»

كان معظم أبناء جيلى من الشباب المصرى يحملون مشاعر العداء للأمبريالية وهو ماجذبهم الى الماركسية، وللأسباب التى أشرت اليها سابقا، تحول قسم كبير منهم على رغم أصولهم الطبقية الرفيعة الى مناضلين فى الحركة الشيوعية المصرية . **وجاء اكتشاف القضية الاجتماعية، لدى الكثيرين منهم، بعد المسألة الوطنية**. فى حين أن مسارى كان عكس ذلك..»

وبين لنا الكتاب بعد ذلك كيف انعكس هذا المسار الذى بدأ من «الاجتماعى- الطبقى» قبل الوطنى على فكرة المجتمع الآخر الذى ينبغى أن يتطلع اليه الاشتراكيون بديلا عن اللحاق بالرأسمالية، فهذا المجتمع الآخر يعول كثيرا على الفلاحين وهم الغالبية العظمى المسحوقة فى بلدان العالم الثالث وعلى التحالف الوثيق بينهم وبين العمال.

«وصلت الى باريس سنة ١٩٤٧ حيث سجلت فى ليسيه هنرى الرابع للرياضيات العليا، وكنت مترددا بين الفيزياء، والرياضيات والعلوم الاجتماعية، وحسمت أمرى فى النهاية لصالح العلوم الاجتماعية..»

«..كرست خلال السنوات العشر التى قضيتها فى باريس، الجزء الأساسى من وقتى للعمل النضالى. والحد الأدنى الضرورى لتحضير امتحاناتى الجامعية.. واخترت النضال فى حركة **طلاب «ماوراء المحيط»** وكان يناضل فيها جنبا الى جنب مصريون، وعرب آخرون، وأفارقة وفيتناميون وأسيويون آخرون . **وقد لعبت المجموعات الشيوعية النشيطة من مختلف الجنسيات دورا قياديا فى المنظمات الجماهيرية المعادية للأمبريالية..**

«.. ولم تكن مجلتنا» **«الطلاب المعادون للاستعمار»** والتى صدرت بين عام ١٩٤٩ وعام ١٩٥٢ والتى أدارها **«جاك فرجيس»** والتى اجتمع حولها عدد من الشباب المناضلين أصبحو (فيما بعد من قادة حركة التحرر فى الوطن العربى (خاصة فى الجزائر) تحظى دائما برضى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى..»

وسوف يقدم **«سمير أمين»** نقدا عميقا فيما بعد سواء للمواقف الملتبسة للحزب الشيوعى الفرنسى بخصوص المستعمرات، أو للمركزية الأوروبية فى الثقافة والتى لم تنج الماركسية من آثارها فى بعض جوانبها، والتى سعى هوللكشف عنها ونقدها وتطوير المادية التاريخية حتى تقوم الماركسية برسالتها الحقه فى آسيا وإفريقيا.

«وفى ذلك المناخ والاطار- الخلية الشيوعية فى العلوم السياسية- التقيت **بإيزابيل** التى تشاطرنى حياتى منذ ذلك التاريخ..»

ومنذ ذلك التاريخ كان اهتمام «سمير أمين» الأوسع هو تعميق المادية التاريخية «وقد شكل إعدادى كاقتصادى قاعدة مفيدة لى لهذا الغرض، وهو أمر لايحكم به غالبا - مع الأسف- ضحايا التقسيم الأكاديمى المصطنع للعمل الذى يفصل الاقتصاديين عن علماء الاجتماع، أو عن المؤرخين..».

كذلك هو ينظر للكتابة نظرة مناضل يجب أن يكتب من أجل دفع السجال للأمام.. «فعند الكتابة كنت أفكر دائما بجمهور من القراء، هو الأكثر أهمية من وجهة نظرى، أى المثقفين المناضلين»..

كان ذلك دأبه منذ أن أطلق صياغته لنظرية الاستقطاب فى رسالته للدكتوراه سنة ١٩٥٧ والتى نشرها بعد ذلك. ولما كان شهر العسل بين الشيوعيين والنظام الناصرى بعد تأميم قناة السويس قصير العمر، كما ذكرت، وكان نقد الشيوعيين للرؤية البيروقراطية والمعادية للديمقراطية للوحدة المصرية السورية غير مقبول.

ففى أول كانون الثانى (يناير ١٩٥٩) أوقفت الشرطة آلاف الشيوعيين. وقد أفلت من لائحة المعتقلين الأولى، ولكنى كنت أعرف أن الشبكة . أخذت تضيق وفى كانون الثانى يناير من سنة ١٩٦٠ غادرت مصر..»

واستقر «سمير أمين» فى مالى ليبدأ رحلته فى إنشاء مراكز للبحوث تعتمد منهجا فكريا فى إفريقيا، وهناك تبينت له بالملموس- مرة أخرى محدودية تجربة التنمية على الطريقة الناصرية ، ومن مالى الى السنغال الى باريس مرة أخرى حيث شهد أحداث ثورة الشباب فى مايو ١٩٦٨ والتى سبق أن أخبرنا أنه كان يعول عليها كثيرا فى قدرة اليسار الأوروبى على تجديد نفسه.

وقسم نفسه بين العمل فى جامعة «بوايتيه» الإقليمية الفرنسية و«داكار» حيث أدار **معهد التنمية الاقتصادية والتخطيط** التابع للأمم المتحدة. وعرف عن قرب كيف يجرى الصراع فى ميدان البحوث وصك المفاهيم وتدريب الباحثين الى أن ترك إدارة المعهد سنة ١٩٨٠ لكى ينشئ المكتب الافريقى لمنتدى العالم الثالث فى داكار.

وتحول المنتدى فى داكار تدريجيا الى أكثر من مركز لتحريك برامج أبحاث مهمة ، وأصبح جمعية نقاش شبيهة بما كان فى أوروبا فى القرن التاسع عشر فلقد أصبح شيئا من «جمعية عالمية للتنمية» للعالم الثالث. فالجمعية الأهلية المذكورة خاضعة لسيطرة المحافظين، أصدقاء البنك الدولى الكثيرين فى الشمال الأمريكى، وفى أوروبا الشمالية تحديدا..»

يقع الكتاب فى تسعة فصول بعد المقدمة

مع فهرس كامل لكل ماكتبه المفكر من كتب ومقالات من عدة لغات.

يعالج الفصل الأول مرحلة مابعد الحرب من ١٩٤٥-١٩٩٢ والتي يحددها بمرتكزات ثلاثة هي **الفوردية** في الغرب الرأسمالي، **والسوفياتية** في بلدان الشرق (والتي اختار لها اسم نمط الانتاج السوفيتي) **والتنموية** في العالم الثالث، هذه النماذج الثلاثة المتنافسة والمكمل بعضها بعضا أخذت تتآكل حتى انهارت.

وكان النظام العالمي الذي ميز هذه المرحلة محصلة مجابهات بين مصالح القوى المسيطرة الفاعلة في كل من النظم الثانوية للنظام نفسه. وتنقسم المرحلة فيما بعد الحرب الى أطوار متعاقبة من طور بناء النظام في كل من أبعاده الثلاثة من ١٩٤٥ الى ١٩٥٥.

فبينما كانت **الولايات المتحدة** تتمتع بنتائج الحرب التي شكلت لها مناسبة سعيدة للخروج من أزمة الثلاثينات الكبرى وتسريع تحديث نظامها الانتاجي.

كان تأخر اليابان وأوربا يتخذ أبعادا دراماتيكية بفعل الدمار الواسع للحرب.. وضعف النمط الفوردي فيهما، والصراعات المنهكة بين المنتصرين والمهزومين في الحرب الأولى، والأزمة الاقتصادية الكبرى التي تلتها.

ومع ذلك كان النسيج الاجتماعي الأوروبي والياباني قويا بما يكفي لعدم تكرار ماحدث سنة ١٩١٩، أي تفادي التجذر الثوري.

ففي سنة ١٩١٩ كانت التسوية التاريخية بين الرأسمال والعمل التي ستقوم عليها عملية التضبيط الايديولوجي ماتزال متعثرة، ولاسيما أن التحضير الايديولوجي لهذه التسوية قد تم إنجازه عبر الالتحاق الكثيف للطبقات العاملة ببورجوازيتها الامبريالية منذ القرن التاسع عشر.

ويسمى **«سمير أمين»** نظام الثنائية القطبية «الولايات المتحدة- الاتحاد السوفيتي» بنظام **«بوتسدام»** لا بنظام **«يالطا»** كما يقال عادة ويخفه. ففي **يالطا** لم تكن الولايات المتحدة تمتلك بعد السلاح النووي، واضطرت لذلك أن تقبل نشوء كتلة خاضعة للحماية السوفيتية في شرق أوروبا، خوفا من احتمال انبعاث العسكرية الألمانية مجددا. وفي **بوتسدام** كانت تمتلك هذا السلاح. وفرضت على الاتحاد السوفيتي واثقة من تفوقها، سباقا منهكا على التسلح.

وكان كل شئ جاهزا لتخرج الى النور.

[redacted]

د. سمير أمين

[redacted]

عبر أيديولوجية باندونغ ١٩٥٥ تعبيرات التنموية الجديدة، الاستقلال، التحديث، التصنيع، سيولد عندئذ تحالف استراتيجي بين هذه الحركة وبين الاتحاد السوفيتي الذي سيخرج من عزلته بهذه الطريقة.

قامت هذه المرحلة على مجموعة من البديهيات الظاهرة الخاصة بكل منطقة من العالم **«الكينزية»** وخرافة النمو المسيطر عليه محليا والمتواصل دون تحديد من الغرب. خرافة اللحاق عن طريق **اشتراكية الدولة السوفيتية**، وخرافة اللحاق في إطار التبعية المتبادلة في العالم الثالث.

أما فكرة الثنائية القطبية بين قوتين عظميين فلم تتعد المظهر، **لأن سباق التسلح الذي فرضته واشنطن أنهك الاتحاد السوفيتي**. ومن المعروف أن الهدف الاستراتيجي للدخول السوفياتي الى المسرح العالمي لم يكن غزو أوروبا ولاتصدير اشتراكيته، وانما ببساطة وضع حد للهيمنة الأمريكية العالمية واستبدالها بالتعايش السلمي في عالم متعدد الأقطاب، وقد فشلت هذه الاستراتيجية.

وقد اتضحت الأزمة أولا في الغرب الرأسمالي، طارحة السؤال عن خرافة التطور المتواصل غير المحدود والتحول الحاسم على هذا المستوى عبرت عنه أحداث (١٩٦٨)، وستقدم السنوات اللاحقة بارقة أمل لتجديد محتمل لليسار في الغرب الذي تخدر منذ التحاقه المالي للإمبريالية في نهاية القرن الماضي. ولكن هذا الأمل سرعان مايتبدد في تقلب البرامج، وانفتح الطريق منذ سنة ١٩٨٠ للهجوم الليبرالي الجديد الذي سيفرض إجاباته من دون أن يكون قادرا على إخراج المجتمعات الغربية من نفق الأزمة الطويلة، ولاعلى إحياء أوهام النمو غير المحدود.

وتنهار أوهام التنموية في العالم الثالث، وتسقط الأنظمة الجذرية واحدا بعد الآخر، وتخلي الساحة لسياسات رجعية مسماة بسياسة التكيف البنيوي التي فرضها الغرب في الثمانينات، وكان هذا كله نتيجة بلوغ مشروع باندونغ حدوده التاريخية، والتناقضات الداخلية التي أثارها وطورها من جهة، والعدوانية الخارجية الجديدة التي رافقت انقلاب الظروف العالمية من جهة أخرى.

وكان **إنهيار السوفيتية هو الأعنف بين كل الانهيارات**، فالبناء الذي بدا متماسكا لدرجة أن الايديولوجيين المحافظين. اعتبروه **«توتاليتارته أزلية»** كان في الواقع منخورا حتى النخاع من الداخل، وكان نتيجة لتطور داخلي باتجاه رأسمالية عادية بدأ منذ نصف قرن تقريبا، وتسارع فجأة بنسبة كبيرة من جهة، ولعدوان خارجي متمثل من جهة ثانية بسباق التسلح الذي ربحته واشنطن.

وكان أن تحولت بعض مناطق العالم الثالث التي لم تدخل مرحلة التصنيع الى عالم رابع، وهو مايعكس القوانين العميقة التي يهمش الاستقطاب من خلالها بعض هذه الأطراف. ويميز بعضها الآخر. **وفي العالم الثالث السائر في طريق التصنيع لاتتوفر أي من الشروط المواتية لتسوية تاريخية بين رأس المال والعمل، وبالتالي يتخذ التوسع الرأسمالي أشكالا وحشية**. فالوجود المتزامن لجيشين كبيرين في العمل أحدهما فاعل والآخر احتياطي يجعل الأزمة الاجتماعية حادة دائما، وثورية في الاحتمال. وتخلق هذه الوضعية المميزة للرأسمالية الطرفية الحديثة الشروط السياسية والإيديولوجية المناسبة لبناء تحالفات وطنية وشعبية متمفصلة حول الطبقة العاملة والفلاحين المستغلين بقسوة، والجماهير المهمشة والفقيرة التي تشكل جيش الاحتياطي.

وفي العالم الرابع المحروم من التصنيع وبسبب من ضعف النضالات الاجتماعية الجارية على أرضية الانتاج والسلطة، والناجمة عن هذا التهميش تنقل الأزمات الى مستوى التعبير الثقافي الذي يبقى عرضا للأزمة وليس ردا حقيقيا على تحدياتها، وعلى هذا الأساس يحلل سمير أمين في أماكن أخرى ظاهرة نمو الإسلام السياسي.

باختصار كانت الأزمات السياسية والايديولوجية، والمشاريع التقدمية المقابلة

معـرقـة فى دورة مـابعـد الحـرب بالحـدود التاريخية للايديولوجيات المسيطرة الثلاث: **الاشتراكية الديمقراطية فى الغـرب، والسوفياتية فى الشـرق، وايديولوجية التحرر الوطنى فى الجنوب.**

وإذا كانت الحرب الأولى قد أغلقت الحلقة الأولى من تطور الفكر والممارسة الاشتراكية، فالحلقة الثانية التى افتتحتها الثورة الروسية قد أغلقت اليوم بدورها، **والمطلوب اليوم بناء حلقة ثالثة تشكل اجابة على تحديات الرأسمالية التى دخلت مرحلة جديدة من توسعها.**

ومادامت الاقتراحات الذاهبة فى هذا الاتجاه لم تتبلور بصورة كافية فى عملية صياغة بديل اشتراكى جديد، ومادامت القوى الاجتماعية والايديولوجية التقدمية لم تتحول الى روافع وحوامل للنضال فى سبيل تثبيت هذا البديل، **فإن التناقضات التى تحملها الرأسمالية فى ذاتها لن تولد «نظاما جديدا» كما يحلو لليبراليين الجدد فى السلطة أن يؤكدوا، بل ستنتج حالة من الفوضى الهائلة لاغير.**

ويرسم فى الفصل الثانى **«بناء النظام»** مشهدا لتطورات العقد الأول من فترة مابعد الحرب مرتبطا بتكوينه الثقافى فى كل من مصر وفرنسا. ونتوقف فى هذا الفصل أمام حقيقتين لعبتا دورا كبيرا من حياة هذا الجيل من المناضلين الشيوعيين.

الأولى هى العداء الحاقد لدى السلطات الغربية إزاء الاتحاد السوفياتى (المكارثية أو مملكة الشر حسب تعبير رونالد ريجان بعد ثلاثين عاما) كان يدفعنا الى الإعتقاد بأن النظام السوفياتى يشكل خطرا حقيقيا على الرأسمالية، وما ذلك بسبب عدوانيته، فقد كنا نعرف أنه فى موقف الدفاع، ولم نكن نخال سياسيا غربيا واحدا يتمتع بحد أدنى من الكفاءة مقتنعا بأن «ستالين» سيغزو أوروبا الغربية بالفعل، وموقفنا التضامنى مع الاتحاد السوفيتى لم يكن ليستوجب اقتناعا كاملا بطبيعة النظام إذ تعودنا على التفكير- وعن حق- **بأن القوى الغربية لم تتدخل منذ سنة ١٤٩٢ فى أى منطقة من العالم الثالث من أجل الدفاع عن قضية جديرة بالدفاع ، بل كانت تدخلاتها دائما، ومن دون** استثنا معادية لشعوبنا . وكنا ندرك بداهة أن الرأسمالية لاتستطيع إحتمال أن يرفض بلد مـا الخضوع لأوامرها وهذا تحديدا مايشكو منه الغرب لدى الاتحاد السوفييتى.

الحقيقة الثانية هى أننا كنا نحمل حكما نقديا على الديمقراطية البورجوازية أكثر جذرية من نقد كثير من التقدميين الغربين . وكنا نرى يوميا كيف تحرم الديمقراطية على شعوبنا بصورة منهجية، وكيف أن الدبلوماسيين الغربيين لايتذكرونها الا حين يكون ذلك تكتيكيا فى مصلحتهم. ولم يتغير شئ على هذا الصعيد. ويبقى أن هذه الحجة- التى يمكن أن تفهم على مستوى نفسى- ليست بصالحة على مستويات أخرى، **لأن الاشتراكية، أو أى تقدم شعبى باتجاهها يجب أن يكون بالضرورة أكثر ديمقراطية من الديمقراطية البورجوازية..** وكنا نميل فى الميزان كثيرا فى الجهة الأولى ولكننا كنا شديدى القسوة عندما كان الأمر يتعلق بنقص الديمقراطية أو غيابها لدى الأنظمة الوطنية الشعبوية. وقد انطلقت تحفظاتنا على الناصرية ونقدنا اياها منذ البدء من هذه النقطة الجوهرية وكنا على حق فى هذه المسألة، ولكن أنى كان لنا أن نعرف أن هذه الحجة تنطبق على الاتحاد السوفيتى كذلك.

ويعرض الفصل لجانب من تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر التى يحق لها أن تفخر اليوم بكونها دعمت منذ سنة ١٩٤٠ التيار المعادى للصهيونية بين التقدميين اليهود فى مصر.

ويتوقف طويلا عند الأسباب الشخصية التى جعلت عملية توحيد الحركة الشيوعية المصرية هشة ثم شبه مستحيلة.

فى هذه المرحلة وفى رسالته للدكتوراه أطلق فكرة أن التطور والتخلف يشكلان وجهين لنفس الميدالية. التوسع الرأسمالى وكان قد اختار للرسالة عنوانا هو **«فى أصول التخلف، التراكم الرأسمالى على صعيد عالمى».**

«وانى فخور بحدسى فى تلك المرحلة (كان عمره سته وعشرين عاما)، أقول ذلك من دون تواضع زائف، فقد قدمت رؤية سبقت زمانها». «وكانت فكرتى المركزية هى **أن الاقتصاد المتخلف لاوجود له بذاته، وإنما يشكل عنصرا من الاقتصاد الرأسمالى العالمى».**

وكان **«سمير أمين»** هو الذى استخدم مبكرا جدا تعبير التكيف البنيوى الذى استخدمه البنك الدولى بعد ذلك بثلاثين عاما وأصبح تعبيرا عالميا.

ويتابع الفصل الثالث **«نظرية التراكم: تكونها وتطورها»** باعتبار أن التراكم هو محرك الحياة الرأسمالية مطورا اكتشاف «ماركس» الرئيسى أى الاستلاب السلعى كخصوصية لنمط الانتاج الرأسمالى مؤكدا أن القيمة لاتحكم فقط الاقتصاد الرأسمالى ، بل جميع أشكال الحياة الاجتماعية فى هذا النظام ، وحيث الاتجاه العميق والدائم والمسيطر فى النمط الرأسمالى هو فى خلق طاقات انتاجية متفوقة على القدرة الاستهلاكية، وميل الرأسمالية الى توسيع الأسواق ويرى سمير أمين أن جوهر مساهمته يتمثل فى **«أن الرأسمالية بوصفها نظاما عالميا قائما بالفعل هى شئ مختلف عن نمط الانتاج الرأسمالى على الصعيد العالمى».**

وفى هذا الصدد قدم نقدا جذريا لكل من أسس الاقتصاد البورجوازى، والمزايا المقارنه، ونظرية النقد ونظرية الدورة، ونظرية توازن ميزان المدفوعات ، ونظرية التنمية الوليدة..

«هذا النقد قادنى تلقائيا الى تحويل مسألة التخلف الى حقل المادية التاريخية، وقد فهمتها ، لابوصفها جمعا لأبعاد مختلفة شكلت مواضيع لسلسلة من العلوم المفصلة التى وضعها الفكر البورجوازى فى مواقع التعارض ولكن بوصفها التعبير عن وحدة النظرية والتاريخ، ووحدة الحقول الاقتصادى والسياسى والايديولوجى.

«وكنت أعتبر أن بناء نظرية للتراكم على الصعيد العالى يستدعى مثيلا له من تاريخ التشكيلات الاجتماعية..»

وقد «اخترت مباشرة النقد الماوى- منذ صيغ فى بداية الستينات وبخاصة منذ ١٩٦٦ عندما فتح فصل الثورة الثقافية، وأضيف أن المنهج الذى اعتمدته مذ سنة ١٩٥٧- **اعتبار النظام العالمى وحدة تحليل التراكم وكان** سابقا على المدرسة الفكرية التى سمت نفسها (النظام العالمى)

«لقد دعت المادية الى التفكير فى عملية الانتقال ، واعادة التوازن الى أهدافه المتناقضة وطرحت السؤال **هل المطلوب بالدرجة الأولى تطوير القوى المنتجة حتى ولو أدى ذلك الى إعادة انتاج الكثير من الخصائص الأساسية للرأسمالية؟ أم المطلوب«بناء مجتمع أخر، كما طرح هذا المجال الذى انفتح أخيرا السؤال بشأن عدم حياد التكنولوجيا الذى كان ملموسا فى الماركسية التاريخية السابقة.**

وفى هذا الفصل يقدم شرحا ممتعا لإضافاته لقانون القيمة فى نمط الانتاج الرأسمالى، وتوزيع القيمة الفائضة والمادية التاريخية وقانون القيمة المعلومة من واقع كتبه عن «التراكم على الصعيد العالمى والتطور اللامتكافئ» وقانون القيمة، والامبريالية والتطور اللامتكافئ» وقانون القيمة والمادية التاريخية.

ويتابع الفصل الرابع عملية التوسع الاستقطابى العالمى للرأسمالية حيث **يستوجب الاستقطاب دائما لاتكافؤا وعدم مساواة، كذلك فإن الهيمنة ليست قاعدة فى تاريخ التوسع الرأسمالى ، بل هى استثناء** هش وقصير الأجل، وقانون النظام هو بالأحرى التنافس المستديم، وعن «الأزمة الراهنة ومستقبل الرأسمالية العالمية «فان خيارا أكثر ملاءمة لحل الأزمة يقتضى تحالفا أمميا بين عمال البلدان الرأسمالية المتطورة الذين تخلوا عن تضامن يخضعهم لرأسمالهم الوطنى وبين الكتلة المعادية للكومبرادور فى الأطراف..»

ويتابع الفصل الخامس توسع المشروع البورجوازى الوطنى فى العالم الثالث وانهياره ١٩٥٥- ١٩٩٠، ويكون السؤال على النحو التالى:

هل يمكن اقامة رأسمالية وطنية فى العالم الثالث؟ ماذا تستطيع أن تحقق فعليا وماهى حدودها؟ وهل يجب عليها أن تحضر عملية تجاوزها الاشتراكى ذاتيا؟.

ومن عام ١٩٥٤ حتى عام ١٩٨٠ «كنت أشاطر الحزب الشيوعى الصينى التحليلات التى اقترحها، فى حين أننى بدأت أنظر بعين النقد من سنة ١٩٨٠ الى عمليات الانفتاح الرأسمالى الموضوعة للتطبيق..» فبعد الانتصارات جاء زمن الجزر حتى فى قلب التجارب الاكثر وعدا، واكتشفنا تدريجيا إبتداء من سنة ١٩٧٥ ماكانت عليه الحدود التاريخية للماوية وهو ماعبرت عنه فى كتابى الماوية ١٩٨١، وقد بدأنا نرى أن المعركة كانت لاتزال بعيدة جدا عن الانتصار، وأنه حتى فى الصين تستطيع قوى الرأسمالية أن تشق طريقها من جديد..

أما مايسمى بالمعجزة الكورية «فقد لعب العالم الخارجى هنا بصورة استثنائية، وعلى عكس القاعدة العامة، دورا إيجابيا مهما، **فكوريا وتايوان تلقيان، بالاضافة الى إسرائيل الحصة الأساسية من المساعدات الخارجية الأمريكية على المستوى العالمى..»** وقد سمحت هذه المساعدة هنا بتجاوز سنوات البداية الصعبة فى ظروف لايمكن أن تتكرر فى مكان آخر. وفوق ذلك، وبسبب **«الخطر الشيوعى»** قامت الأنظمة هنا بإصلاحات فى ميدان الزراعة تحديدا، لايمكن حتى التفكير فيها من أماكن أخرى نظرا لطبيعة التحالفات العليا التى تنخرط فيها البورجوازية الريفية ، وخاصة أصحاب الملكيات الكبرى (كما فى شمال الهند). وهذا الخطر الشيوعى ذاته سمح لهذه الأنظمة أن تنال ثمن عدائها للشيوعية. إذ كانت الولايات المتحدة تقبل هنا ذلك التيار الوطنى الذى تحاربه فى أماكن أخرى من العالم. وبذلك **إستطاعت هذه البلدان أن تتبنى استراتيجية دولية واستراتيجية حماية صناعية خلافا لما كان يفرضه البنك الدولى فى مناطق أخرى».**

وقصدت أن أقتطع هذا النص الطويل لأضعه أمام المهووسين **«بالمعجزة الكورية» والنمور الخمسة»** دون أن يضعوا كل هذه الحقائق فى الاعتبار، ويروجون وهما لدى الجمهور العادى أن هذه المعجزة إنما هى ثمرة **«الخصخصة»** والالتزام بروشتة صندوق النقد الدولى والبنك الدولى.

ويقدم **«سمير أمين»** نموذجا آخر للتحديث والتقدم، وطريقة أخرى للتعامل معه من قبل الأمبريالية «ولكن يبقى، رغم كل شئ أن دكتاتورية صدام **حسين** قادت البلاد فى عملية تحديث صناعى تكنولوجى وعسكرى لاشبيه لها فى العالم العربى المعاصر، وعقابا على هذه الجريمة اتخذ قرار تدمير العراق سنة ١٩٩٠».

إن عقد الثمانينات هو اذن عقد الأزمة المعممة للمشاريع البورجوازية الوطنية شعبويه كانت أم شبه فاشية الناصرية وأضرابها فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية باختصار **«أن مشروع التنمية الرأسمالية فى الأطراف هو مشروع عجوز وطوباوى».**

وهنا ينقد **«سمير أمين»** - بأسى- هؤلاء الذين سارعوا بالصاق تهمة اليسارية بكل الذين ركزوا على مأزق مشروع باندونج، وطبيعته البورجوازية، وانتهازية مفهوم الطريق اللارأسمالى الزائف.. وهو واحد من هذه القلة التى أخذت تصرخ فى البرية دون أن تستمع إليها- الا القلة.

ولم تكن نبوءات سمير أمين التى صاغها سنة ١٩٦٠ بأن نهاية الناصرية ستتخذ الاشكال التى اتخذتها تحت اسم الانفتاح نتيجة فحسب لرؤيته النقدية الثاقبة وإنما أيضا لخبرة العمل فى القطاع العام فى مصر فى الفترة من ١٩٥٧- ١٩٦٠ حين «أجبرتنى مهماتى أن أتابع عن قرب الطريقة التى أدير بها القطاع العام الناشئ، وأن أتابع كذلك نقاشات مجالس إدارة المؤسسات وقراراتها. وشاهدت بالملموس كيف تكونت «الطبقة الجديدة» ، وكيف فرضت المصالح الخاصة لهؤلاء السادة كثيرا من القرارات، وكيف جرى تهميش ممثلى العمال (تجديد ناصرى ممتاز من حيث المبدأ) واستغفالهم أو شراؤهم.

وينهض الفصل السادس على التحليل النقدى لمفاهيم التنمية وسياساتها فسوف أتوقف فيه أمام البدائل ، ومنها وضع مسائل الاندماج والتعاون الاقليمى فى اطار استراتيجية التنمية المتحورة على الذات التى تفك الارتباط بالرأسمالية العالمية وتصبح من ثم ذات محتوى شعبى ووجهة اشتراكية، فالتاريخ يثبت أن اللحاق فى إطار الرأسمالية العالمية مهمة مستحيلة وبما أن التجارة بين الجنوب والجنوب عموما هى تابع مكمل للعلاقات اللامتكافئة بين الشمال والجنوب، فأنه يجب تطويرها .لكى تصبح، تدريجيا ، بديلا عن هذه الأخيرة ولو جزئيا ، ويجب استهداف بناء مساحات واسعة مستقلة ومفكوكة الإرتباط وقائمة على تخطيط تكاملى لاعلى وهم السوق المشتركة ، وفك الارتباط هو البديل الواقعى الوحيد فى حين أن اصلاح النظام العالمى هو طوباوية فعلية ، **وفك الارتباط ويعنى اخضاع العلاقات الخارجية لمنطق التطور الداخلى الى بناء الوحدة العربية يتطلب الاعتراف بتنوع مكوناتها وبناء جهة شعوب متحررة من وهم البورجوازية العربية وزعمها القدرة على تحقيق هذا الهدف.**

وفى نهاية هذا الفصل عرض سريع لأهداف بناء خيار أسماه المفكر الاشتراكية ٣ عبر إقامة الركائز الضرورية لأممية الشعوب التى تفرض الانتقال الى هيمنه العمل فى المجتمعات الأكثر تقدما، وإلى الهيمنة الوطنية- الشعبية فى المجتمعات الأخرى ولايضعنى هذا الموقع فى عداد العالم ثالثيين- كما يعتقد عدد من ناقدى السطحيين بل يبرز موقفى الأساسى كأممى (كونى).

و الفصل السابع «أزمة النظام ثلاثون

عاما من نقد النظام السوفيتي». يبين لنا سمير أمين كيف أنه تصور مع انطلاق البيرسترويكا أن انهيار النظام في هذه الدول لم يكن ليشكل بالنسبة له سوى أحد الاحتمالات بينما كان هناك احتمال آخر أن يتطور النظام باتجاه اليسار، ولكن تطلع البورجوازية السوفيتية للمثل الأعلى الاستهلاكي الذي قدمته الرأسمالية الغربية جنبا الى جنب إنهيار الوعي السياسي للجماهير الكادحة التي تصورت أن النظام الذي يسقط . والمعادي لها كان فعلا اشتراكيا ولذا رحبت بالرأسمالية ، بينما كان الحزب الذي احتضن البيروقراطية والطبقة الرأسمالية الجديدة قد انعزل تماما عن الشعب وتحول الى جثة عفنة..

وقد أثبتت كل تحليلات سمير أمين القديمة صحتها- وإن لم يكن هو نفسه صاحب هذه التحليلات قد توقع أن تكون النهاية مأساوية لهذا الحد.

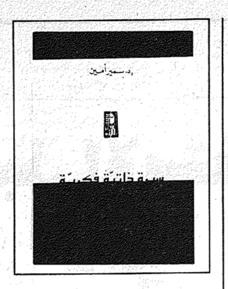
ويواصل في الفصل الثامن تحديد أزمة النظام وإحداث التوازن والانسجام في شكل انهيار آليات التضبيط الرأسمالي (أي أشكال التسوية الإجتماعية) ، فالكتاب يؤكد في كل فصوله أن الرأسمالية المنتصرة قد دخلت بدورها في أزمة عميقة. ومحددة «وإن تخفيف بعض التناقضات من خلال نمط تضبيط معين يجعل تناقضات أخرى تحتدم عنفا وتتضاعف..»

والتناقض الجوهري يجعل الرأسمالية نظاما يحمل في ثناياه ميلا دائما نحو فائض الانتاج (على الاستهلاك) وهو ظاهرة جديدة في تاريخ الانسانية لم تظهر قبل الثورة الصناعية..

المنافسة هي القاعدة

وهو يناقش الائتمان من كل زواياه كآلية من آليات التضبيط.. ويصل الى أن الهيمنة هي الاستثناء في تاريخ التوسع الرأسمالي العالمي، أما القاعدة فهي المنافسة بين المراكز وبالتالي غياب التضبيط.

ويتبع الفصل ظاهرتي الاستعمار والدولة فالاستعمار حقق هيمنة المراكز على الأطراف، وضمنت الدولة إعادة انتاج علاقات الانتاج الأساسية من أجل تواصل نمط تاريخي ملموس للهيمنة الطبقية، كما ضمنت اعادة تكوين علاقات اجتماعية أساسية من منظور العامة وضمان سير هادئ أسلس للوظائف المذكورة يتطلب درجة من استقلالية الدولة ازاء مقتضيات تراكم رأس المال



«خلاصة ماتوصلت اليه إن آليات التضبيط تملأ مجال المادية التاريخية بجميع أبعادها ولاتقتصر على مجال الاقتصاد.. وأن **«انحصار الماركسية التاريخية يكاد يكون على المستوى الاقتصادي قد أدى الى تخلف نظرية السلطة بالمقارنة مع نظرية أنماط الانتاج، وقد لفت النظر الى هذه المشاكل في كتابات أخرى ورفضت على أساس هذه الملاحظة النظرية المبسطة التي تجعل الايديولوجيا مجرد انعكاس لمقتضيات القاعدة المادية..»**

وتمتد آليات التضبيط الفوردية (نسبة لرجل الأعمال الأمريكي فورد) من سنة ١٩٢٠ حتى ١٩٧٠ حين أخذت في الانهيار ومن هذه المرحلة قامت أكبر عملية تسوية بين الطبقة العاملة الأمريكية ورأس المال «حتى صارت اللغة الاجتماعية نفسها تتغير، فاختفى من اللغة الجديدة المصطلح القديم- الطبقات المتصارعة ، ليحل محله مصطلح محايد (الفاعلون الاجتماعيون) ، وقد أدى ذلك الى تحول جذري في تقاليد الطبقة العاملة التي تخلت عن مشروعها الأصلي ألا وهو مشروع اقامة مجتمع آخر- إشتراكي على أساس الغاء الملكية الفردية لوسائل الانتاج، وانضمت الى ايديولوجيا بديلة- مفادها الأساسي الترحيب وقد أصبح التضبيط مستحيلا في الآفاق المنظورة لأسباب تتعلق بالعلاقات بين المركز والاطراف ، فالتصنيع الجديد في بلدان الأطراف يقوم على فوردية دون حل اجتماعي اشتراكي ديمقراطي، **فقد أدى الاستقطاب الى تبلور استراتيجيتين مختلفتين إحداهما خاصة بالطبقة العاملة في المراكز وهي استراتيجية الاشتراكية الديمقراطية، وثانيتهما ضمت الطبقات الشعبية في الأطراف أي الاحتياطي على صعيد عالمي وهي استراتيجية الماوية واللينينية..**

ويبقى السؤال:

هل سيؤدي تصنيع الأطراف وإعادة اندماج الشرق الاشتراكي سابقا في النظام الرأسمالي إلى العودة للنموذج الماركسي عن وحده البيروليتاريا العالمية؟ لا أعتقد ذلك لأن السوق العالمية الجديدة ستظل مبتورة ومقصورة على بعدين من أبعادها الثلاثة أي التجارة وتحركات الأموال دون اندماج العمل عالميا. الأمر الذي سيؤدي بدوره الى مزيد من الاستقطاب.

وفي الفصل التاسع نجد عرضا ممتعا وشيقا للمساهمة الأساسية لسمير أمين في المادية التاريخية فهو رفض منذ البدء **التعامل مع المادية التاريخية على أنها فصل من فلسفة أوسع توصف** بالمادية الديالكتيكية وتقوم على البحث عن قوانين مشتركة تتحكم بالطبيعة والمجتمع، وصاغ مفهوم نمط الانتاج الخراجي الذي اندرجت فيه كل المجتمعات ماقبل الرأسمالية رافضا فكرة المراحل الخمسة الستالينية لتقدم نقدا جذريا للمركزية الأوروبية وللنزعة الإقتصادوية والطوباوية الليبرالية مشككا في مقولة «الانتقال الى الإشتراكية» وفي إمكانية أن نستخلص قوانين للانتقال .. وكلها قضايا تحتاج كتبا أخرى.

وبعد فإن هذه القراءة الأولية للكتاب لن تغني أبدا من قراءة ثانية وثالثة ناهيك عن قراءة الكتاب نفسه الذي سوف يكشف لنا في كل مرة مستويات أعمق من سابقه مغلفا بهذا الأسى الشفيف الذي يبثه مناضل شيوعي في استخلاصات فكرية نزيهة لكنها مؤلمة.

ولأن سمير أمين لم يستخدم مفكرة كما قال في مقدمته الممتعة فقد وقع في عدة أخطاء في التواريخ فهو يقول مثلا. أن اتفاقيات كامب ديفيد قد عقدت سنة ١٩٧٧ والصحيح أنها عقدت ١٩٧٨ وكانت زيارة السادات للقدس سنة ١٩٧٧، ويقول أن النميري تخلص من الشيوعيين سنة ١٩٧٠ بعد اتهامهم بمحاولة الانقلاب عليه وإعدام زعمائهم والتاريخ الصحيح هو ١٩٧١ ويقول أن الانتفاضة الفلسطينية قد بدأت عام ١٩٨٨ والتاريخ الصحيح هو ١٩٨٧، ويقول إن انسحاب الساندينيين من الحكم في نيكاراجوا قد وقع بعد انتخابات ١٩٨٩، والتاريخ الصحيح هو ١٩٩٠...

فكر

مستقبل الاستقطاب على صعيد عالمى

د. سمير أمين



اقصد بالاستقطاب مجموعة ظواهر اقتصادية واجتماعية تتجلى فى تفاقم مستمر للفجوة بين بلدان الرأسمالية المتقدمة من جانب وبلدان العالم الثالث من الجانب الآخر. وهى فجوة تتجلى فى تفاوت متزايد على صعيد انتاجية العمل ومستويات المعيشة. ومن البديهى أن تشمل مثل هذه الظاهرة الشمولية جوانبا عديدة مثل التفاوت التكنولوجى وغيره من اشكال عدم التكافؤ.

ولاريب ان عدم التكافؤ فى النمو المحقق ليس جديدا فى التاريخ، بل هو ابرز الظواهر التى يتسم بها التاريخ منذ أبعد العصور قدما. بيد أن الرأسمالية هى أول نظام اجتماعى ضم الكون بكليته فى منظومة مندمجة فانتج من خلال آليات سيره الذاتى ذلك الاستقطاب الذى حن بصدده هنا والذى لابد اذن أن ينظر اليه على أنه ظاهرة تخص العصر الحديث الرأسمالى.

لقد تجلت ظاهر الاستقطاب الحديث (الرأسمالى) فى صور متتالية لازمت تطور نمط الانتاج الرأسمالى نفسه في مراحله المختلفة.

(١) **الشكل المركنتيلى** (من ١٥٠٠ الى ١٨٠٠ ميلادية)، السابق على الثورة الصناعية، والذى اتسم بهيمنة رأس المال التجارى للمراكز الاطلنطية المسيطرة فَكَيَّف اطراف تلك العصور- أى القارة الامريكية- بحيث انها خضعت لمقتضيات اعادة انتاج تراكم رأس المال التجارى.

(٢) الشكل الذى نسميه الشكل **«الكلاسيكى»** الذى تبلور فى اعقاب الثورة الصناعية وهى تلك النقلة الكيفية التى اتاحت تكوين المراكز فى صورتها المتكاملة النهائية. هذا بينما **ظلت القارات المتخلفة الثلاث ريفية وغير مصنعة،** الأمر الذى أدى الى اندماجها فى تقسيم العمل العالمى بصفتها مصدرة لمنتجات اولية زراعية ومعدنية. أضيف الى ذلك سمة ثانية لاتقل اهمية فى ادراك طابع الاستقطاب المعنى هنا، الاوهى تبلور النظم الانتاجية الصناعية المركزية كنظم وطنية متمركزة على الذات، وهى ظاهرة رافقت بناء دولة البورجوازية الوطنية.

من هنا نستطيع أن ندرك الابعاد الايديولوجية فى استراتيجية حركة التحرر الوطنى التى نشأت وانتشرت فى العالم الثالث فى مواجهة تحدى الاستقطاب، فهى وضعت لنفسها هدفين مرتبطين بعضهما ببعض: **أولا التصنيع** كمرادف للتقدم والتحرر ووسيلة «اللحاق» بمستويات اعلى من النمو، **وثانيا بناء الدولة الوطنية** على نمط ماقد سبق انجازه فى الدول المركزية. هكذا تبلورت ايديولوجيا **«التحديث»** التى اضفت هذا المضمون المحدد لمفهوم «المعاصرة». وقد ساد هذا الشكل الكلاسيكى للاستقطاب منذ فجر الثورة الصناعية (اوائل القرن التاسع عشر) الى مابعد الحرب العالمية الثانية.

(٣) **مرحلة مابعد الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥-١٩٩٠)** هى مرحلة تآكل تدريجى للسمتين الموصوفتين هنا. فهى مرحلة تصنيع الاطراف، وأن كانت درجة انجاز هذا التصنيع متفاوته من منطقة لاخرى.

فصار هذا التطور متحكما اقتصاديا واجتماعيا فى آسيا وامريكا اللاتينية على الأقل. وكان هذا التقدم من أهم نتائج انتصار حركات التحرير الوطنية التى سبق أن حققت فعلا الشرط الاول الاساسى من أجل انجاز التحديث المطلوب الاو هو الاستقلال السياسى. والمرحلة هى ايضا مرحلة تفكك تدريجى لنظم الانتاج الوطنية المتمركزة على الذات واعادة دمج العناصر المكونة لها فى منظومة انتاجية عالمية الطابع، اقول ان هذا التآكل على الصعيدين المذكورين هوالتجلى الجديد للعولمة وتعمقها.

(٤) أدى تراكم هذه التحولات الى انهيار موازين نظام مابعد الحرب العالمية الثانية. على أن هذا **الانهيار لم يؤد تلقائيا الى تكوين نظام عالمى جديد يتسم بسمات جديدة ويحل محل السابق، بل ادى الى فوضى هى** بدورها ناتج فشل فى المجالات الثلاثة الآتية:

***مجال النظام السياسى والاجتماعى** حيث أن المنظومة العالمية لم تتكيف بعد لاحتياجات تجاوز الممارسات الوطنية فى ادارة السياسة لكى تلائم هذه الأخيرة مقتضيات عولمة الاقتصاد.

***فى مجال تنسيق العلاقات الاقتصادية والسياسية بين المراكز القديمة والبلدان الحديثة التصنيع** فى آسيا وامريكا اللاتينية بحيث أن تتاح للاخيرة فرصة فى اختراق الاسواق العالمية وان يستمر نموها مدعما على هذا الأساس.

***فى مجال اقامة علاقات جديدة مع الاطراف التى لم تدخل بعد فى مرحلة التصنيع** او التى لم تفلح فى اختراق اسواق المنتجات الصناعية، والتى تعانى بالتالى من تهميش فى المنظومة العالمية الجديدة.

تعانى جميع مناطق العالم- المتقدمة والمتخلفة- مما يترتب على الفوضى من نتائج مؤلمة فى مجالات عديدة تخص السياسة والايديولوجيا والمجتمع.فالفوضى مسئولة عن العوائق التى تقف فى سبيل تقدم المشروع الاوروبى حتى اصبح هذا الاخير عاجزا عن مواصلة سيره نحو اندماج سياسى يوازى اندماج الاسواق. هذا بالاضافة الى الاضطرابات التى تخص اوروبا الشرقية والعالم الثالث المصنع القادر على المنافسة الدولية والعالم الرابع المهمش.

اقول اذن ان اضطرام هذه التناقضات الجديدة تقوم دليلا على أن العولمة غير ثابتة، بل تتعرض لعوائق متفاقمة قد تقضى عليها.

(٥) لايعنى الاعتراف بالطابع الفوضوى للواقع الراهن غياب اتجاهات عامة ناتج فعل قوى تعمل فى داخل النظام قد تؤدى الى تثبيته، أو بتعبير ادق الى سيناريوهات مختلفة يتوقف تحقيقها على ناتج تفاعل عناصر متناقضة واحتمال تهدئة الامور فى هذا الاطار وتدعيم توازنات ثابتة جديدة. ادعو هنا الى فتح النقاش حول هذه التساؤلات التى يتفاداها الخطاب السائد، وهو خطاب ينحصر فى العموميات حول العولمة «التى لابديل لها»، دون ادراك ان الحوادث اليومية تثبت ان هذه العولمة مفروضة تماما.

وقد لاحظ القارئ اننى اقترح هنا منهجا لايمت بلاشكالية «الهيمنة» بصلة. ذلك لاننى لا أقرأ التاريخ الرأسمالى على أنه تسلسل «هيمنات» متتالية، بل ارتئى أن مفهوم الهيمنة المقترح يظل ضبابيا وغير علمى وسقيما وبالتالى لايمكن أن يكون محور البحث. على عكس ذلك طرحت أن «الهيمنة» لاتمثل القاعدة فى التاريخ بل الاستثناء وأن القاعدة هى الصراع بين منافسين يحول دون تحقيق الهيمنة المزعومة. فأرى- على سبيل المثال- ان هيمنة الولايات المتحدة فى المرحلة الراهنة هى ناتج عدم تبلور بديل للخروج من الفوضى اكثر منها ناتج تفوق حقيقى للولايات المتحدة فى مجالات حاسمة.



اقترح اذن الانطلاق فى البحث عما هو جديد بالفعل فى النظام العالمى، عما ترتب على تآكل سمات النظام السابق. وارى أن هذه العوامل الجديدة تخص مجالين اثنين هما:

* **مجال فعالية الدولة الوطنية التى لم تعد متمركزة على الذات،** فيتجلى التناقض الجديد فى اختفاء التلاؤم بين مجال عمل قوانين تراكم رأس المال وهو مجال اصبح عالميا وبين مجال الادارة السياسة والاجتماعية التى لاتزال محكومة قطريا.

***مجال التعارض «مراكز- اطراف»** الذى لم يعد مرادفا للتعارض بين مناطق مصنعه ومناطق غير مصنعة، الامر الذى أدى بدوره الى اشكال جديدة للاستقطاب.

يحتل قطر معين موقعا فى هرم التراتبية العالمية بحسب قدرته على اختراق الاسواق العالمية اختراق المنافس الناجح. لايعنى الاعتراف بهذه البديهة قبول اطروحات الفكر الاقتصادى السائد وهى اطروحات تدعى أن الانجازات فى تسلق سلم التراتبية هى ناتج تنفيذ سياسات اقتصادية «رشيدة»، علما بان الرشيدية هذه تعكس بمعايير الخضوع لما تعتبره هذه الرؤية «قوانين السوق الموضوعية» كلا.. على عكس هذا الخطاب الخاوى من مضمون علمى اقول ان القدرة التنافسية المحققة هى نفسها ناتج مجموعة مركبة من الشروط التى تفعل فعلها فى مجال الواقع الاجتماعى بشموليته، أى فى مجال الاقتصاد والاجتماع والسياسة. كما أقول ان المراكز تتمتع فى هذا السباق بين غير متكافئين بما اسميه «الاحتكارات الخمسة» التى تكون محور تفوق فعالية المراكز. وهذه الاحتكارات الخمسة هى الآتية:

١-احتكار المراكز فى مجال التكنولوجيا الحديثة، وهو إحتكار قائم على إفراط الانفاق. فلاتستطيع أن تواجهه عدا الدول العملاقة الغنية، ويمتنع الخطاب اللبرالى الجديد عن ذكر هذا العامل وأهمية دور الدولة والانفاق العسكرى الذى لاتستطيع الاحتكارات الخاصة بدونه أن تمارس تفوقها فى هذا الشأن.

٢- احتكار المراكز المسيطرة على التحولات المالية على صعيد عالمى. فقد انتجت لبرلة المؤسسات المالية العملاقة التى تنشط فى الاسواق المالية العالمية، انتجت قدرة مالية لامثيل لها سابقا. فكان الجزء الاكبر من المدخرات المكونة فى اطار قطرى محدد محبوسا فى التداول داخل القطر. واستمرت الاوضاع على هذا النمط الى وقت قريب. ثم اخذت الاوضاع فى هذا الشأن تتحول خلال السنوات الاخيرة بسرعة متعجلة. فالجزء الاكبر من الادخار الوطنى يدخل الآن فى سوق مالية عالمية مندمجة، بفضل عولمة نشاط المؤسسات المالية العملاقة.. لدرجة أن القطاع المالى اصبح الفرع الاكثر تقدما فى العولمة من بين مختلف فروع رأس المال.

على ان هذا الاحتكار قائم على مبدأ قابل للانقلاب، فهو إذن فى موقع مكشوف. وبالتالى يمكن انعكاس الاوضاع فى شأنه بقرار سياسى بسيط وفك الارتباط المالى، أى اقامة رقابة على التمويلات التى تخص المجال المالى

البحث دون مس التحولات الاخرى المرتبطة بالتبادل التجارى علينا أن نتساءل اذن لماذا لم يحدث ذلك الى الآن واحتمال حدوثة فى المستقبل؟ سنعود الى هذه الاسئلة فيمابعد.

ينبغى أن نضيف هنا أن العولمة المالية- أى التحرك الحر للاموال- تفترض بدورها استمرار النظام النقدى العالمى على ما هو عليه حاليا، هذا بالرغم من إن اوان هذا النظام النقدى قد فاتت، فهذا النظام يقوم على التقييم الحر لقيمة العملات (كأن العملات سلع عادية مثل غيرها من السلع)، أى مبدأ «تعويم» العملات، وهو مبدأ يشترط بدوره مرجعية الدولار بصفته معيارا نقديا عالميا.

ازعم أن اعتبار العملات على انها «سلع» عادية لااساس علمى له.

ازعم ايضا ان هذا النظام النقدى المدمر لايزال سائدا لعدم توافر شروط بديل افضل له، لاغير. أن عملة وطنية مالاتستطيع أن تقوم بفعالية بوظائف العملة الدولية إلا اذا توافرت شروط موافقة على ارضية القدرة التنافسية للدولة صاحبة العملة المعنية، بحيث أن تتيح هذه الشروط فائضا هيكليا فى الميزان التجارى لهذه الدولة، وبالتالى تتيح هامشا للتحرك وانجاز التكيف الهيكلى المطلوب من الدول الاخرى. هذا كان شأن بريطانيا فى القرن التاسع عشر. ولكن ظروف الولايات المتحدة الراهنة تناقض تماما هذا المبدأ إذ أن ميزان تجارتها يعانى من عجز هيكلى دائم بدلا من فائض. وتغطى الولايات المتحدة عجزها بالاقتراض الذى تفرضه على الآخرين. أما فائض منافسى الولايات المتحدة رأي فائض اليابان وحده (إذ أن فائض المانيا تلاشى فى أعقاب تحقيق وحدتها)- فهو لايقاس باحتياجات التكيف الهيكلى على صعيد عالمى. بل يقل عن هذه الاحتياجات بمقادير هائلة، لذلك لا أرى أن العولمة المالية تفرض نفسها كقوة لامفر منها، بل أرى أنها معرضة لانهيار محتمل.وفى الأجل القصير لاتؤدى هذه العولمة الى تثبيت الأمور، بل على عكس ذلك تؤول إلى مزيد من الفوضى التقلباتوالفجائية التى تعوق عمليات التكيف الهيكلى المطلوب.

إلا أن انهيار النظام النقدى السائد لم يحدث إلى الآن، ولنا أن نتساءل عن أسباب استمراره. لي فى هذا الموضوع أطروحة مفادها أن العولمة المالية فرضت فسها «كحل» وحيد لأزمة الرأسمالية الهيكلية، فالأزمة تتجلى فى ظهور فائض الادخار على فرص الاستثمار فى الأنشطة المنتجة، وبالتالى فإن هذه الأموال الفائضة معرضة لتبخيس قيمتها، أى انهيار على نمط ماحدث فى أزمة الثلاثينات. إلااذا توافرت فرص أخرى للاستثمار فى انشطة مالية مربحة تحل محل نقص الربحية فى الاستثمار المنتج. ازعم أن السلطات العليا التى تتحكم فى أخذ القرار على صعيد عالمى- أى بمعنى آخر مجموعة «السبع» (جى سفن) والمؤسسات الدولية التنفيذية التابعة (ومنها صندوق النقد)- تنشغل بهذه الهموم اكثر من انشغالها بأى امر آخر. فهى تعطى الاولوية «لادارة الأزمة»- أى منع الانهيار وتجنيس رؤوس الاموال- على البحث عن وسائل «لحل الأزمة».

وفى **هذا الاطار- أى اطار ادارة الأزمة- تقوم عولمة السوق المالية وتعميم العملات وعجز ميزان الولايات المتحدة والديون الخارجية وارتفاع اسعار الفائدة النقدية بدور** اساس. وتعمل هذه الآليات معا متكاملة بعضها لبعض. فحرية التحويلات المالية تعطى فرصا للربح السريع فى المضاربة المعتمدة على تقلبات اسعار الصرف التى تلازم تعميم العملات. واسعار الفائدة المرتفعة تفرض نفسها بصفتها ثمن تأمين الاموال المعرضة للخسارة فى المضاربة. وعجز ميزان الولايات المتحدة يعطى اكبر فرصة للاستثمار المالى للربح المطلوب. كذلك تقوم الديون الخارجية للعالم الثالث بدور مماثل فتقدم فرصا للاستثمار المالى المربح. **لذلك ازعم ان السلطات العليا الحاكمة لاتبحث بجدية على «حل مشكلة الدين الخارجى»**، بل تنشغل بادارة هذه الديون فقط أى ضمان استمرار سداد خدمتها.

على أن ادارة الأزمة بهذه الاساليب لابد أن تؤدى بدورها الى استمرارها وتفاقم خواطرها، مثل الركود فى الانتاج والتزيد فى البطالة. ولكن هذا الأمر «طبيعى» بمعنى انه يتفق مع منطق الرأسمالية وتحكم ربحية الأموال. فالرأسمالية ليست نظاما اجتماعيا محكوما بمقتضيات النمو وضمان توظيف الايدى العاملة، بل هى **نظام تحكمه الربحية** فالبطالة هى مشكلة بالنسبة الى ضحاياها، وليست مشكلة رأس المال.

٣- احتكار المراكز فى مجال القرار بشأن استخدام الموارد الطبيعية على صعيد كونى. ويعلم الجميع المخاطر المتفاقمة التى تهدد مستقبل الكون من وراء الافراط دون تحفظ فى استغلال الطبيعة، الناتج عن اعتماد الرأسمالية على مبدأ الرشيدية القصيرة الاجل. وتستغل المراكز المتقدمة موقعها القوى للتحكم فى استخدام هذه الموارد على نطاق عالمى.

٤- احتكار المراكز فى مجال الاعلام والاتصال وهى وسائل صارت ذات فعالية لاسابق لها فى نشر عوامل «ثقافية» (أو شبة ثقافية من درجة سفلى) من شأنها ان تؤثر تأثيرا ملحوظا فى تطور السياسات المحلية. هذا بالاضافة الى مسئولية الاعلام فى تآكل مفهوم الممارسات الديمقراطية والمناورة بها، وذلك ليس فقط فى العالم الثالث بل ايضا فى الدول الغربية نفسها.

٥- واخيرا احتكار المراكز فى مجال اسلحة التدمير الشامل النووية وغير النووية. وإن كان هذا الاحتكار قد وضع حدا له خلال مرحلة الثنائية العسكرية ،فهو اصبح الآن- مرة أخرى- كما كان الشأن عليه عام ١٩٤٥- أى احتكارا مطلقا لصالح الولايات المتحدة التى ترفض اخضاع القرار فى استخدام هذه الاسلحة المدمرة لادارة دولية ديموقراطية حقيقية. وفى غياب مثل هذه الادارة فان انتشار هذه الاسلحة عالميا، بالرغم من كل المخاطر المحيطة به، يمثل الوسيلة الوحيدة للحد من اضرار الاحتكار الامريكى.

أقول ان هذه الاحتكارات الخمسة تعمل معا وتعطى مضمونا لقانون القيمة المعولمة. فليس هذا القانون تعبيرا عن رشيدية اقتصادية «محضة» يمكن فصلها عن الاطار الاجتماعى والسياسى الذى يعمل فيه، بل يجب اعتبار قانون القيمة على انه تعبير «مكثف» للتكيفات الاجتماعية والسياسية المذكورة هنا تحت عنوان الاحتكارات الخمسة. ازعم ان هذه التكيفات تلغى مغزى تصنيع الاطراف، فتعمل فى اتجاه تبخيس القيمة المضافة المنوطة بهذا الانتاج الصناعى بينما ترفع نصيب القيمة المضافة فى الانشطة المرتبطة بالاحتكارات الخمسة المذكورة. فهذه التكيفات تنتج اذن تراتبية جديدة على صعيد توزيع الثروة عالميا، تراتية غير متكافئة تحول صناعات الاطراف الى نوع من التصنيع من الباطن المسيطر عليه من خلال عمل الاحتكارات. هذا هو- فى رأيي- الشكل الجديد للاستقطاب كما اراه ناميا فى المستقبل.



لذلك ازعم ان مشروع **«العولمة من خلال سيادة السوق»** -وهو يمثل جوهر مضمون الخطاب السائد- انما هو مشروع طوباوي رجعي. فلابد من انماء مشروع انساني بديل يخضع مقتضيات العولمة لاحتياجات التقدم الاجتماعي.

يفترض انجاز مثل هذا البديل اعادة بناء النظام السياسي العالمي بعيدا عن المقتضيات ذات البعد الوحيد في خدمة السوق. فيفترض التركيز على تأطير عمل قوانين هذه السوق. لقد كانت الدولة الوطنية هي الأداة الفعالة سياسيا واجتماعيا في تأطير عمل السوق الوطنية المندمجة. والآن نحن في حاجة الى نظام سياسي واجتماعي على صعيد عالمي يستجيب لعولمة الاقتصاد ويحدد شروط عمل السوق بفعالية متماثلة. واري أن لهذا النظام المطلوب مسئوليات اساسية على الاقل في الميادين الاربعة التالية:

***تنظيم نزع السلاح على صعيد عالمي**- بدءا بالدول الاكثر تسليحا (أي الولايات المتحدة)- بالتالي تحرير الانسانية من ذعر التهديد النووي والاشكال الاخرى من التدمير الشامل.

***تنظيم توزيع عادل في استخدام ثروات الكون الطبيعية**، وتأسيس المؤسسات الملائمة لهذا الغرض، واضفاءها بحق القرار. واري في هذا الاطار المبادرة في انشاء نظم ضرائبية تخص هذه الموارد الاساسية فتحد من التبذير في استخدامها كما تقيد توزيع الربح المستخرج من استغلالها لصالح البلدان الفقيرة. هذه المبادرة تمثل اذن حنينا لانشاء نظام ضرائبي مستقبلي عالمي النطاق.

***فتح مفاوضات بين تجمعات اقليمية** (الولايات المتحدة، أوروبا الغربية، اوروبا الشرقية، اليابان، الصين، الهند، الوطن العربي، افريقيا، امريكا اللاتينية، جنوب شرق آسيا) من أجل اعادة تنظيم العلاقات الاقتصادية (التجارية والمالية والنقدية) بينها على اساس احترام الاستقلالية الذاتية المطلوبة لكل هذه التكتلات الاقليمية والبلدان الكبرى آخذا في الاعتبار عدم تكافؤها من حيث القدرة التنافسية وتباين احتياجات تنميتها الاقتصادية والاجتماعية. ويتطلب انجاز هذه الاهداف التحرر من الرؤى الضيقة الافاق للمؤسسات المتحكمة حاليا في هذه المجالات (البنك الدولي صندوق النقد، الجات) واقامة انواع اخرى من المؤسسات الاقليمية والعالمية لتحل محلها.

*** فتح حوار ومفاوضات تتيح ادارة التناقض الجدلي بين «العالمي» و«المحلي» في مجالات الاعلام والثقافة والسياسة.** ويتطلب انجاز هذا الهدف اقامة مؤسسات سياسية جديدة تتيح تمثيل المصالح الاجتماعية المختلفة التي تعمل في الساحات المحلية والعالمية، أي بمعنى آخر اختراع جنين مؤسسة يحتمل أن تتطور الى نوع من «البرلمان العالمي» يتجاوز المؤسسات القطرية التي تنفرد بالقرار الى الأبد.



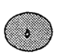
من الواضح أن الاتجاهات السائدة عالميا لاتشير الى تطور يميل الى انجاز المشروع الانساني الموصوف هنا. بل ليس هذا المشروع البديل موضع رهان الصراعات المنبسطة في الساحة حاليا. على أن هذا الوضع لايدهشني، بل لكنت قد اندهشت فعلا اذا كان الامر غير ذلك. فتآكل النظام القديم لايهيئ من تلقاء نفسه ظروفا مناسبة لتجاوزه، بل ينتج في مرحلة اولى فوضى، لاغير. وتندرج خطط القوى المسيطرة في اطار هذه الفوضى للاستفادة منها في الاجل القصير، ولو ادى ذلك الى تفاقم ظواهر الفوضى. كما أن هذه القوى تعبئ لصالحها خطابا ايديولوجيا يدعى أن **«آليات السوق تضبط الامور تلقائيا» وأن «ليس ثمة بديل لها»**، - كي تعطي شرعية لممارساتها في ادارة الازمة لصالحها. على أن هذه الادعاءات ليست حلولا للازمة، بل هي جزء من المشكلة نفسها وتجل عنها. أما ردود فعل الشعوب ازاء تفاقم ظروف معيشتها المادية والمعنوية، فليست هي الاخرى بالضرورة ايجابية بشكل فوري. فهناك اجابات تتمظهر من خلالها الحيرة، لاغير. ومنها الاجابات الماضوية الوهمية- الدينية السلفية والشوفينية الاثنية- فهي دون مستوى التحدي الحقيقي الذي لاتدرك مغزاه. **اعتقد أن مسئولية اليسار التاريخية هي بالتحديد بناء اجابات صحيحة في النظرية والعمل.** ودون ذلك سيظل التكوين السلبي- واحيانا الاجرامي- احتمالا واردا.

تضرب العوائق الفجائية التي يتصدى لها المشروع الاوروبي مثالا واضحا عن مأزق فكرة «العولمة من خلال السوق». بيد ان توقع حدوث مثل هذه الارتباكات كان مطلوبا وممكنا، ولكن جو التحمس الذي ساد في مرحلة مد المشروع قد حال دون تنبؤها. اما نحن- من ضمن هؤلاء الذين لم يؤمنوا يوما ما أن اندماج السوق ينتج تلقائيا الوحدة السياسية- فكنا نزعم أن انجاز المشروع الاوروبي يتطلب مبادرة جريئة من قبل اليسار الاوروبي بحيث ان يؤطر اندماج الاقتصاد بمشروع اجتماعي وثقافي تقدمي على صعيد اوروبا. وأن دون ذلك سيظل مشروع الادماج الاقتصادي معرضا لاحتمال انقلابه. فكان على قوى اليسار الاوروبي ان تفرض مصاحبة كل خطوة في تقدم اندماج الاسواق بخطوات موازية تضمن استفادة الطبقات العاملة منها (الامر الذي كان من شأنه أن يدعم موقع الطبقات العاملة في الصراع الاجتماعي) وتنشئ مؤسسات سياسية مشتركة تتجاوز الدولة الوطنية (وهي الشكل السياسي الملائم لادارة السوق المندمجة بفعالية). ولكن هذا لم يحدث، فقوى اليمين هي التي حملت على عاتقها المشروع، وحبسته في افاق مركنتيلية بحتة. **أما اليسار فانضم باكرا او متأخرا للنمط المطروح دون أن يناضل من أجل فرض شروطه.** وهاهي النتيجة بينه اليوم أمام اعيننا: لقد ادى التحول في الظروف الاقتصادية العامة الى اصطدامات بين الدول الاعضاء، التي ترى نجدتها من الاثار السلبية للازمة (خاصة تزايد البطالة) في اتخاذ اجراءات من شأنها أن تؤثر سلبيا على غيرهم من المشتركين في المشروع. هذا بالاضافة الى أن هذه المواقف الانانية القصيرة النظر ليست فعالة لعدم توافر وسائل تنفيذ حاسمة. فالدول الوطنية منزوعة من وسائل تضمن تأطير منطق السوق. وبالتالي فهي مدفوعة في اتجاه تكوري سلبي. هكذا نرى أن المسئولين الذي يخشون مثل هذا التكور ويؤمنون باخلاص بخطورته- وهؤلاء يتواجدون في كلا اليمين واليسار في فرنسا والمانيا- لايجدون عدا خطاب التعزيم في مواجهة تدهور الامور.

وقد انفجرت ازمات **«اوروبا السوق المشتركة»** في لحظة انفجار ازمة كبرى أخرى في أوروبا الشرقية، الامر الذي اضفى ابعادا جديدة للتحدي. كان تدهور النظم

الستالينية فى أوروبا الشرقية يمثل فرصة لقوى اليسار على صعيد اوروبا الكبرى ، بشرط أن تستغل الظروف وتتقدم بمبادرة من أجل اعادة بناء أوروبا الكبرى اقتصاديا وسياسيا معتمدا على جناحها اليسارى باعادة توحيد قوى الطبقات العاملة على هذا الصعيد. فات اليسار هذه الفرصةفترك الساحة مفتوحة لقوى اليمين التى استغلت انهيار النظام السوفييتى من أجل تشجيع رأسمالية همجية لتحل محله. لاشك أن هذا المشروع الاخير- الذى أسميه مشروع «لتن امركه» اوروبا الشرقية- لابد أن يؤدى الى مزيد من اضعاف قوى اليسار اوروبيا وبالتالى الى تفاقم الاختلال فى التوازنات الاوروبية. لاشك أن هذا الوضع يفيد فقط الطرف الاكثر قدرة على استغلال سريع للظروف ، اقصد المانيا، وذلك على حساب مشتركيها الاخرين فى اوروبا الغربية.

اعتبر ازمة المشروع الاوروبى احد التحديات الكبرى التى يصطدم بها مشروع العولمة. على أن اوروبا ليست الاقليم الوحيد الذى يعانى من عواقب العولمة الجديدة والذى لم يكن رد فعله مناسبا وايجابيا. ففى العالم الثالث، وبالاخص فى المناطق المهمشة بسبب عجزها عن تجاوز حدود التخصص القديم فى تصدير الخامات (العالم العربى والاسلامى والافريقى). وكذلك فى العالم الثالث الجديد الناتج عن انهيار نظم شرق اوروبا، نشاهد ايضا تكورات سلبية وردود فعل مدمرة دون أن نرى بصيص اجابة موفقة وتقدمية يبزغ فى افاق المستقبل المنظور، الى الآن على الاقل.



يستطيع المحلل «الواقعى» أن يرسم سيناريوهات عديدة انطلاقا من تركيب القوى المتصارعة فى الفوضى الراهنة، والاحتمالات المختلفة لتطورها. وسوف اتناول بعض هذه السيناريوهات موضحا انها عاجزة عن تحقيق الاستقرار، وبالتالى انها جميعا سيناريوهات استمرار الفوضى.

تحتل اشكالية المشروع الاوروبى موقعا محوريا فى تصور مختلف الاحتمالات المستقبلية. فماذا تفكك المشروع الاوروبى «الامثل» - أى مشروع اندماج اوروبا اقتصاديا وسياسيا بالموازاة- لعل القوى التى تظل تتمسك بالفكرة سوف تقبل ماقد يبدو لها على انه «الامثل من الدرجة الثانية» ، اقصد «اوروبا الالمانية» (أى مشروع يعطى لالمانيا دورا قياديا فى القارة). وهذا المشروع الاخير الذى يفترض «لتن أمركة» اوروبا الشرقية لصالح التوسع الالمانى ، هو الخطة الالمانية الاصلية منذ ايام **بسمارك الى هتلر.** نفرض اذن هنا أن الاطراف الاخرى- فرنسا وايطاليا واسبانيا- أما تندرج فى الخطة الالمانية أو ترفضها وفى هذه الحالة تسير المانيا وحدها فى مسيرتها دون عمل حساب لمعارضة مشتركيها. اما بالنسبة الى بريطانيا نفرض هنا انها ستبعد تدريجيا عن المشروع الاوروبى وتقترب من الولايات المتحدة. وهناك ادلة عديدة تشير الى احتمال قوى للتطور فى هذه الاتجاهات واضفاء مشروعية لها.

على سبيل المثال قبلت الدول الاوروبية اعطاء اولوية لاقامة ادارة نقدية «محايدة» ، أو بتعبير ادق واوضح اندماج البنوك المركزية الوطنية فى مشروع بنك مركزى اوروبى سوف يكون اداة تنفيذ السياسات النقدية والألمانية، علما بان مفهوم الادارة النقدية «المحايدة» مفهوم تكنوقراطى يتجاهل المغزى السياسى فى اصدار النقد. بيد اننى لااتصور ان مثل هذا المشروع يمكن ان ينجز درجة معقولة من الاستقرار، لان فى الاجل الطويل لايمكن أن يكون مقبولا من قبل دول مثل فرنسا وروسيا.

اضيف الى ذلك أن سيناريو هيمنة المانيا على صعيد اوروبى- سواء تحققت هذه الهيمنة فى اطار المشروع الاوروبى ام تفكك هذا المشروع- لن يهدد موقع الولايات المتحدة على الصعيد العالمى.

ذلك لان فى مجالات الاحتكارات الخمسة المذكورة لن تصبح المانيا قادرة على منافسة الولايات المتحدة. فأوروبا الالمانية لابد أن تبقى تحت المظلة الامريكية وأن تقتفى اثرها.

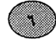
تنقلنا هذه الملاحظة الاخيرة الى تناول موضوع سمات السيناريو الثانى ومفادة **اعادة انعاش الهيمنة الامريكية التى سادت بعد الحرب العالمية الثانية ثم اخذت فى التلاشى. فهاهى تعود الى مقدم المسرح بسبب غياب بديل،** على أن لهذا السيناريو اشكالا عديدة ممكنة. ومنها - والاكثر احتمالا- نوع من «المشاركة» وتقسيم «عبء الهيمنة» كما يقال، وذلك من خلال «اقلمة» المسئوليات فى مشروع يربط امريكا اللاتينية بالولايات المتحدة وافريقيا بأوروبا (دون أن تشمل هذه المنطقة الخليج النفطى وملحقاته فى «السوق الوسطية» التى تنتمى الى منطقة نفوذ مباشر للولايات المتحدة بالاشتراك مع حليفها اسرائيل)، وكذلك - من باب المنظرة- تترك آسيا الجنوبية الشرقية للتوسع اليابانى. لاحظ القارئ أن هذا التقسيم الاقليمى الاستعمارى الجديد غير متكافئ بمعنى ان دور الولايات المتحدة على صعيد عالمى يظل دون منافس. اعتقد أن هذا المشروع الاستعمارى الجديد هو الآخر غير واقعى ولن ينتج استقرارا لانه سيتصدى بالضرورة لانتفاضات شعوب امريكا اللاتينية وآسيا وافريقيا.

علينا الآن أن ننظر من قريب الى أوضاع آسيا- وهى المنطقة البعيدة عن المنافسة باوروبا والولايات المتحدة . **ننطلق هنا من ملاحظة هامة مفادها أن آسيا تمثل استثناء فى الازمة العالمية الراهة. فآسيا الشرقية- الصين «الشيوعية» بالاخص واليابان وكوريا - وكذلك آسيا الجنوبية الشرقية ولو بدرجة محققة ثم الهند- تكون منطقة لاتزال تحقق معدلات نمو مرتفعة بالمقارنة مع المناطق الاخرى ولاتزال فى الصعود فى هرمية القدرات التنافسية واختراق الاسواق.** لذلك يزعم البعض أن «آسيا» هى المرشح الصحيح للهيمنة القادمة.

لااشارك هذه الرؤية المبهمة ، اولا لأن «آسيا» تتكون من عدد من القوميات والدول المتميزة وتضم نصف سكان الكون واكثر، ثانيا لأن مفهوم الهيمنة نفسه هو مفهوم ضبابى فى تقديرى. افضل أذن القول بان آسيا يمكن أن تصير اهم اقليم تراكم رأس المال فى المستقبل، بدلا من الحديث عن هيمنة . على ان قولى هذا يتطلب بدوره مزيدا من التفسير والتوضيح .فلابد من تحديد آليات التراكم المعنى هنا وآليات تمفصل مختلف بلدان المنطقة فى هذا الاطار. وهنا نتصدى الى سيناريوهات عديدة ممكنة ومتباينة. منها سيناريو سيطرة اليابان، وهو السيناريو الذى يأتى مباشرة للذهن. على ان هذا السيناريو هو الأقل احتمالا لاسباب عديدة، منها نقاط ضعف اليابان، التى لا تخطر ببال كثير من المعلقين، وهى تفرض على هذه البلاد أن تظل تحت مظلة الولايات المتحدة. ومنها استحالة تصور أن الصين- وكوريا كذلك- ستقبل هذه السيطرة. وبالتالى ستظل آسيا منطقة اختلال

فى التوازنات الداخلية الخاصة بها، الامر الذى يعطى للقوى الاخرى- الولايات المتحدة هى المرشح الوحيد فى هذا الصدد- هامشا هاما لاستمرار التدخل فى شئونها.

لايعنى ذلك أن آسيا- والصين خاصة- لن تحقق مكاسبا عظيمة من شأنها أن تؤدى الى ترقيتها فى هرمية النظام العالمى. كيف سيكون رد فعل الولايات المتحدة لهذا التحدى؟ وهو التحدى المستقبلى الخطير الصحيح؟ اعتقد أن تركيب التحالفات على صعيد عالمى سيدور حول هذا المحور الاساسى. وذلك لسبب بسيط الا وهو أن نمو الصين سيغير جميع التوازنات على صعيد عالمى. لذلك ترى الولايات المتحدة ان هذا هو التهديد «الحقيقى» الوحيد للمستقبل، فتستعد لمواجهته، وماذا سيكون موقف اوروبا من هذا النزاع؟ يصعب حسم القول فى هذا المجال.



أن السيناريوهات المختلفة المذكورة هنا لاتغير شيئا بالنسبة الى الاستقطاب شمال/جنوب. اذان منطق التوسع الرأسمالى فى جميع الاحوال يظل قائما على آليات اساسية تنتج هذا الاستقطاب، وأن الاحتكارات الخمسة المعتبرة هى الصورة المستحدثة لهذه الآليات.

ليس معنى استمرار الاستقطاب أن التاريخ ثابت، «فلا جديد تحت الشمس» كما يقال. على عكس ذلك زعمت أن ثمة تحولا هاما قد حدث نتيجة نهضة شعوب الاطراف وهى ضحايا التوسع الرأسمالى. فهذه الشعوب التى فرض عليها التوسع الاستقطابى منذ خمسة قرون التى ظلت عاجزة امام عواقبة لفترة طويلة قد اخذت منذ نصف القرن الاخير تتحرك وتعبئ قواها وتفرض تنازلات على المراكز المسيطرة. ولن تقف هذه الحركة بل لابد أن تستمر وان تتجذر تدريجيا. لقد انتجت الرأسمالية تناقضا لابد أن يؤدى الى تجاوز افاق منطق الرأسمالية. فمن جانب وضعت الرأسمالية العالمية فى جدول التاريخ- شئنا أم ابينا- ومن الجانب الاخر لم تقدم عدا صورة مبتورة للعالمية التى حققتها. فيقف الاستقطاب حدا على العالمية كما تحققها الرأسمالية القائمة بالفعل. وقد سبق أن ادى هذا التناقض الى الثورة- فى روسيا والصين- تلك الثورة التى اراها بالاساس ثورة وضعت امامها هدف تجاوز الوضع الطرفى لروسيا والصين، الناتج عن قوانين الاستقطاب فلابد أن ثورات اخرى لشعوب الاطراف التى تجد نفسها فى وضع مماثل تطرح لنفسها بدورها نفس الهدف. **لذلك اعتقد أن جميع «النظم العالمية» التى يمكن تصورها لن تحقق استقرار طالما ظلت قائمة على منطق الرأسمالية.** طبعا ستظل هذه الصراعات غير متكافئة من حيث قدرتها على انتاج اجابات صحيحة، كما كان الامر عليه فى الماضى. على اننى اتصور- من باب الحدس- أن الصراع الاساس الذى سيحكم مستقبل التطور العالمى هو الصراع بين شعوب آسيا والرأسمالية السائدة. لايعنى ذلك استبعاد صراعات الشعوب الاخرى وتجاهل احتمال تحقيقها خطوات ملحوظة فى سبيل تقدمها. كما لايعنى ايضا استبعاد دور شعوب المراكز. **فالاحتمال أن تحقق هذه الشعوب خطوات تؤدى بها الى تجاوز منطق الرأسمالية هو احتمال وارد ايضا.** هكذا اتصور المسيرة الطويلة من الرأسمالية والعالمية المبتورة التى تلازمها الى **الاشتراكية العالمية والتخلص من الاستقطاب وتحقيق عالمية حقيقية شاملة. أضيف الى ذلك أن** تفاؤلى العام لايستبعد ايضا اعتبار احتمال فشل تلك الصراعات التى تحبس الشعوب فى وهم رفض العالمية وفى التقوقع «الثقافوى».

وقد يبدو مشروع الاجابة الانسانية على تحدى العولمة الرأسمالية مشروعا «مثاليا» لاقصى الدرجة وبالتالى طوباويا، لااشارك هذه النظرة، بل اعتقد، على عكس هذا القول الاخير، أن المشروع المطروح منى هو المشروع الواقعى الوحيد. بمعنى أن أى تقدم فى اتجاهه لابد أن يجد صدى عظيما لدى الشعوب وبالتالى أن يقود الى تبلور قوى اجتماعية هامة تنضم اليه، وذلك على صعيد جميع اقاليم الكون. وسيفتح السير فى هذا الاتجاه افاقا جديدة لاستحداث تطلع الاشتراكية العالمية. علما بأ الخطوة الاولى المطلوبة لجمع شروط ملائمة هى اعادة انتاج القوى الايديولوجية والسياسية القادرة على مواجهة تحديات الاحتكارات الخمسة المذكورة والحد من اضرارها، ومن وراء ذلك فرض «تكيف متبادل» يحل محل التكيف من جانب واحد أى تكيف الاطراف لمقتضيات استمرار التوسع الرأسمالى الاستقطابى.

وفى المجال الايديولوجى والثقافى يفرض هذا النضال اعادة النظر فى مختلف ابعاد التحدى واهمها هى: (١) جدلية العلاقة بين العام (العالمى) والخاص (القطرى)، (٢) جدلية العلاقة بين الديموقراطية السياسية والتقدم الاجتماعى، (٣) جدلية العلاقة بين الفعالية الاقتصادية (ومعاييرها التى تتجلى فى آليات السوق) وبين قيم المساواة والاخوة (٤) تحديد الهدف الاشتراكى العالمى على ضوء الاجابات على التساؤلات السابقة الذكر.

على جبهة السياسة الدولية يفترض المشروع اختراع اشكال ملائمة لتنظيم المؤسسات العالمية بحيث أن تصير اكثر ديمقراطية وبالتالى اكثر قدرة على أ تكون القاعدة السليمة من أجل اعادة بناء العلاقات الاقتصادية وتطويرها فى اتجاه يحقق المساواة بالتدريج. وفى هذا الاطار ارى أن «اقلمة» الكون، أى بناء تجمعات اقليمية واسعة تضم الاطراف المفتتة حاليا، يجب أن يعتبر من اول الاولويات فى العمل. ارى فى هذا الصدد ضرورة تكوين تجمعات فى امريكا اللاتينية وفى الوطن العربى وفى افريقيا وفى جنوب شرق آسيا، الى جانب القطرين القارتين (الصين والهند). واطرح هذا الهدف كاهم هدف استراتيجى لاعمال مجموعة «عدم الانحياز» التى يجب انعاشها. على أن هذه التكتلات لاتستبعد ايضا بناء مجموعات اقليمية اخرى، خاصة فى اوروبا والاتحاد السوفييتى السابق.

ترجع ضرورة بناء هذه التجمعات الاقليمية الى سبب بسيط وبديهى الاوهو انه يمثل الشرط الذى لامفر منه فى مواجهة تحدى الاحتكارات الخمسة مواجهة ناجحة على اساس هذه التكتلات، وعلى اساسها فقط يمكن اعادة بناء نظام اقتصادى ومالى عالمى ملائم، نظام يوفق بين احتياجات التنمية على المستويات القطرية والاقليمية وبين مقتضيات الاعتماد المتبادل الصحيح والعادل على صعيد عالمى.

قطعا لابد أن يبدأ العمل من أساسه وهو المستوى المحلى. ففى غياب تقدم فى الاتجاه المطلوب على هذه الارضية سيظل الخطاب عن العولمة والاستقطاب خطاب تحليل الواقع دون قدرة على تغييره.

تيارات

●● «دخلنا مسيرة السلام ونحن ملتزمون بها على الأسس التى قامت عليها : تنفيذ قرارات مجلس الأمن، والأرض مقابل السلام. ومازلنا نقول أن من حق شعبنا أن يستمر فى مقاومته مادام هناك احتلال على أرضنا. لقد كررت مرارا تحفظى على هذه الاتفاقات المعقودة، لأنها تنتقص من حق الشعب الفلسطينى طبقا للشرعية الدولية..»

فاروق القدومى

رئيس الدائرة السياسية

فى منظمة التحرير الفلسطينية

فاروق القدومى — عبد الحميد مهرى





على سالم البيض — ابراهيم فرج

●● «الحوار الوطنى الجاد يجب أن يشمل كل القوى السياسية المؤثرةفى الساحة. ولا نعتقد أن المشاكل المعقدة التى تمثل جوهر الأزمة الخطيرة التى تتخبط فيها البلاد يمكن أن تجد الحل الناجع فى حوار يجمع البعض ضد البعض، أو فى حوار يجمع البعض دون البعض، أو فى حوار يجمع البعض قبل البعض.. إن إشراك جميع القوى السياسية الفاعلة بما فيها الجبهة الاسلامية للانقاذ فى الحوار الوطنى المقبل ضرورى للتغلب على الأزمة».

عبدالحميد مهرى

الامين العام لجبهة التحرير الوطنى الجزائرى

●● «إن قوات الأمن الفلسطينية لن تشهر السلاح ضد الاسلاميين الذين يهاجمون اسرائيليين، ولكنها ستستخدم بدلا من ذلك الاقناع لمنعهم من شن هجمات... أن الشرطة الفلسطينية لا تريد المخاطرة بإثارة حرب أهلية بالتصدى مباشرة لحركة المقاومة الاسلامية (حماس) التى تعارض اتفاق أوسلو للحكم الذاتى الفلسطينى بدءا بغزة وأريحا..»

اللواء غازى الجبالى

قائد الشرطة الفلسطينية فى قطاع غزة

●● إن عالمنا النامى يئن تحت وطأة الامبريالية المالية للبنك الدولى وصندوق النقد الدولى..»

روبرت موجابى

رئيس جمهورية زيمبابوى

●● «فى هذه اللحظات الحزينة التى يودع فيها الوطن جثمان الراحل العظيم ابراهيم فرج بعد نضال طويل متصل من أجل كل ماآمن به واعتبره طريقا لخلاص الوطن والمواطنين.. أتوجه اليكم والى كل ابناء مصر بالعزاء فى هذه الشخصية الفذة التى كانت دائما نموذجا للشجاعة والاقدام والاحرار والحرص على الاستقلال الحقيقى والديمقراطية الكاملة ، والانفتاح على كل التيارات والقوى الوطنية والديمقراطية والعقلانية. ولن يعوض الوطن عن هذه الخسارة الا تكاتف كل القوى والاحزاب المؤمنة بالديمقراطية والحرية من أجل تغيير أحوال الوطن والناس».

حسين عبد الرازق

حزب التجمع

●● «لن يستطيع الحزب الاشتراكى (اليمنى) ترميم نفسه وتعويم خطه سياسيا الا إذا كان فى المعارضة.. وتقدم وثيقة العهود الاتفاق القاعدة السياسية النموذجية لهذا الخط.. والمعارضة تأسيسا على الوثيقة هى فرصة الحزب الاشتراكى الوحيدة، وهى بالمناسبة ، فرصة القوى غير المشاركة فى السلطة، وبالتالى فرصة التعددية. المعارضة ، هى بهذا المعنى، خدمة يؤديها الحزب الاشتراكى لليمن، وهذا أقل مايمكن المطالبة به بعد كل ماحصل»

جوزيف سماحة

الحياة (اللندنية)

العسكر.. يبحثون عن شرعية

د. محمد عصفور

أى انقلاب عسكرى لابد وأن يقدم للشعب المبررات التى تشفع للمحاربين أن يتقلدوا سلطة الحكم، وهم بذلك يتجاوزون نطاق تخصصهم ووظيفتهم ، ويغزون منطقة أخرى.. وهناك فى الأدب السياسى أكثر من مدرسة فكرية تساند حق العسكر فى تقلد السلطة السياسية وحكم المجتمع المدنى. وكل مايقدم من حجج أو تبريرات يمثل السند الشرعى «لاغتصاب السلطة المدنية».

ومن الابحاث المتعمقة فى خصائص «العسكرة مايشير الى مايسمى بالميثولوجية العسكرية» وهى الأيديولوجية التى تنسب للعسكر رسالة يعجز عن تحقيقها المدنيون.

إن الدراسة المركزة والجيدة التى قدمها **«د. فؤاد اسحق الخورى»** بعنوان **(العسكر والحكم فى البلدان العربية)** دار الساقى طبعة ١٩٩٠ تشير فى أكثر من موضع الى أن العسكر عندما يتقلدون السلطة يتخذون عددا من الاجراءات والمقاييس (اما بهدف إثبات شرعية الحكم أو بهدف ترسيخ تصور العسكر وكأنه نموذج جديد للتنمية والتقدم.. فالجيش يصور نموذجا للتنمية.. وهو مايعنى أن مهمة العسكر ليست مختصة بالدفاع عن الوطن فحسب، وانما هى بالإضافة الى ذلك نموذج للتنمية) ص٥ ولهذا السبب تتردد تعبيرات لافتة للنظر عن «الثورة الانمائية، أو ثورة التحرير».. الخ ص٧

وفى بعض الدول العربية يجسد العسكر أيديولوجية الدولة: وففى سوريا يعتبر الجيش «القوة الصاهرة للمجتمع.. وبهذا الشكل بات العسكر رمز الوحده الوطنية وأداة الصهر الاجتماعى.. إنه رمز الوحدة الوطنية وليس تنظيما أو حركة قومية..» وينفى **د. الخورى** تصوير العكسر على (أنه أداة للتنمية ووسيلة للوحدة القومية أو الوحدة الوطنية وبأنه قوة صاهرة، هذا التصور لايتماشى فعلا مع الواقع.. وأن تدخل الجيش فى السياسة وسيطرته على الحكم مرهون لابدور العسكر الطبيعى فى الإنماء والتقدم، انما يعتمد على النظم الاجتماعية السائدة والمؤسسات السياسية القائمة فى المجتمع كالأحزاب والتكتلات والتيارات العقائدية» ص ٣١-٣٣

المبالغة فى دور الجيش فى التحديث

يشير **د. فؤاد اسحق الخورى** الى مبالغات الكتاب الغربيين السياسيين فى دور الجيش فى التحديث والعصرنة. فيقول: «إن دور العسكر فى التحديث والعصرنة قد لقى اهتماما كبيرا من الباحثين وخصوصا فى الستينات من هذا القرن عندما نال عدد كبير من دول العالم استقلاله. واعتبر الكثير من هؤلاء الباحثين أن الجيش يستطيع أن يلعب دورا إيجابيا فى عملية التغيير والتحديث».

ويقول **إدوار شيلز** فى هذا الصدد:

«إن سيطرة العسكر على الدول حديثة الاستقلال سيمكنها من تطوير مجتمعاتها وبالتالى الحفاظ على سيادتها».

ويتكرر هذا المعنى فى كتابات **هيلبرن ولفتيكيوس وبرغر** عن البلدان العربية ودول الشرق الأوسط.

فيقول هيلبرن: «الجيش فى الشرق الأوسط أقوى الفرقاء السياسيين العاملين على الساحة ويمثل بدوره السياسى تطلعات وآمال الطبقة الوسطى الحديثة التكوين».

ويضيف **فيتكيوس**: **«والجيش أداة للتغيير السياسى ومفرك للأيديولوجيات السياسية».**

ويشير بيرغر بالنسبة لمصر:

«من الممكن اعتبار الجيش فى مصر- بالمقارنة مع الفرقاء السياسيين الآخرين - من أقدرهم على العمل السياسى الهادئ العقلانى والعلمانى والمنطقى وغير الرومنطيقى) ص ٨٤.

ويقول هيلبرن:

ليس الجديد فى الشرق الأوسط أن يسيطر العسكر على الحكم- فقد سيطر خلال فترات زمنية تاريخية قديمة. إنما الجديد هو فيمن يمثل العسكر وباسم من من الفئات الاجتماعية يتكلم. يتكلم العسكر اليوم باسم الطبقات الوسطى ويخدم بالتالى مصالح هذه الطبقة الحديثة) ص ٨٤

الصلة بين الاستعمار وطابع الموسسة العسكرية.

يقول د. فؤاد اسحق الخورى:

«إن النموذج العسكرى فى العالم العربى قد نشأ فى ظل الاستعمار الأوروبى ممزوجا بخلفية البيروقراطية العثمانية » ص ٤٧

«وهذا يعنى أن تبنى البلدان العربية للنظم الاوروبية فى الدولة- ومن بينها إنشاء جيش نظامى- جاء نتيجة لدوافع خارجية بدلا من أن يأتى نتيجة لسد حاجات داخلية تنبع من صميم المجتمعات العربية عينها فلا عجب إن جاءت هذه النظم، بمافيها التنظيم العسكرى، لاتخدم مصالح داخلية محلية،إنما لتسهل أطماعا خارجية واضحة » ص ٤٩، ٥٠

غير أن للاستعمار دورا كبيرا فى الترويج للميثولوجية العسكرية فيقول د. الخورى:

«ويتراءى لى أن اصرار بعض الكتاب الغربيين على أن العسكر هو القطاع المؤهل لأداء هذا الدور فى التحديث والعصرنة هو من باب التفتيش عن أداة فعالة يمكن من خلالها التأثير على مجريات الأمور فى بلدان العالم الثالث. فالعسكر أداة يسهل التحكم فى مسلكها واتجاهها عن طريق السلاح المستورد».

وفى تفصيل ذلك يقول:

«إن التركيز على دور العسكر فى التنمية والانماء شأن مبالغ فيه كثيرا. فلايختلف دوره فى العصرنة والحداثة عن الأدوار التى قد تقوم بها الأحزاب والقيادات السياسية والنقابات العمالية. والتعاونيات وغيرها من المؤسسات الفاعلة فى المجتمع.

ولايمكن تقديم دور العسكر بالتحديث الا عن طريق دراسة ارتباطه بهذه المؤسسات بالذات..».

«إن علاقة العسكر بالمدنيين ودور العسكر فى الحداثة والعصرنة لايمكن أن يقدم تقويما صحيحا الا متى توفرت لدينا الدراسات المعمقة عن الروابط الاجتماعية التى تتداخل بين العسكريين والمدنيين. يقول نينين فى هذا الصدد: «ولو توفرت هذه الدراسات لزالت هالة قدرة العسكر على التحرك بمعزل عن الأوضاع السياسية العامة التى هو جزء منها». ص ٧٤، ٧٥

عجز الجيش عن إيجاد أيديولوجية

يقول د. فؤاد اسحق الخورى:

«أن العسكر فى البلدان العربية لم يتمكن من ايجاد صيغة وأيديولوجيا معينة للدولة بالرغم من سيطرته على الحكم ولفترات زمنية طويلة. فهو فى هذا المضمار انما يقلد الزعماء السياسيين أنفسهم مع تحول واضح فى أساليب القيادة والدعامة الشعبية التى يستندإليها.»

ولم يتمكن العسكر قط- بالرغم من قيامه بالثورة - من أن يطور أيديولوجيا ثورية أو نظاما ثوريا يحكم به ومن خلاله، ولهذا السبب وقع فى فخ السياسة التقليدية، وهذا بالضبط ماحدث فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر.

كنت تجد السياسي الجديد يحذو حذو سلفه، يسلك مسلكه، دون التطلع الى مضمون الثورة ومبادئ الحكم الجديد» ص ٧٣

ويضيف د. فؤاد اسحق الخورى:

«مما لاشك فيه أن إمكانية الجيش لتغيير وتحويل نظم المجتمع كبيرة جدا ،وذلك بفعل كونه أداة القسر الشرعية. غير أن ترابط العسكر وتفاعله مع المؤسسات السياسية والاجتماعية الأخرى، تحد من الدور الطليعى الذى يمكن أن يلعبه فى حركة التقدم والتطور».. «ومن الخطأ اعتبار الجيش - من زاوية التطور والتقدم- مؤسسة منفصلة عن المجتمع الكل. فهو جزء من كل، شانه فى ذلك شأن الوضع الاقتصادى أو الصناعى او التربوى. بتعبير آخر، أن فعالية العسكر فى الانما،مرهونةبالأوضاع والقطاعات الاقتصادية والاجتماعية العامة فى المجتمع» ص ٣٠، ٣١.

يقول د. فؤاد اسحق الخورى:

«إن العسكر الحاكم مرآة عن المجتمع بالذات- مرآة لواقع المجتمع الممزق، ومرآة لواقع المجتمع الموحد، فقلما تجد جيشا موحدا فى بلد ممزق اجتماعيا او جيشا ممزقا فى وطن موحد اجتماعيا لايمكن أن يتمكن الجيش- كمؤسسة خاصة- من أن يتخطى المجتمع الذى هو منه. فإذا كان الأمر كذلك، فلايجوز القول بأن الجيش، بخلاف المؤسسات الأخرى فى المجتمع، معد لأن يلعب دورا خاصا فى الحداثة والعصرنة» ص ٧٤

ويقول أيضا:

«وبسبب فقدان الروح الانضباطية الحقة فى الجيش، وبالتالى التمييز بين النظم العسكرية والنظم المدنية، يدرج العسكر فى قوالب اجتماعية لاتختلف لاكما ولانوعا عن القوالب التى تندرج فيها المؤسسات أو القطاعات الأخرى كالسياسيين مثلا فبدلا من أن يعمل العسكر الحاكم للحداثة والعصرنة، نراه يتبع فى الحكم الاساليب التقليدية عينها التى كان يتبعها سلفه) ص ٧٤.

نتائج الأخذ بدور طليعى وتنموى للجيش

يقول د. فؤاد اسحق الخورى:

«حين يقوم العسكر بأدوار لاتنسجم مع الوظيفة التى أعد من أجلها وهى الدفاع عن حدود الدولة وحمايتها- أى حين يقوم بدور النموذج الانمائى. ففى هذه الحالة تضعف عنده الروح العسكرية الصرف ويضعف معها التمسك بالنظام العسكرى أو يصبح اذ ذاك المبدأ القائل بوجوب حصر وظيفة العسكر فى الثكنات وعلى الحدود مبدأ مرفوضا سلفا، وكثيرا ماينعت هذاالمبدأ وكل من يقف موقفه بعقلية «البورجوازية الصغيرة». ص٣٨

«فان صح الأفتراض القائل بأن الجيش معد أصلا للقيام بدور طليعى تغييرى فى المجتمع، فلايجوز تقييمه من خلال أدائه فى الحرب. وهذا قول فيه كثير من المنطق؟ لذلك نرى أنه مامن حرب خاضتها الجيوش العربية الا وكتب لها النصر ولو خسرت المعركة

وهذا بالضبط ماحدث فى بعض الحروب العربية -الاسرائيلية سنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٧. لقد انتصرنا فى هذه الحروب بالرغم من فقداننا الأرضية و مالصمود، وتكرار دوره سوى جانب من جوانب هذه الذهنية. وهو فى الأصل انتصار نفسى يأتى مع فقدان الأرض والحدود فطالما أن الجيش معد للدور الطليعى والتغيير فى المجتمع، وطالماأن هذه الحروب لم تبدل من هذا الدور، فهذا طبعا، انتصار للجيش وقادة الحكم وبالتالى للشعب والوطن) ص ٣٩، ٤٠

والمؤلف يعترف «بأن هذا النوع من الايديولوجيات العسكرية لم يحظ بتأييد جميع القطاعات الفاعلة فى المجتمع» ص ٤٠

الاستعمار والتدخل فى تركيبة الجيش

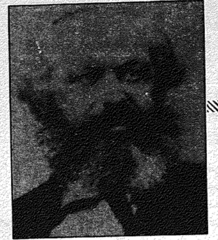
يشير د. فؤاد اسحق الخورى الى أن التنظيم العسكرى فى المجتمع العربى ينقسم الى ست مراحل: كانت المرحله الرابعة منها هى **مرحلة الاستعمار - الأوروبى** «وقد تميزت عن سابقاتها بالتعامل مع الأقليات لبناء العسكر وقوى الأمن، وبالطبع أختيرت الاقليات لتقوم بهذا الدور لاعتقاد المستعمر بأنها- أى الاقليات-. تخدم مصالحه بشكل فعال أكثر من الأكثرية الرافضة لوجوده، ومن هذا المنطلق انخرط فى صفوف الجيش عدد كبير من الاشوريين والأكراد فى العراق- أو من العلويين والأرمن والاكراد والدروز فى سوريا أو من الموارنة فى لبنان». ص ٢٤

«... إن سياسة «فرق تسد» التى اعتمدها المستعمر الأوروبى والتى لاشك قد خدمته فى إطالة عمره، هى عينها التى زادت من مشاركة المواطنين فى الحكم. وجاءت هذه المشاركة عن طريق إقامة المؤسسات السياسية الجديدة كمجالس النواب والانتخابات العامة والاستفتاء، وغيره. هذه المؤسسات حددت الحقوق السياسية والواجبات ولكنها لم تحدد بالضرورة مدى مشاركة الشعب فيها)ص ٢٥

«ويمكن اعتبار مرحلة الاستعمار الأوروبى «مرحلة التكوين» وهى المرحلة التى بدأت فى الشرق العربى فورا بعد الحرب العالمية الأولى على إثر سقوط السلطة العثمانية. وفى المغرب العربى قبل ذلك الزمن بكثير. وقد ترافق قيام هذا التنظيم العسكرى مع بروز الدول بحدودها الحاضرة، هذه الدول التى كانت قبل ذلك ولايات وأقاليم متفرقة ضمن الامبراطورية العثمانية»

ويشير المؤلف إلى ظاهرة تبدو غريبة وهى اشتداد صلات العسكر بالمجتمع فيقول:

«وبفعل هذه السياسة التى اتبعها المستعمر فى التعامل مع الأقليات، أصبح العسكر أشد صلة بالمجتمع بالنسبة لما كان عليه فى عصر العثمانيين. ومن هنا وبسبب هذه الصلة بالذات- أخذ الجيش يكتسب صفة المؤسسة المختصة وصفة النموذج الانمائى فى آن معا. وهما الصفتان اللتان مازالتا تلازمانه حتى اليوم ص ٢٤




ماركس



ستالين

جدلية الحركة والثبات فى الماركسية ودعوة لتعميق التساؤل والسؤال

***تصدير:**

...« حتى الله وهو الأكثر ليبرالية يقدم لنا حريةواحدة للاختيار تتلخص فى أن نؤمن به أو لا نؤمن به.. إن نكون فى صفه أو فى صف الشيطان.. أن ننعم بالجنة أو نصطلى بالنار. وتقدم لنا الشيوعية نفس هذا الحق فى الاختيار فإذا لم تشأ بالإيمان بها فسوف يزج بك فى غياهب السجون وهى ليست على أية حال أسوأ من النار... »؟؟

* سنيافسكى*

عبد الحميد البرنس

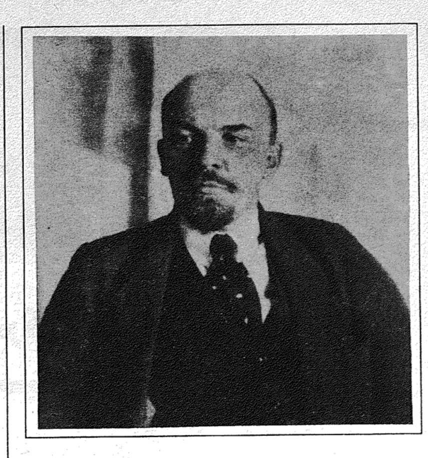
*تناثر التساؤلات وتداخلها:

إن القول بجدلية الفكر الماركسى يخرج الماركسية تلقائيا من دائرة «التزامن» المتجمد انغلاقا الى دائرية «المتفارق» زمانيا ومكانيا. فهو فكر بهذا الفهم يحمل منذ البداية، الى جانب انطراحه بديلا موضوعيا للأفكار السائدة من قبله، بذور تجاوزه أيضا. فالتطور التاريخى، حسب سمير أمين، يطرح فى كل لحظة جديدة مشاكل متجددة تدعو الى إبداع خلاق، وهذه النزعة التطورية، فى واقعها الإنسانى لايتسنى لأى فكر تخطيها اقتسارا أو تجاهلها والاتكلس- بالضرورة- فى وضعية مفارقة؟

ورغم ذلك تتموضع الماركسية من خلال موقف «سنيافسكى» السابق فى قالب دوجمائى بامتياز بحيث تبدو، فى التحليل الأخير، مجرد أيديولوجية شمولية تقبع خارج حدود التاريخ والمجتمع معا، وهو موقف -- على الأقل ظاهريا- يتماس مع الأسس والمنطلقات الفكرية لمقولات «نهاية التاريخ» لفوكوياما وغيره من منظرى الرأسمالية الجدد؟؟

وهنا يمكن أن نتساءل، أمام هذا التعارض، الى أى مدى يمكن التثبت من خطأ أو صحة المقولات السابقة؟.. وماهى المعايير الموضوعية التى يمكن أن يعتمدها الباحث فى التحليل؟.. وهل يعنى التجديد الذى أصابته النظم الرأسمالية مؤخرا، سواء بفضل الثورة الصناعية الثالثة أو غيرها، نهاية التاريخ حقا؟.. وهل يدل هذا التجديد، بمنطق الفكر الماركسى نفسه، على صيغة نهائية أخرى تشكل بدورها نفيا تاريخيا لأحد القوانين الأساسية للجدل الماركسى ونفى النفى»؟؟..

وإذا عدنا للفرضية الأولى: هل أن منطق الفكر الماركسى- نفسه - هو الذى يجعل من الماركسية نظرية قابلة للتجدد بحسب مقتضيات العصر ومشكلاته الجديدة مما يقف دون تحولها الى دوجما؟.. وصياغة التساؤل بصورة أكثر دقة: كيف يمكن للباحث، بهدف إثبات حركية الفكر الماركسى، أن يجتاز فخ التبرير التاريخى الذى يسود - للأسف الشديد- خطاب معظم الماركسيين الآن. مما يجعله «الخطاب»، حسب استعادة التوسير «كالبط يتابع الركض حتى بعد قطع رأسه»؟؟





لينين

*الماركسية والنشاط البشرى:

فى الواقع أن تلك التساؤلات تكشف بصورة أو بأخرى ملامح الأزمة العميقة التى تمر بها النظرية الماركسية الآن. وهى أزمة وفقا لمعطيات الفكر الماركسى نفسه متوقعة الحدوث. فهو فكر يدرك طابعه الإنسانى من حيث كونه لونا من ألوان النشاط البشرى من جهة ، ومن حيث كونه بديلا موضوعيا لفكر انتهازى ونفعى لا يتوانى مطلقا عن استعمال كافة الوسائل المشروعة وغير المشروعة من أجل تمتين مشروعة الإستغلالى من جهة أخرى.. الأمر الذى يجعله قادرا على استيعاب التحولات الاجتماعية والتاريخية التى يمر بها المجتمع تأثيرا أو تأثرا؟؟..

فالماركسية منهج ومقولات. والمنهج وإن كان يتسم بالثبات والاستمرارية باستناده الى النظرة الطبقية ودراسة التناقضات باعتبارها محرك التطور وكذلك التناول التاريخى الملموس للأحداث .. الا أن طبيعة المقولات categories المتغيرة للماركسية تسعفها- ذاتيا- فى الخروج من طور الثبات الى طور الحراك. فالمقولات - هنا- تعنى النتاج التطبيقى للمنهج الماركسى على الأوضاع التاريخية الملموسة لذا. فهى ذات طابع مؤقت وزائل ومحكومة بظروف الزمان والمكان..

والماركسية، فى ذلك، متأثرة بالسياق الإجتماعى والتاريخى الذى صدرت فيه. وهو سياق من الناحية العلمية كان متخما بنظرية التطور العضوى oganic orlution التى طرحها عالم الطبيعة البريطانى **تشارلز داروين** . وهى نظريةتقوم ، فى جوهرها، على أساس إثبات أن بقاء الكائن الحى واستمراره يتوقف على مدى قدرته على التكيف...

ومن ثم تستأنف الماركسية هنا، حسب عبد الإله بلقزيز، التقليد التطورى evolu-tioniste الدروينى فى مجال التاريخ والسياسة معيدة إنتاجه من خلال تمثل نظرى لعقيدة الصيرورة الجدلية فى فكر هيجل. وفى هذا الإستئناف ، حسب بلقزيز أيضا ، لم تتوقف الماركسية عن التبشير بطوبى تاريخية قوامها إنتصار الفكرة الشيوعية (الأصل) على تاريخ «مزور» حاد عن «الأصول» وكرس علاقات الاستغلال الاقتصادى والاضطهاد الطبقى- الاجتماعى والقمع السياسى فى مقابل قيم المشاعية والتعاون والتشارك التى سادت فى المجتمعات المشاعية..

والماركسية (...) فى ذلك ، إن كانت تشبه الأيديولوجيات الشمولية التى يختلط فيها الفكرى بالعقائدى ، التاريخ باليوتوبيا، الأمر الذى يجعلها تتموضع ظاهريا فى دائرة الوعى الزائف، إلا أن استنادها - فى النهاية- على تاريخ التشكيلات الاجتماعية ، أى على أنماط الانتاج المتشابكة فى التشكيلات الإجتماعية ، وعلى تاريخ الصراع الطبقى الذى يحكمها (...) ، يجعلها تتحاشى السقوط فى الدورة الخلدونية المغلقة، إنها تريد التاريخ لولبيا فى حركته بحيث يتأمن التطور والتقدم فى صعوده الذى يتفادى التكرار(..) ، فالمفهوم الماركسى للآيديولوجيا يتمحور تحديده فى التحليل الأخير، خارج الأيديولوجيات مع ارتباطه بها. أى الآيديولوجيا بدون حكم تقييمى على حد تعبير محمود أمين العالم.

فحركة المخاطرة، إذن، حسب مهدى عامل، فى اختبار النظرى ونظرته الاختبارى تشكل سمة جوهرية فى الماركسية والحركة هذه ، كما يذهب، دائمة فيها، لأنها موازية لحركة التاريخ المادى نفسه ، ولحركة مفاجآته . لا اكتمال ، إذن ،فى النظرية الماركسية، بل انفتاح على المفاجئ هو فيها حياة النظرى ، من حيث أن النظرى منها هو غير المكتمل بإمتياز. هذا مايؤمن لها وله قدرة على التشامل (..) ، الأمر الذى يحول ، فى التحليل الأخير، دون تحولها إلى دوجما؟؟؟.

محور التساؤل

وإذا كان الأمر كذلك.. الا أن الماركسية- تاريخيا- أصيبت بالدوجماطيقية.. وهو أمر لم تخل منه الليبرالية أيضا.. الماركسية ، حسب مراد وهبة، بحكم مبدأ الحزب الواحد ودكتاتورية البروليتاريا، والليبرالية بحكم استسلامها للسلطة الدينية من أجل محاربة الماركسية.. والمفارقة ، كما يقول وهبة، أن كلا منهما من مواليد «التنوير» الذى هو تحرير العقل من أى سلطان ماعدا سلطان العقل، أى التحرر من الدوجماطيقية..

ولكن.. هل يكفى هذا التحليل لنقد الدور المثلث (....) الذى عانت منه الفلسفة الماركسية تاريخيا : دور المنافحة التبريرية عن سياسة بعينها وممارسة بعينها، ودور شرحى بدءا من نصوص أنزلت بحرفيتها منزلة الحقائق النهائية، ودور تطبيقوى.. يرمى، حسب تعبير ألتوسير، الى «بتر العالم بشفرة واحدة» باسم القطيعة الطبقية، ويقحم هذه القطيعة على العلم بالذات من خلال شعار «العلم البورجوازى والعلم البروليتارى»؟؟..

أرشيف اليسار

رمسيس يونان
فنان يرسم بالبارود

د. رفعت السعيد

الاسم: رمسيس يونان.
تاريخ الميلاد: ١٩١٣.
محل الميلاد: المنيا.
المهنة: رسام.
تاريخ الوفاة: ٢٤-١٢-١٩٦٦.

نحن إزاء رسام من نوع خاص جدا، لعله لم يتكرر أبدا. يتفجر بالرسم ويتفجر بالكلمات، ويصرخ في كل شئ متطلعا لمستقبل حالم تغمره حرية كاملة، وبغير حدود.

مهما تكلمنا وأطلنا لن نستطيع أن نقدم «رمسيس يونان».. فلنقدم بعضا من كتاباته لعلها تلخصه لنا.

«أننا ننعت بالمتواطئين، وبالتالي بالمجرمين، كل أولئك الذين لايدفعهم الوجه الحالي للعالم إلى أشرس التمردات. ونضع على رأس هؤلاء المجرمين جميع الآباء البلهاء (روحيين كانوا أم لا)، وجميع القادة (سياسيين كانوا أم لا) الذين لايعملون بطاقاتهم، أو بثقلهم إلا على تدعيم، أن لم نقل تقوية المواقع الرئيسية للنظام الأبوي القائم، حتى وهم يشيعون لمبادئ توصف بالثورية».

ويقول: «فالآباء والقادة هم عموما مشبوهون في حد ذاتهم، وذلك لطبيعة وظائفهم ذاتها. والخطوة الأولى التي يجدر القيام بها بمواجهة السلطات، وريثة الحالة المشئومة للعالم الراهن، انما تتمثل بالعصيان المدني على كل الجبهات.. ياشباب جميع العالم.. افضحوا آباءكم. وابصقوا على وجوه العسكر».

... وأيضا «أن ظلا ثقيلا يضغط على رقاب المستقبل حتى لايبقى لنا إلا اليأس. لكن يظل لنا أن نغذى نار تمردنا من هذا اليأس.. فنحن لسنا إلا مجانين لاتعلمنا التجارب، اننا لانتغذى إلا من هذياننا. وهذا اليأس لايحرمنا من الوضوح».

وهو يدعو إلى فكرة غريبة تقول: إن الذين خارج الطبقات، هم وحدهم حائزوا حق النطق باسم المستقبل، وهم وحدهم القادرون على أن يصبحوا ثوريين (وأن حالات ماركس، انجلز، رامبو، ساد، لينين، وتروتسكي جديرة بالبرهنة على هذا الشئ) وهكذا فإننا سنستبدل الفكرة الاقتصادية القائلة بصراع الطبقات بالتصور الهذياني لصراع محموم بين الذين خارج الطبقات، وبين المصطفين والمصنفين فيها. ومن هنا فعلى أبناء العامل مثلما على أبناء البرجوازي أن يتعلموا.. أن يمقتوا، وبعمق جميع الممارسات التي يمكن أن تقربهم من ممارسات آبائهم. هذه خطوة جنونية بالطبع. غير أن الحرية لايمكن امتلاكها الا بهذا الثمن. إذ ليس من الممكن خدمة المجتمع وقلبه في نفس الوقت..

لنكن غير نافعين وبشكل كلي.
لننبذ القادة والآباء والمهن.
لندعم صفوف الذين خارج الطبقات.
وليعم جنوننا حتى يشمل جميع نوابض هذا المجتمع الإجرامي».

ويمكن القول دون تردد أن **رمسيس يونان** هو أول من نادى في مصر بشعار: الفن للحياة ضد فكرة الفن للفن فهو يقول: منذ نصف قرن والآداب العالمية جميعا تتجه نحو: الأدب في سبيل الحياة، الأدب المغذي للعواطف المتمردة على الأطواق والقيود.. الشعر المولد للدماء الحمراء في السواعد الفتية التي يجب أن تتعاون على بناء عالم أسعد وأزهى ألوانا وأفسح آفاقا» (مقال: الشعر والماديه- المجلة الجديدة عدد ٤٠٣)

لكن **رمسيس يونان** فنان تشكيلي في الاصل.. وليس كاتبا، فماذا عنه كرسام. لقد مر رمسيس بمرحلتين السيريالية فالتجريدية.

يقول **صبحي الشاروني** عن المرحلة الأولى «كانت لوحات رمسيس يونان ورسومه من خلال ألوان بنية داكنة أشكالا غريبة تصدم المتفرج، وتدور حول الجوع والجنس. فمثلا تجده في إحدى لوحاته يرسم طبقا عليه ثدي إمرأة، وفي أخرى نري شجرة تثمر عيونا ونهودا وأفخاذا» (مقال بمجلة المجلة فبراير ١٩٦٧- الثقافة والتمرد ورمسيس يونان)

أما **محمد شفيق** فيقول: «نشاهد مظاهر فن تصويري مشحون بدراما فاجعة يختلط فيه الحلم بالواقع.. وجوه عرقي تندلع فيها إنسانية مرعبة، تنادي في يأس من ينقذها، وأيد تلتف حول الأجساد تعتصر رحيقها كالأفاعي المفترسة، ونساء «عاريات في أجسادهن قسوة وتشنج حيواني. وأشجار تنبت في صحراء قاحلة ذات نهود، وقبضات معروقة تمتصها الرمال» (مقال بمجلة فنون مجلدا- عدد ٢ - ربيع ١٩٧١- بعنوان رمسيس يونان وجيل التمرد)

أما صديقه الحميم والدائم **جورج حنين** فيعلق على أحد معارضه قائلا: «يرسم رمسيس يونان أعصابا متوترة لدرجة الحاجة إلى القطع. لدرجة استدعاء القطع. رسمه لايعرف الراحة، ولا التوقف ولا التراخي، انه سيريالي مثل تلك البيوت التي صدعها غضب داخلي أو خربها تمرد الأرض. عندما تصل شخصياته إلى درجة التقلص الذي لايمكن أن يستمر وقتا أطول فإنه لايتردد عن بترها».

... وقد بدأت السيريالية في حياة **رمسيس يونان** منذ كان طالبا في الفنون الجميلة، ثم اكتسبت عمقها الفلسفي مع علاقته الحميمة بجورج حنين، ويستمر سيرياليا حتى عام ١٩٤٧، ثم فترة صمت طويلة دامت سنوات عشر، ثم يعود ليتألق تجريديا في معرض جماعي بالقاهرة (١٩٥٨) تحت عنوان «**نحو المجهول**».

نحن إذن أمام رجل كلما عرفناه إزداد غموضا، وزادنا دهشة.

رسام مبدع -سيريالي ثم تجريدي. يقول أحدهم أن «رسمه لايعرف الراحة».

سياسي عنيف يمزج بين التروتسكية والفوضوية.

يساري لايعترف بالطبقات ولابالصراع بينها، بل هو يؤمن بالصراع ضد الآباء (في الاسرة وفي الدولة وفي الدين) باعتبارهم طبقة بذاتها..

ولكن.. لم نقفز بعيدا هكذا.. دون أن نعرف الرجل منذ البداية؟

الأسرة «بروتستنتينية» من مدينة المنيا.. شديدة الفقر، شديدة التدين،. (لعل هذا هو سر تمرده على الاسرة والدين معا) هو الآخ الأكبر بين أربعة، مات والده وهو في

الخامسة عشرة فتحمل عبء إعالة الاسرة. كان يعمل ويدرس معا. سارت رحلته التعليمية حتى مدرسة السعيدية، وبهذا يبتسم له الحظ لأول مرة فى حياته فهناك يلتقى بمدرس للرسم هو أستاذ لجيل كامل من الفنانين. **يوسف العفيفى**.

وفى عام ١٩٢٩ يدخل مدرسة الفنون الجميلة، لكن ظروفه العائلية الصعبة تجبره على تركها ليعمل فى ١٩٣٣ مدرسا للرسم فى مدارس ثانوية.. فى طنطا وبورسعيد والزقازيق.

فى ١٩٣٥ أنضم إلى «**جماعة الدعاية الفنية**» ليبرز فى صفوفها كواحد من أعمق النقاد التشكيليين. وفى ١٩٣٩ شارك برسومه السيريالية المذهلة فى معرض جماعى. وفى عام ١٩٣٨ فجر رمسيس قنبلة صاخبة الدوى فى الأوساط الفنية بإصداره كتاب «**غاية الرسام العصرى**». وفى الكتاب- القنبلة يؤكد رمسيس «أن الفن الذى نحيطه بهالة مقدسة، لابد أن يكون قادرا على القيام بدور هام فى هذه الدراما الباطنة . إعنى أن يكون قادرا كالأديان على إيجاد الحلول لبعض منازعاتنا النفسية. وبذلك يساعدنا على الوصول إلى حالة من السلم والهدوء النفسى- فهذه للإنسان أعز أمنية». وفى هذه الفترة ينخرط بحماس فى جماعة الفن والحرية، تم يسهم فى إصدار «مجلة التطور» مع اصدقائه الدائمين **جورج حنين .وانور كامل وعبد الحميد الحديدى**، لتتفجر بشعارات نارية: «**الفن معمل بارود**» ..«**ومن حق الانسان أن يعيش حرا ٢٤ ساعة فى اليوم**»..

وهاجت النيابة ضد «التطور» واتهمت بأنها تسعى لهدم الدين والفضيلة ونشر الإباحية والفوضى.

وفى عام ١٩٤٢ أصدر «**المجلة الجديدة**» بتمويل من جورج حنين بعد أن تنازل عن امتيازها سلامه موسى، واعلنت عن نفسها انها «**مجلة الكفاح والتجديد الاجتماعى**» . وقد أصدرت اعدادا خاصة عن: الاتحاد السوفيتى- الأدب المصرى المعاصر- عالم مابعد الحرب- الهند- الولايات المتحدة الأمريكية- الفاشية لحما ودما- ستالينجراد نقطة تحول. ووزعت على مشتركيها هدايا من ثلاث كتب «**فونتمارا** لايجنازيو سيلونى (وهى رواية رائعة ضد الفاشية) و«**أنهيار فرنسا**» لإيليا اهرنبورج، و«برابرة سانيبون» وهى نص كتبه مورلوتوف عن جرائم الفاشية فى الأراضى الروسية المحتلة.

باختصار كانت «المجلة الجديدة.. دويا صاخبا فى عالم الادب والفكر والفن.

ثم توقفت «المجلة الجديدة» كالعادة بسبب أزمة مالية.

وفى عام ١٩٤٦ بدأ رمسيس يونان فى ترجمة مسرحية **ألبير كامى «كاليجولا»** ونشر مع الترجمة الرائعة مقدمة ناقش فيها فكرة الانتحار من منظوره المتمرد شبه الفوضوى قائلا :« إذا لم يجد الانسان مغزى للحياة ، فهل ينبغى أن يحمله ذلك على الانتحار؟.

وفى «يوليو ١٩٤٦ يقبض على **رمسيس يونان** ضمن موجة القبض التى أمر بها **اسماعيل صدقى** وشملت كل فصائل اليسار وكل رموز الفكر التقدمى.. وفى سبتمبر من نفس العام أفرج عنه بكفالة مالية كبيرة سددها بالطبع صديقه **جورج حنين**.

وفى ١٥ فبراير ١٩٤٧ صدر فى القاهرة كراس بالفرنسية عنوانه «**حصة الرمل**» قدمه الناشر قائلا «الكراس الحالى المتضمن نصوصا شعرية ونقدية طبعته فى القاهرة حركة الفن والحرية تحت الاشراف الشخصى لجورج حنين ورمسيس يونان» وتقدم المجلة نفسها للقارئ: لن تجد فى الصفحات التالية إشارات تبعية، ولا تأكيدات جامدة.. هذا الكراس لايجيب على أى هدف محدد، إلا الاشتراك فى تبادل الآراء.. فى وقت يبدو فيه الانسان نفسه ليس أكثر بكثير من شكل من أشكال القنوط، لدينا اعتقاد ضعيف فى إمكان حل المشاكل التى تؤرقنا، لكن ، أيضا ، يجب أن يحدث المشهد فى مناخ حر، ويجب امتلاك حرية وضعها، وملاحقتها، وجعلها تستعيد ماسرق كرها وعنوة ».

.. لكن مايهم هنا هو أن رمسيس يتراجع فبعد أن تميز بالكتابة بالعربية يعود وفى ١٩٤٧ ليكتب بالفرنسية، لعله رد فعل السجن، أما رد الفعل الأكبر فيأتى بعد أسابيع ففى نهاية ابريل ١٩٤٧ غادر **رمسيس يونان** مصر ليستقر ولأمد طويل فى باريس. حيث عمل لتسع سنوات رئيسا للقسم العربى فى الأذاعة الفرنسية. يقول د. **لويس عوض** أن هذه الهجرة الطويلة كانت نتيجة للقبض عليه، ومن إحساسه بأنه «**لن يكون مفهوما لامن اليمين ولامن اليسار**.. وبعد وصوله إلى باريس التحق بالسورووبون حيث درس الاجتماع والفلسفة» (**مقال بجريدة الاهرام ٣٠-١٢-١٩٦٦- بعنوان : (كان رائدا شجاعا)**

وفى باريس تزوج من بولندية وانجب منها ابنتين.

وينغمس رمسيس فى الجو الباريسى السيريالى.. وينغمس حتى فى تأسيس أممية سيريالية. لكنه يظل متمردا دوما حتى على السيرياليين أنفسهم فيدخل فى صراعات فكرية حادة معهم.

وفى ١٩٥٦ تجتذبه مصر من جديد، يتمرد وهو فى الاذاعة العربية فى باريس على إذاعة أنباء العدوان على مصر، يحتج ويرفض ويفصل.. ويعود لمصر. ويصبح بحاجة إلى مايقتات به.. ويعد وساطات من الاصدقاء القدامى والجدد يحصل على منحة تفرغ من وزارة الثقافة. وفى كل سنة كانت مؤامرات عديدة تحاك لحرمانه من المنحة تارة بحجة أنه تجريدى، وأخرى بحجة أن التفرغ يدفعه للصعلكة، وتارة أخرى بحجة أنه يسارى ، أو فوضوى او غير مخلص لثورة يوليو، أو أى شئ وفى عام ١٩٦١ يقرر عباس العقاد إلغاء تفرغه هو **وتحية حليم وآدم حنين وراتب صديق**، واضعا استقالته فى كفة وعودتهم للتفرغ فى كفة أخرى. لكن وزير الثقافة يصمم على استمرار تفرغهم ، ويتراجع العقاد عن تهديده. وفى عام ١٩٦٦ نجح خصومه فى إلغاء تفرغه كفنان، ونجح أصدقاؤه فى كسب منحة تفرغ أخرى كمترجم..

لكن الامر أحزنه ، وأحاط كل حياته بغيمة حزن عميق.. وتفرغ لترجمة كتاب «**تناسخ صور الآلهة**» لأندريه مارلو وترجم منه ٦٨ صفحة.

وحزينا حزنا عميقا.. يغادر رمسيس يونان هذا العالم.

ويقول **توفيق حنا** أن حزنه لتحويل تفرغه من الرسم إلى الترجمة جعله «يعيش إرادة الموت» (مقال بمجلة الكواكب عدد ١٠-١- ١٩٦٧ بعنوان:نعم هذا فنان قتلناه.

ويكتب **لويس عوض** مهاجما هؤلاء الذين حرموه من تفرغه كرسام قائلا: هنيئا للجنة التفرغ بتيجان العار لاتيجان الغار، قائلا أن رمسيس «كان رائدا شجاعا بصماته على التشكيل المصرى لن تمحوها الأيام ولا اللجان. أما بصماته على الفكر المصرى فقد كانت وضوحا رغم عمقها العميق» (الاهرام المرجع السابق)

.. نعم كان رائدا وكان شجاعا، لكنه كان مسكينا. فقد ظلت كلماته ورسومه بعيدة عن فهم الناس وعن متناولهم.. وتماما كما قال د. لويس عوض «**لم يكن مفهوما لامن اليمين ولامن اليسار**».





بين فيلمى "حكمت فهمى" و"قائمة شندلر"

صناعة الأفلام، بأسلوب مفاوضات كامب دافيد

أحمد يوسف

أرجو ألا يذهب الخيال بعيدا بصناع فيلم **«الجاسوسة حكمت فهمى»** إذا مابدا أن السطور التالية تعقد مقارنة بين فيلمهم وفيلم **«اسبيلبيرج»** الشهير **«قائمة شندلر»**، من المؤكد أن «حكمت فهمى» قد صرخت فى نهاية حدوتة الفيلم وهى تهتف: **«تحيا مصر»**، بينما ينتهى **«شندلر»** فى تل أبيب، ليتغنى بذلك «الوطن» الذى اغتصبوه ليصبح تجسيدا لكل الأحلام الصهيونية، **لكن الباعث على المرارة بحق هو أن يصنع الصهاينة فيلماشديد الذكاء، صادقا فى كل تفاصيله لنزعته الصهيونية، وأن يأتى الفيلم المصرى على العكس خاليا من الصدق، محتشدا بالزيف، بليدا كل البلادة، ليعكس وجها سائدا من وجوه التعامل مع كل قضايانا الجادة.**

نظلم فيلم **«حكمت فهمى»** وصناعه إذا ماحكمنا على ما أنجزوه على شريط السليولويد بمعايير **«الصدق التاريخى»**، أو الالتزام بدقائق الأحداث والشخصيات، فلقد تعلم صناع الأفلام - حتى أكثرهم تواضعا - كيف يناورون فى هذا المجال بأن يستخدموا المبرر الجمالى المشروع الذى يسمى **«الصدق الفنى»** لكننا نؤكد على أننا نحكم على الفيلم من خلال هذا المعيار الجمالى ذاته، فلم يكن هناك أى أثر شاحب باهت لهذا الصدق الفنى فى فيلمهم، بينما تمتع به- للأسف الشديد- فيلم **«قائمة شندلر»**، الذى ذهب إلى أقصى مايمكن أن يصل إليه عمل فنى من تزييف التاريخ، بينما هو يدعى الموضوعية والدقة التاريخية، لكنه جاء- للأسف الشديد مرة أخرى وليست أخيرة- مقنعا فى ادعائه المزعوم، متماسكا فى أسلوبه الفنى، واعيا بأدواته وأهدافه، حتى أن الكثير من الناس فى أنحاء عديدة من العالم رأوافيه وثيقة تاريخية جعلتهم شهودا على بعض وقائع لم يشاركوا فيها، أو قل بالأحرى وقائع لعل معظمها لم يقع على الإطلاق، إلا فى الكتابات، والمعالجات الصهيونية، التى كانت ماتزال تصر على أن تصنع من الأسطورة تاريخا، بينما نبدو نحن وكأننا حاذقون فى تحويل التاريخ المجسد والحقائق التاريخية إلى أساطير.

إن شئت دليلا حيا على المأساة التاريخية السوداوية التى يشهدها هذا الجيل من خلال وقائع الواقع الحى الذى نعيشه كل يوم، والتى ربما قد فاقت المأساة التى صنعها منذ خمسة قرون أمراء الأندلس وجواريهم، فأمامك فيلم **«حكمت فهمى»** نموذجا مجسدا على رؤيتنا لتاريخنا، أو إن شئت الدقة رؤية **«نجوم»** السياسة والفن فى بلادنا لصناعة هذا التاريخ، الذين يتركون الآخرين يصنعونه لنا صنعا، لكى يفرضوه علينا فرضا، بدءا من كامب دافيد، ومرورا بغزة وأريحا، ولاندرى إلى أين يمكن أن يقود هذا الطريق، المهم أن يتحدث نجومنا فى السياسة عن السلام والرخاء للوطن، وأن تهتف حكمت فهمى فى نهاية الفيلم بحياة هذا الوطن، فيصبح كل شئ على مايرام.

قبلات ودموع ورقصات

لست فى حاجة الى أن أذكرك بقصة **حكمت فهمى** الشهيرة، التى أعادها مرات عديدة كبير العائلة والداعى الى أخلاق القرية الرئيس الراحل **أنور السادات**، فى ذكريات «المصطبة» للإذاعية **همت مصطفى**، ودعك من أنه كان يحكيها فى كل مرة برواية مختلفة حسب مقتضى الأحوال، لكن المهم هو أن **حكمت فهمى** كانت راقصة دفعها عشقها لأحد الجواسيس الألمان الى أن تعمل معه لصالح القوات النازية ضد الجيش البريطانى والحلفاء، خلال الحرب العالمية الثانية، واستعانت بالضابط الصغير آنذاك **أنور السادات لإصلاح أحد أجهزة اللاسلكى المخبأة فى عوامتها، وحين وقعت فى أيدى المخابرات البريطانية اعترفت بكل الوقائع مقابل تخفيف الحكم عليها، وهكذا** بدأ أنور السادات رحلته مع «الوطنية»، معتقلا لبضعة أسابيع، ليخرج بعدها ليستكمل «النضال» فى أحداث تشبه روايات البيكاريسك، ويعلو نجمه فى النهاية حتى تأتى له كاميرات التليفزيون العالمية من كل مكان، وتسلط عليه الأضواء الساطعة، ليصبح نجم «كامب دافيد» اللامع الذى اصطحب معه وفدا ليكونوا مجرد كومبارس، بينما انفرد وحده بكل المشاهد واللقطات.

أصبح **السادات** نجما ساطعا، بينما توارت **حكمت فهمى** فى الظل، حتى أعادتها **نادية الجندى** بفيلمها الأخير إلى الأضواء، فماذا وجدت فيها **نادية الجندى** لكى تصبح بطله من بطلات التاريخ؟ الإجابة

ببساطة أنها «راقصة ، وعاشقة، وجاسوسة» وهي الفرصة التي سوف تتيح لنجمة الجماهير تلفيق الحدوتة التقليدية الخاصة بها ، لكي ترقص كما يحلولها، وتؤدي مشاهد الغرام الملتهب مع الجاسوس الألماني إبلر (**فاروق الفشاوي**)، وتوقع في حبائل غرامها قائد القوات البريطاني في مصر سامون (**حسين فهمي**) الذي يجهش بالبكاء، كلما لاح له شبح الفراق عن معشوقته، وتغوي ابن تشرشل (**ماجد المصري**) لكي تحصل على خطة الحرب، وتتحمل التعذيب على يد ضابط المخابرات الانجليزي (**محمد مختار**) فلا تعترف بأسماء شركائها، وعندما يحكم عليها بالاعدام، وتساق الى ساحة الموت، يظهر فجأة أنور السادات (**أحمد عبد العزيز**) ليخلصها من أيدي الأشرار، على طريقة «زورو» وهو ينقذ البطلة من الهنود الحمر في اللحظة الأخيرة.

تعترف **نادية الجندي** أنها اختارت حكمت فهمي لأن بينهما تشابها جوهريا ، وهو أنها - وأرجو أن تلاحظ ماتهتم به النجمة اهتماما حقيقيا - «كانت فنانة كبيرة في عصرها وكانت من أشيك وأجمل نساء عصرها »، لكن **نادية الجندي**، الفنانة الكبيرة الأنيقة الجميلة الوحيدة في عصرنا، لاتصنع الفيلم وحدها، وإنما يصنعه على مقاسها وتحت قيادتها «الوفد» الذي اصطحبته معها أثناء صناعة الفيلم: كاتب السيناريو **بشير الديك** ، والمخرج **حسام الدين مصطفى** ، ليصبح الهدف الرئيسي أن تحتل **نادية الجندي** كل المشاهد، دون أن يستقيل أو ينسحب أحد أعضاء «الوفد» هذه المرة، كما حدث في «كامب دافيد»، لأن النجومية أصبحت أمرا مستقرا في كافة وجوه حياتنا ، وحيث الجميع «**موظفون**» **لدى النجم الأوحد**. قالت **نادية الجندي** - كما جاء في بعض حواراتها الصحفية -: إن الفيلم يجب أن يصنع لكي «**يتيح لموهبتي هامشا واسعا للحركة**»، وتلك المواهب إن لم تكن تعرف ماتقصده النجمة بها هي: ملابسها وقبعاتها وهمساتها وصرخاتها ورشاقتها وأنوثتها الطاغية. وقد يبدو لذلك مايبرر لها أن تنفق على الفيلم - كما تقول - ثلاثة ملايين من الجنيهات ، فما تسعى إليه حقا هو «الابهار» - أو قل بالأحرى «الانبهار» بها وحدها الذي تنبهنا الى أنه يتطلب تكلفة عالية جدا: «لقد اشترينا عشرين سيارة قديمة موديل ١٩٤٠... واضطررنا لإحضار كومبارس من ألمانيا »، **لكن ذلك كله لايبرر أبدا أن يستخدم اسم الوطن، وتعبير الوطنية، لصنع فيلم رخيص ، مهما بلغت قيمة تكاليفه، تدور أحداثه الرئيسية حول العلاقات الجنسية بين البطلة والعديد من الرجال، تارة بدافع العشق المجنون، وأخرى بدافع الإغراء والإغواء**. لعلى لست في حاجة الى أن أشير الى أن المقارنة بين **حكمت فهمي**» و«**قائمة شندلر**» لن تقع في مأزق الحديث عن الامكانيات الهائلة التي تتحدث عنها **نادية الجندي** ، فمن المؤكد أن صناع الفيلم المصري سوف يلجأون - على العكس - الى التمحك بتواضع إمكانيات السينما المصرية بالمقارنة مع السينما الأمريكية، لكن المقارنة الحقيقية هي الفرق الهائل بين مستويين للوعي الجمالي والسياسي، تكتشف خلالها أن الفيلم الأمريكي ابتعد عامدا عن الابهار الذي يملكه، بينما توقف الفيلم المصري عند تحقيق الابهار بمعناه شديد السخف والضحالة.

التزييف المتقن للتاريخ

بل ربما دفعتك المقارنة الى أن تدرك الآن كم كان **اسبيلبيرج** ساذجا عندما اختار موضوعا قاتما كئيبا لفيلم «**قائمة شندلر**» لكنه أيضا كان أكثر سذاجة حين تخلى في معالجته لقصته عن «الابهار» السينمائي، وهو بلا منازع أحد الأساطين التي لايرقى إليها أحد في هذا المجال، ليصنع فيلما بالأبيض والأسود ، ودون أن يستخدم حركة كاميرا واحدة معقدة، وهل يخلو التاريخ عند الصهاينة من الراقصات أو العاهرات اللائي تعملن في الجاسوسية بمهارة فائقة؟، حتى أن **اسبيلبيرج** يضطر الى أن يكون بطله هو ذلك الألماني الكاثوليكي **أوسكار شندلر** (قام بدوره الممثل الايرلندي نصف المشهور ليام نيسون) وليس أحد أبطال الصهيونية الذين تفوقوا في الواقع على كل أشرار الأفلام في إرهابهم ودمويتهم، مما يتيح لصناع أفلامهم انتاج عشرات من أفلام «الأكشن» احتذاء بمخرجنا **حسام الدين مصطفى**؟

على كل حال، تقول الحدوتة أن شندلر هذا - الذي تدور قصته بالمصادفة في نفس الزمن الذي دارت فيه قصة **حكمت فهمي** - كان رجلا عربيدا، سكيرا وزير نساء، لايهتم إلا بمصلحته الخاصة حتى أنه كان يعرف بالانتهازية الخالصة في عالم المال والاعمال ، حيث يستثمر علاقته بالنازيين ليتاجر في السوق السوداء، ويستأجر العمال اليهود للعمل بأجور رخيصة في مصنع الخزف الذي يملكه في مدينة كراكوف البولندية التي كانت واقعة آنذاك في أسر الاحتلال النازي، إنه نموذج لما يسمى في الدراما «نقيض البطل» لإنك لاتستطيع بسبب شره أن تتوحد معه ، لكنه يتحول شيئا فشيئا الى أن يكون «بطلا»، تحت تأثير المحاسب اليهودي «**إيزاك ستيرن**» الذي كان يعمل لديه (قام بالدور الممثل المشهور الوحيد في الفيلم **بن كينجسلي** بطل فيلم «**غاندي الشهير**»)، والذي أقنعه بعدالة قضية اليهود، وأيقظ فيه ضميره الانساني ، لكي يصبح شندلر في النهاية رجلا يقبل المخاطرة بحياته لكي ينقذ ألفا ومائتين من اليهود العاملين في مصنعه من أن يقعوا في براثن النازيين، حيث كان من المفترض اقتيادهم الى معسكرات الموت في **أوشفيتز**، لينتهي الفيلم - في مشهد



وحيد بالألوان، وكأنه يصور جنه الميعاد- ببعض من بقوا على قيد الحياة بسبب «قائمة شندلر»، وهم يعيشون فى تل أبيب.

وإلى الذين يتصورون أنهم يعرفون ماهى «الدراما»، يبدو «**قائمة شندلر**» درسا- ما أشد قسوته ومرارته- فى دراسة التحولات والتناقضات الإنسانية فى المشاعر والأفكار، فشندلر يدرك للمرة الأولى هول المأساة حين يرى خلال لحظة استمتاع شبقة مع عشيقته احتياج النازيين لأحد أحياء اليهود فى كراكوف، لكن الفيلم لايجعله يتحول الى النقيض بين عشية وضحاها، تماما كما بدا لضابط النازى السادى **أمون جوت** (الممثل الانجليزى المغمور **ريف فاينس**) الذى يستمتع بالقتل العشوائى لليهود من شرفة منزله، لكنه بدوره يعيش دراما الحب والكراهية عندما يقع فى عشق خادمته اليهودية، وأنظر أيضا للموقف الميلودرامى شديد التأثير عندما قررت الممرضة اليهودية أن تعطى السم لمرضاها من العجائز لتخلصهم من موت أكثر عذابا وبطئا على يد النازيين.

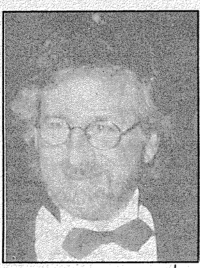
أين ذلك كله من تلك الشخصيات المسطحة النمطية التى عاشت مع «**حكمت فهمى**»، ليس هناك فى حياة هذه الشخصيات أية تحولات درامية دقيقة تجعلنا أكثر اقتناعا بوجودها ودوافعها، فقد انتهت جميعها كما بدأت، فيما عدا **حكمت فهمى** ذاتها التى أصبحت - ولاندرى السبب- وطنية مخلصة ترفض إفشاء أسرار الثوار، وإن كان السبب الحقيقى هو أن «تمتعنا» النجمة «**نادية الجندى**» ببراعتها فى مشاهد التعذيب كما تصورت أنها أمتعتنا من قبل فى تمثيل مشاهد الرقص والغرام الملتهب.

بين الفرد والجماهير

لكن «قائمة شندلر» لاينوى أن يكون درسا فى فن الدراما، بل إنه كما قال **اسبيلبيرج** بنفسه فى حفل استلامه لجوائز الأوسكار السبع كان «**دراسا فى التاريخ**»، **حتى لو كان بالفعل تاريخا زائفا**، لكن تلك براعته الحقيقية التى يجب أن نعترف بها، لكى نتعلم، وأرجو أن نتعلم. فالفيلم لايدور كما يبدو للوهلة الأولى حول فرد يدعى شندلر، ولنتذكر أن عنوان الفيلم هو «القائمة» وليس شندلر، وهو العنوان الذى يدعوك إلى أن تتذكر أنه يشير الى مئات اليهود، الذي احتلوا الشاشة فى الأغلب الأعم من المشاهد، (ولتقارن ذلك بانفراد النجمة نادية الجندى وحدها بفيلمها من البداية الى النهاية)، فقد ظهرت تلك الجماهير عمالا فى المصانع، وأسرى فى حظائر الماشية، وأجسادا عارية تساق الى الموت.

وإذا كان المحاسب اليهودى **ايزاك سعيرن** الذى ترك أثره على مفاهيم **شندلر** يعتبر من الناحية الدرامية تلخيصا وتجسيدا لمايريده الفيلم لشخصية «**اليهودى المثالى**» **المزعوم**، فإن الفيلم كان حريصا فى الشخصيات الأخرى على استخدام ممثلين غير مشهورين لأداء الأدوار الرئيسية، وألا يقع أداؤهم فى النمطية حتى يصبح الفيلم أكثرن إقناعا، لكنه كان أكثر حرصا على أن تكون جماهير «الشعب» اليهودى» - وهو الاصطلاح الذى يعشق الصهاينة التأكيد عليه، على الرغم من افتقاده للعلمية وإغراقة فى العنصرية- هى البطل الحقيقى فى الفيلم،بينما غابت الجماهير تماما عن التاريخ مع «**حكمت فهمى**». بل إن الأكثر أهمية هو أن يؤكد **اسبيلبيرج** فى تصريحاته الصحفية: «إننى لا أحكى عن ألف ومائتين من اليهود استطاع شندلر انقاذهم من براثن النازى، لكننى اتحدث عن ستة ملايين يهودى لقوا حتفهم بالفعل فى معسكرات النازيين».

وإذا كان فى ذلك القول بعض ظلال من الاختلاق، والتجاهل لعشرات الملايين من الشعوب الأخرى التى ذاقت الموت فى المعارك الطاحنة ضد النازية، فإن **اسبيلبيرج**- وآله الدعاية الصهيونية من خلفه- لايرى ولايريد أن يرى إلا تأثيره الساحر على تغيير مفاهيم الجماهير التى تشاهد أفلامه، وهو الذى


سبيلبيرج

أعطى ظهره فى الماضى لكل الشعوب المقهورة فى عالمنا المعاصر ليصور لنا المشاعر الرقيقة لمخلوقة الوهمى (**إى. تى**) القادم من خارج الأرض، وهو أيضا الذى خرج لتوه من «**حديقة الديناصورات**» الذى حصد أكبر الايرادات فى تاريخ السينما، لكنه اليوم مع«قائمة شندلر» يؤكد فى دهاء حقيقى: «ليس مهما أن يأتى الفيلم بالأرباح من شباك التذاكر.. المهم هو أن ربع الشعب الأمريكى، وستين فى المائة من طلبة المدارس، لايعرفون معنى كلمة **هولوكوست** (الابادة الجماعية المزعومة لليهود على يد النازيين)... وإننى أسعى مع «قائمة شندلر» الى أن يتأكد الناس، فى أمريكا وفى كل أنحاء العالم، أن الهولوكوست كان وسوف يظل حقيقة يجب ألا



تغيب عن ذاكرتنا أبدا».

الفن والسياسة فوق عوامة.

ربما كان من أهم بديهيات السينما وأبجدياتها - التي مايزال معظم صناع السينما عندنا يجهلونها أو يتجاهلونها - هو أن تتوافق الجماليات والتقنيات مع الموضوع والمضمون ، لكن نادية الجندى تؤكد بأقوالها المنشورة والمنشورة فى العديد من المجلات الفنية على أن «التميز ليس فى الموضوع، وإنما فى الابهار»، لذلك بحثت عن كاتب السيناريو **بشير الديك** لكى يختلق الموقف الدرامى تلو الأخر لتحقيق هذا الابهار، ووجدت فى المخرج **حسام الدين مصطفى** ضالتها المنشودة لتنفيذ مشاهد الاستعراضات والغرام ومطاردات «الأكشن»، بينما قاوم اسبيلبيرج طويلا ليقنع شركة الانتاج بأن يكون فيلمه بالأبيض وأسود حتى يكتسب مسحة وثائقية، ورفض المساومة على أن يصنع نسخة بالألوان لتصبح مضمونة التسويق فى شبكات التليفزيون، وأصر على استخدام الفيلم الخام الذى يحقق له أغراضه الجمالية والسياسية. واختار الكاميرا المحمولة على اليد أو الكاميرا الثابتة ليبتعد عن الأسلوب التقليدى **لسيسيل دى ميل** أو **ديفيد لين** فى صنع الأفلام ذات الانتاج الضخم. ليتقرب - كما يقول بنفسه - من الاسلوب الاخبارى للشبكة التليفزيونية (سى. إن. إن.) ، وانتقل إلى موقع الأحداث ليصور فى مصنع شندلر الحقيقى فى مدينة كراكوف، وقريبا من معسكرات أوشفيتز، حيث كان الممثلون الاسرائيليون يبكون لأنهم يرون دماء الأسلاف مختلطة بالطين.

وكأن صناعة فيلم **«قائمة شندلر»** - فى الحقيقة أو الدعاية المصطنعة الزائفة - كانت فعلا يشبه أفعال الطقوس الدينية، حتى أن اسبيلبيرج يقول أنه اكتشف مع الفيلم، وللمرة الأولى، أنه يهودى، وأنه لم يعرف السينما من قبلها قط، وأنه لن يعود إلى صناعة أفلام تغازل خيال المتفرجين: «إننى أصنع هذا الفيلم لنفسى.. للذين عاشوا من اليهود وبقوا على قيد الحياة وتم انقاذهم.. لعائلتى وأطفالى».

بالمقارنة مع صناعة **«قائمة شندلر»**، ترى فيم كان يفكر صناع فيلم **«حكمت فهمى»** وهم «يسهرون» على تنفيذه سبع سنوات كاملة (كما تؤكد نادية الجندى) ترى فيم يفكر العديد من نجومنا من الممثلين والكتاب والمخرجين وهم عاكفون على صنع الأفلام التى يقولون لنا أنها «سياسية»؟ إن أردت الاجابة فعليك أن تقارن بين المنهج والهدف الذى يضعه الساسة المحترفون من الصهاينة فى التعامل معنا، ومايفعله المفاوضون من ساستنا «الموظفين»، وهو أيضا الفرق بين القرار الجماعى الذى يعتمد على استراتيجية واضحة مهما تغير التكتيك، كمالايعتمد أبدا على الأسماء التى قد تتغير أو تختفى، والقرارات الفردية المفاجئة التى تتجاهل الجماهير تجاهلا كاملا، وتقف على أرض النجومية التى لاترضى لنفسها بديلا، وهو بالاضافة الى ذلك كله الفرق بين المخطط الصهيونى الذى بدأ منذ أكثر من مائة عام ليسير فى خطه المرسوم، بينما تقتصر سياستنا على ردود الأفعال التى لاتقرأ التاريخ ولاتضع حسابا للمستقبل.

لقد ظل **«قائمة شندلر»** ينتظر التنفيذ فى أدراج شركة الانتاج لأكثر من عشر سنوات، وهاهو يظهر فى الأوان المناسب تماما، الذى تتردد فى أصدائه كلمة **«السلام»**، التى تحمل ألف معنى ومعنى، والذى تجلس فيه الأطراف العربية واحدا بعد الآخر على مائدة المفاوضات ، بينما تستمر الطائرات الاسرائيلية فى قصف المدن والقرى العربية، وتضع السلاح فى أيدى المستوطنين الصهاينة ليقتلوا العرب العزل وهم سادرون فى صلاتهم ، وتمنع الفلسطينيين المبعدين من دخول «وطنهم» رغم غطاء «الحكم الذاتى»، **وكأن الصهاينة يريدون أيضا بفيلم «قائمة شندلر» أن يضعوا ستارا من السينما شديدة البراعة والخبث، تتحدث عن هولوكوست أسطورى، لتخفى الهولوكوست الحقيقى الذى تدور رحاه كل يوم ، ويروح ضحاياه الآلاف من الجماهير العربية**، الذين يرضى نجومهم فى السياسة والفن بأن يقودوا النضال من أماكن لاتختلف كثيرا عن «عوامة» **حكمت فهمى»** التى يجرفها التيار الى المجهول.

ترى إلى من يجب أن نوجه اللوم: **إلى اسبيلبيرج** الذى صنع فيلما صهيونيا بارعا، أم الى **نادية الجندى** التى صنعت شريطا ملونا من السليولويد لتظل نجمة الشباك الأولى فى مصر والعالم العربى، أم إلى الذين يتركون التاريخ نهبا للتزييف والتلفيق، أم الى الذين لايتركون الجماهير تصنع تاريخها، بل يتركون الآخرين يصنعون لها هذا التاريخ؟.



"منيا" آه .. "أسيوط" لا
من شابه آباه

ماجدة موريس

وجهت محافظة **اسيوط** أول أتهام لقناة التليفزيون السابعة التى تخدم شمال الصعيد.. أتهم أبناء المحافظة القناة بمحاباتها لمحافظة **المنيا** حيث يوجد مقرها الرئيسى وقالوا أن المسئولين فى ق ٧ يتجاهلون تماما الايجابيات الموجودة فى محافظة اسيوط ويتعمدون عدم أبراز أنشطتها ومشروعاتها الكبرى التى تقام على أرضها، الكلمات السابقة منشورة بالحرف فى جريدة الأخبار صباح يوم ١٩٩٤/٨/١١ بالصفحة التاسعة المخصصةللمحافظات.

وليس هذا أول اتهام لقناة محلية من قنوات التليفزيون المصرى المحروس ولكنها الشكوى الأولى الرسمية منذ بداية انشاء التليفزيون نفسه عام ١٩٦٠.

فمن قبل **أشتكى الكثيرون من برامج التليفزيون، وأشتكى المثقفون من تجاهل الثقافة، وأشتكى المواطنون من محاباة المسئولين على حسابهم، واشتكى العلماء من تجاهلهم والجرى بالمشاوير وراء لعيبة كرة القدم، وأشتكى نجوم الفن الحقيقيون من الجرى وراء «النجوم» الموضة الذين يظهرون بلا سبب كالفقاقيع ويختفون لاسباب تخصهم هم ولاتخص الفن..** باختصار، منذ ٣٤ عاما كاملة والشكوى لاتنقطع من وراء **«المحاباة»** التى ابتلى بها التليفزيون المصرى، ومنهج التميز والتفضيل الذى أمتد من السياسة إلى كل الموضوعات الآخرى التى يقدمها على شاشته، أما **«التجاهل»** فهو طقس أصيل يمارسه دائما ولياقته فى هذا الشأن لا يعلى عليها وتاريخه الطويل زرع فى نفوس كل الشاكين يقينا بأنه لا فائدة من الشكوى.. فهى لغير الله مذلة.

لكن يبدو أنه قد آن الآوان للتعامل مع التليفزيون بشكل آخر، ومن نفس الاجهزة التى يفترض أنها مكمن الأمان فمحافظة اسيوط هى محافظة حكومية بحكم النظام السياسى يحكمها محافظ معين من حكومة الحزب الوطنى الديمقراطى وقياداتها كذلك، وأيضا تليفزيون القناة السابعة هو تليفزيون حكومى معين برئيسه وقياداته من قبل وزارة الاعلام أحد وزارات الحكومة والحزب، وكذلك الأمر بالنسبة لاعضاء المجلس المحلى الستة الذين اعلنوا الثورة على **ق ٧**، فهم اعضاء مجلس قريب ونسيب الحزب الوطنى، أى أنه ليس من بينهم غريب، وبالتالى تصبح الشكوى بين أبناء البيت الواحد ولن تصلح معها هذه المرة الحجة الخالدة للحزب والوزارة بأن الشاكين معارضون حاقدون لايقدرون كل الانجازات التى قدمتها قنوات التليفزيون إلى الشعب المصرى.

ولقد حدث من قبل أن اتهمت محافظة **السويس** القناة الرابعة التى تخدم محافظات مدن القناة بممارسة التميز لصالح مدينة **الاسماعيلية** التى يوجد بها مقرها الرئيسى، لكنه كان اتهاما شفويا، لم يتحول إلى أتهام مكتوب أو رسمي لأن احدا لم يجرؤ على فعل هذا مثلما حدث فى هذ الواقعة التى نشرتها الأخبار. ولعلها سابقة هامة فى تاريخ التعامل مع التليفزيون المصرى بشكل عام، وتاريخ التعامل معه بشكل جماعى وليس فرديا. فمن قبل كانت كل الشكاوى تأخذ طابعا فرديا غير منظم، أكثرها شفوى وأقلها مكتوب، وكان الشاكى يربو بنفسه عن الدخول فى متاهة شكوى مكتوبة تعرضه لانواع من ردود الافعال قد لاتليق به وبكرامته أقلها مثلا أن تذهب إلى سلة المهملات أو تحاط بجدار من الصمت ،أو أن يحاولوا التقليل من شأنها بحجة أن الشكوى من جهاز التليفزيون وتحيزه أمر غير مهم لايجب أن يشغل بال أحد فى عصر القضايا الكبرى والهجوم الاكبر.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الافعال وردودها استمرت كل هذه السنوات تمنع مناقشة «أمور التليفزيون» فى مصر مناقشة حقيقية وموضوعية كقضية تهم الرأى العام كله، بينما استمر التليفزيون يكرس مناهج المحاباة والانحياز والتفضيل للبعض على حساب البعض أوستمرت هذه القضايا لاتجد من يدفعها خطوة **واسعمرت (السياسات الاعلامية) حكرا على وزير الاعلام ومعاونيه**، وأستمر كل شئ على ماهو عليه، ومن هنا فإن مايلفت النظر هنا ليس الاتهام فى حد ذاته الذى وجهه ٦ من أعضاء المجلس المحلى لمحافظة اسيوط، وبحضور

المحافظ، وأنما هو دلالته، وقيمة أن يجتمع ٦ معا، ليقرروا بأن الدولة قامت مشكورة بافتتاح القناة السابعة لشمال الصعيد في أول فبراير الماضي بهدف خدمة المنطقة ورفع مستوى الوعي لدى ابنائها إلا أن هذه القناة، النونو، لاتكاد تذكر شيئا عن انشطة أسيوط الثقافية والاجتماعية والاقتصادية. وأكد العضو **مراد ثابت** كمال يقول الخبر أن تركيز هذه القناة منصب على محافظة المنيا وماتنعم به من استقرار وأمن ولاتتعرض اطلاقا لمحافظة اسيوط، والمطلوب توضيح صورة اسيوط وابراز الايجابيات بها ووطنية شعبها. أما اللواء **سميح السعيد** المحافظ فقد عقب على كلمات الاعضاء، بالكلمات الآتية:

تعليمات الدكتور صفوت الشريف وزير الاعلام تقضي بعرض ايجابيات اسيوط أو الوجه الآخر لها، ومن ثم فإن التليفزيون يقوم بهذه التغطية بعكس ماتقوم به الصحافة، بالنسبة لهذه القناة فإنها لاتذيع أخبارا أوأنشطة أو تقوم بعمل لقاءات ومازالت محطة للتجارب وقد تم الاتفاق - مازال الكلام للمحافظ- مع مدير المحطة بالحضور ٣ أيام كل اسبوع لتسجيل الانشطة بالمحافظة »

أنتهى كلام المحافظ الغريب بل العجيب- والذى يسير على منهج التليفزيون، ولايخرج عن «صف» الحزب الوطني. فالمحافظ رد على ثورة اعضاء المجلس بأن حابى التليفزيون وتميز له لأن تعليمات الدكتور- **صفوت الشريف**- تقول بأن التليفزيون يعرض ايجابيات أسيوط وليس مهما بعد ذلك أى شئ أخر- غير أن المحافظ لايكتفى بمحاباه

صفوت الشريف



التليفزيون ولكنه يهاجم الصحافة ثم يقلل من شأن القناة السابعة فهى لاتذيع اخبار أو أنشطة ومازالت محطة للتجارب ويقرر حضرة المحافظ بأنه «تم الاتفاق مع مدير المحطة بالحضور ٣ أيام كل اسبوع لتسجيل الانشطة بالمحافظة» .. من الذى اتفق؟ وهل المطلوب أن تتحول القناة إلى قناة دعائية لتسجيل الأنشطة؟ وأى فهم لدور الاعلام ينطلق من هذه الرد؟.. كلها اسئلة تعطى فكرة عن القضية الحقيقية،فهى دور الاعلام نفسه الذى تقدمه قنوات التليفزيون بشكل، وتفهمه قيادات الحكم المحلى بشكل آخر، وبدلا من أن نسعى إلى تليفزيون قوى مستقل يسعى لأن يكون صوتا للمواطنين الشرفاء فإن هناك من يسعى لأن يحوله لنشرة مصورة لنشاطاته بحكم وظيفته الرسمية. ومعنى هذا أنه مكتوب على التليفزيون فى بلادنا أن يفلت من مزاجية العاملين به ليقع فى أسر قيادات الحزب الوطنى والدعاية لها.. فيا أيها التليفزيون، كم من الخطايا ترتكب بأسمك، فمتى تتحرر من سلطان الاجهزة إلى سلطان الضمير الاعلامى الوطنى والمهنى فقط؟

يمين × شمال



بين البدري.. وعاطف باشا

فى رده على استجواب البدرى فرغلى قال السيد «عاطف باشا صدقى» كلاما كثيرا ليس عن المستندات ولاعن الواقع ولكن قال أن السياسات التى يتكلم عنها البدرى عفا عليها الزمن وانها مكتوبة له وليست من وضعه وقال: أن هذه السياسات هى سبب خراب مصر ونسى أشياء كثيرة.

- أولا نسى تاريخ البدرى ذلك الرجل البسيط الذى وصل الى مجلس الشعب فى ظروف سيئه فإن لم يكن له فكر وتاريخ وهوية ورصيد من النضال لما وصل الى هذه القبة.

- نسى أو تناسى المنجزات التى حققتها هذه السياسات التى شارك فيها عاطف بيه بالفكر والعمل وأن مقومات وجود دولة عصرية قوية هى من نتاج هذه السياسات.

وفى عجالة تعالى معى نستقرأ الواقع الذى حدث بعد الرده والانفتاح والخصخصة:-

*التضخم الذى يقول عنه الباشا أنه طبيبه عميا،، وأنا أقول لسيادته ليست عمياء، بل هى تعرف جيدا ماتصيبه من أخذ وعطاء.. وتدهور قيمة الجنيه المصرى ومعه يتدهور المواطن المصرى.

*البطالة التى أصبحت شبحا يهدد سماء مصر بكاملها لأن معدلاتها تتزايد باستمرار.

* غياب الهدف الوطنى والتوجه القومى مما جعل التطرف والارهاب ينمو ويستشرى ويساعد قوى الظلام والقوى الأجنبية التى تتربص بمصر على نسف وزعزعه قوام الأمة ووحدتها.

*انهيار الخدمات العامة ولاسيما الصحة والتعليم والزراعة وأصبح جهاز الدولة يتفرج وليس له دور.

*عدم وجود تخطيط لنمو وتطور الصناعة الوطنية بل السير قدما فى بيعها لأى مشتر مهما كان جنسه.

*ضرب المنتج الأول فى هذا البلد وهو الفلاح فى شكلين :الاول بنك القرية الذى يرفع نسب ربحه دائما. والثانى، قانون عودة الإقطاع المطور مرة أخرى. الى جانب تخفيض منتجاته وتركها نهبا للتجار.

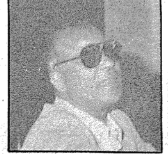
وفى النهاية أسوق مثلا عشناه فترة بسيطة عندما تبنت الدولة مشروع البتلو الذى أدى الى أن سعر كليو اللحم كان ٥ر٧جنيه وعندما تراجعت الدولة عن هذا المشروع تضاعف سعر كيلو اللحم والسبب فى ذلك أيضا هو كثرة الوسطاء والسماسرة الذين دخلو أسوق تجارة العجول الصغيرة والغريب أن الفلاح هو الذى يربى هذه العجول بمعنى أنه يخسر ليكسب الجزار فهذا جزء بسيط من الكل الذى نعيشه ياسعادة مدير عموم مديرى مصر. فما هى إذن السياسات التى أدت الى الخراب وأكل الأخضر واليابس.

عبد الله عبد الله الخطيب

عاطف صدقى

البدرى فرغلى





الفساد والإرهاب
من منتصف السبعينات

حدث شرخ فى الحياة المصرية جاء نتيجة رده سياسية قلبت الموازين وبالتحديد من ١٣ مايو ١٩٧١ فمن هذا التاريخ يجب أن نبدأ أى حديث عن الإرهاب ووجه العمله الآخر له وهو الفساد نتيجة لسياسة الرئيس الراحل فى ضرب رموز الاشتراكية فتح الباب لمن اطلق عليهم القطط السمان ومن أجل القضاء على الفكر اليسارى بكل تياراته «قوميين عرب، ناصريين، شيوعين » فتح الباب لهواة الإفتاء، وأصحاب كلمة التكفير ليقوموا بالهجوم على اليسار، ويتفرغ اليساريون للرد عليهم لينفذ هو اراء الصديق «كسينجر» ويستطيع أن يتربع على غلاف المجلات الامريكية، ويصفى ماعلق فى نفسه من رواسب قديمة فوجدنا حادثة الفنية العسكرية، ومقتل الشيخ الذهبى، وسمعنا عن شكرى مصطفى بنظراته الشيطانية. وعلى الجانب الاخر من العمله وجدنا مااسماهم المرحوم د. / محمود القاضى بالقطط السمان ثم ظهرت الدفعة التالية لهم وهم تجار الأغذية الفاسدة مثل توفيق عبد الحى الى تجار كل شئ مثل رشاد عثمان الى عصمت السادات الى نواب الكيف معذرة فهذا مدخل الى ما أريد ان أتحدث عنه فى كلمات سريعة.

نجد أن تطور الارهاب بدأ من بدايته الصحيحة وهو الاقتصاد فحاول السيطرة عليه من خلال إعلانات بكبار العلماء الذين يثق فيهم العامة من



د. محمود القاضى..

التصدى للفساد

الشعب متسترا برداء الاسلام. وقد ساعدت أجهزة الإعلام هذه الشركات عن طريق تلفزيونها وندوات مشايخ شركات توظيف الاموال مما جعل الجميع يثق فى هذه الشركات كما استطاعت هذه الشركات أن تجعل الصحف تدخل فى دوامة هل فوائد البنوك حلال أم حرام وهنا التحم **الفساد بجماعات الإسلام السياسى** عن طريق استخدام كبار المسئولين ومدهم بما يسمى بكشوف البركة.

وعندما ارادت الدولة انقاذ مودعى هذه الشركات لجئوا الى ضرب السياحة ليكون الناتج لصالحهم فى احداث ازمة نتيجه لخروج اموال المودعين خارج مصر بجانب خفض ايرادات الدولة من السياحة مما يساعد على تفشى أزمة البطالة. وزيادة الأسعار.

الخ من المشاكل المزمنة على كاهل المواطن.

وبرغم كل ماسبق الا أن الفصل بين الفساد والإرهاب لابد أن يتم أولا حتى نستطيع ان نتصدى لهم حكومة وشعبا.

* ولنبدأ بالحديث عن كشوف البركة مع استرداد هذه الاموال لصالح صغار المودعين.

* منع كل المشايخ الذين ظهروا أو عملوا فى شركات توظيف الاموال او تربحوا بأى طريق منها من العمل فى التليفزيون او الازهر او الاوقاف.

* نشر جميع قضايا الفساد فى الصحف حتى يعلم كل من يصل الى الكرسى أنه سيحاسب غدا او بعد غد

* دعم كتب التنوير وزيادة المطبوع منها ونشرها عند باعة الصحف.

* هذه اراء اجد أن الحكومة الحالية لن تستطيع تنفيذها دفعه واحدة فيمكن البدء فى القضايا المعروضة امام القضاء برفع حظر النشر عنها وترك الصحف تبحث عن مصادر تمويل الارهاب الى أن اقول عاشت مصر لكل المصريين

غريب الشيخ
إمام جمعية
الشباب المسلمين



السادات.. القطط السمان



ليست مذبحة الخليل الأولى

.. اعانى كثيرا لأن نومى ثقيل فكم تمنيت أن أصحو قبل غيرى، أما فى ذلك الفجر فلا أدرى كيف نهضت فجأة محاولا تجميع اشلاء تلك الأصوات المتناثرة هنا.. وهناك.. يخطف بعضها الاثير الى البعيد.. وبعضها يسقط تحت نافذتى فالتقطه محاولا تجميعه وخلق كلمات مفيده.. كنا قد تعودنا أن يكون المنادى جنديا حقيرا هاتفا «ممنوع التجول».. ولكن فى ذلك الفجر كل شئ كان مختلفا.. لقد كان إنسانا عاديا مثلك يهتف بصوت تقطعه حشرجة الدموع.. «..**إنزلوا الى الحرم الابراهيمى ياأهالى الخليل لقد ذبح المستوطنون المصلين هناك.. انزلوا**» فقمت بسرعة احمل جسدى واهبط به كل درجات البيت لكن الأزمة وضيق النفس فاجآنى.. فسحبت جسدى بمزيد من الاصرار لكن تلك الامراض أبت إلا أن تتشبث بى واجبرتنى على الوقوف الى جانب الطريق فلقد تذكرت فجأة بأننى اصبحت عجوزا «كهلا».

فأخذت أراقب الشباب تتسابق من كل الزوايا.. والسيارات «تعلق زامورها» معلنه الاستنفار.. واطفالا صغارا تلملم حجاره وتصنع اعلاما سوداء.. عندها تذكرت وضعا مشابها لم تكن فى شوارع ولا ارصفه.. لم يكن فيه سيارات ولاسماعات تهتف.. ولم يكن فيه وقت للاستنفار.

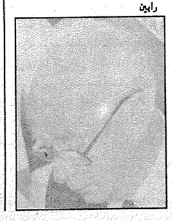
.. **كان ذلك منذ خمسة واربعين عاما فى الخليل** ايضا أدرى أنه مر زمن طويل.. لكن لكل شئ نهاية إلا الذكريات.. والذكريات الأليمة ترسم خطوطا على الجبين لا يمحوها الزمن. . وتحفر سيولا تحت العيون لا يوقفها سد.. يوم مذبحة الحرم الابراهيمى جلست ابكى على طرف الطريق عجوز كهل لاحول له ولاقوة.. ولكن يوم **مذبحة الدوايمه** قبل خمسة واربعين عاما لم ابك كنت فتى لايتجاوز الخامسة عشرة ارسلتنى زوجة أبى لأبحث عنه وكنت اتساءل لماذا هى قلقة لهذا الحد.. سألت بعض الناس فأخبرونى لعله لجأ الى الجامع.. «لجأ» ولماذا «لجأ» أخبرنى عجوز كهل بصوت متقطع الا تدرى ياإبنى اليهود سيهاجمونا وليس لنا مكان آمن مثل بيت الله..

إن والدى متدين جدا إذن لابد أنه هرب الى «بيت الله» وحين وصلت هناك كان فى الجامع معظم رجال البلد.. نادى




عرفات

على صديق لوالدي وقال:- والدك ليس هنا.. تعال أنت يابني تعال... **من دخل بيت الله فهو آمن».** ولكني تركته يتحدث وتركت أكثر من اربعمائه رجل من فتى وشاب وعجوز يقرأون القرآن تقربا الى الله ومحاولة منهم لرد الأذى.. ولم ابتعد كثيرا حتى سمعت صوت اطلاق نيران فقمت بالصعود الى تله لاستطلع الأمر فرأيت الجنود يدخلون بيت الله ويقتلون كل من فيه لم يتركوا حتى طفلا يقص قصة المجزرة.. ولا أدرى كيف استطاعوا الحصول على «جرافة البلد» فأخذوا يحملون مئات الجثث بالجرافة ويقذفون بها الى حفرة كبيرة أعدت لصناعة «الشيد» اللازم لدهن الجامع باللون الابيض.. وغطيت تلك الجثث التى بعضها لم يكن جثثا كان جرحى ومصابين وكهولا وشيوخ غطت «بالشيد» والتراب.. عندها ادركت ان على الهرب.. فلقد كنت اعزل.. ولاحظت مجموعة من الناس تهرب مذهولة رميت جسدى بينهم واخذت أركض وكان الرصاص يرتش امامنا فارشا بساطا أحمر نعبر عليه نحو الدم والموت.. مد لى احد الكهلة الفارين يده طالبا أن أجره معى وكان ابنه يركض الى جانبه لقد كان يوما لايعرف فيه الولد أباه لقد كان يوما حزينا مليئا بالصراخ وازيز الرصاص.. قررت أن لا اعبر الطريق المألوف وقمت باللف خلف الجبل وعندها سمعت صوتا رقيقا اشبه بالبكاء.. وعندما اقتربت من مصدر الصوت وجدت طفلا لم يتجاوز الاشهر الأولى من عمره ملقى على الارض ووجهه معفر بالتراب نظرت اليه .. لا أنكر بأنى حاولت أن اكمل طريقى مسرعا لافلت بجلدى وحياتي وكدت انجح لو أنه لم يرفع رأسه ويستعطفنى فعدت رفعته وقلت إما ان نعيش معا او نموت معا يا رفيق... وسرت وبدأت الشمس تغرب وبعد فترة طويلة وصلت منطقة تسمى **«دير سامت»** لقد كان يعج بالناس الهاربين.. وعن بعد ناديت- **ياناس مين فيكم فقد طفل.. انا معى طفل «كانت بين الناس امرأة تحمل وسادة على صدرها وعندما تحدثت عن الطفل نظرت الى الوسادة ظانة انها طفلها يا الهى العظيم.. إن تلك الوحوش.. أن آكلى لحوم البشر هؤلاء جعلو الأم تخلط بين الوسادة وطفلها وحملتها عشرات الكيلو مترات ظانة وانها تحمل طفلها الرضيع** وعندما حضرت تذكرت طفلها فقامت تصرخ وتمزق شعرها.. أخبرها شيخ أنه رأى جماعة هربت بإتجاه **«الطور»** فصعدت راكضه وصعدت واتى معنا بعض الرجال.. وحين وصلنا كان هناك مايشبه المغاره فتوقعنا ان بها شئ .. وفعلا لقد كان بداخلها ثمانية عشرة مقتولا برصاص اليهود.. والمؤلم ان بينهم طفل رضيع يجلس على صدر أمة المقتولة محاولا الحصول على حليبة - ولو عشت عمرى كله لن أنسى لمحة من ملامح ذلك الموقف- أخذنا الطفل معنا وعدنا.. وعندما خيم الظلام قمنا نكمل المسيرة **من دير سامت** وحتى قرية إذنا فى الخليل ومنها الى وادى القف وصلنا وادى القف وانا مازلت أحمل ذلك الطفل المسكين الذى كان يتلوى جوعا طيلة الوقت.. اذكر جيدا كيف كنت احاول تدقيق النظر فى الوجوه واصغى جيدا للاصوات باحثا تحت اجنحة الظلام عن وجه يشبه وجه ابى او كلمات تشبه كلماته ومع الفجر وكنا مانزال نسير بخفة



رابين

وخوف شديدين سمعت صوتا ينادى من بعيد.. محمد.. يامحمد.. لقد كان صوت رجل كهل..ينادى مره.. ويبكى مرتين.. قال أحد الناس لعله فقد احدا اسمه «محمد» فى مذبحة جامع البلد.. فجلسنا هناك لنستريح قليلا ولكن كيف استريح وصوت ذلك الكهل يحزن قلبى.. فقمت بالصعود الى أعلى تلك التله لاواسيه واسكت أحزانه ونجحت فى الحال.. اوتدرون لماذا؟؟ لأنه كان والدى.. ومحمد هذا كان اسمى .. كان أنا..**دموع والدى اعادت لى ذاكرتى ففى ازمة الخوف نسيت إسمى..** وبقينا هناك فى- وادى القف- اخبرنا المخاتير والدراويش انا سنعود الى الدوايمه- (منطقة تابعة للخليل) بعد ايام قلائل.. فانتظرنا اشهر نسكن العراء، وعندما لاح أيلول الحزين رحلنا..ليس الى بلدنا «الدوايمه» معاذ الله.. لكن الى مخيم عين السلطان فى مدينة اريحا.. ولأول مره دخلت القواميس الفلسطينية كلمتا لاجئ- مخيم.. فهما توأمان ولدا معا.. فعشنا هناك سنين طويله.. وتنقلنا فى مخيمات كثيرة ننتظر العوده ولا أمل للعودة.. واخيرا استقر المطاف فى مدينة الخليل.. فلقد كبر أولادى فى حضن الغربة.. ولازلت أجلس معهم كل ليله واحدثهم عن حلم أيام جميلة كانت فى بلدنا من زمان واسمها الدوايمه.. واذكرهم بالمذبحة وكل من قتل أمامى ولكن الليله وهذه الليلة بالذات سأحدثهم عن مذبحة الحرم الابراهيمى وسأحدث احفادى.. فطالما هؤلاء الجنود ينتشرون بيننا كالذباب.. سوف تستمر المذابح..

فداء محمد
الضورى
الخليل

حرب الأصوليين الشاملة

أخطأ الأصوليون الاسلاميون، خطأ فاحشا، حين دقوا طبول الفكر ونفخوا فى زمامير الفتة، وجمعوا أنفسهم بعصا المعلم، وأعلنوها حربا مقدسة، ضد قرار وزير التربية والتعليم بتوحيد زىّ الطلاب الذين يدرسون فى مدارس التعليم العام، وضد قرار وزير السكان بالموافقة على انعقاد المؤتمر الدولى للسكان والتنمية فى القاهرة، فتتالت فتاواهم تكفر وتؤثم، وتتابعت خطبهم تدعو المصلين من فوق منابر المساجد للدفاع عن مقدساتهم، وصدرت صحفهم تدعو القراء لرجم المؤتمرين، بأسلوب ومنطق، يدعو للشك فى قدرتهم على أن يجتهدوا فى أمور الدين بما يوائم تغير الازمان ويثير الخوف من الطريقة التى سوف يحكمون بها، إذا ماقدر لهم أن يتولوا مقاليد الحكم فى هذا البلد المسكين.

وربما يبدو غريبا أن تنشب الحرب بسبب هذين الموضوعين الهامشيين، وأن تشترك فيها كل فصائل الاصوليين على مابينهم من خلافات حادة، من المتشددين الى المعتدلين ومن المستنيرين الى المنتمين للمؤسسة الدينية الرسمية فى الأزهر والاوقاف، مع أن الزى المدرسى الموحد كان معمولا به الى عشرين عاما مضت، فلم تتعرض عقيدة طلاب المدارس لخطر ، ومع أن مصر وغيرها من البلاد الاسلامية قد اشتركت من قبل فى مؤتمرات دولية للسكان ولغير السكان، فلم تسفر مشاركتها عن تطبيق أية قرارات أو توصيات تخرج على أصل من أصول الدين، بل إنها عند التوقيع على نصوص العهود والمواثيق الدولية المتعلقة بحقوق الانسان تتحفظ على بعض بنودها، لمخالفتها للشريعة الاسلامية، وتستثنيها صراحة من الموافقة عند التوقيع.

وأخطر ما فى هذه الحرب أن الأصوليين الاسلاميين قد خاضوها وهم جبهة واحدة، و باعتبارهم مرجعية دينية ، صاحبة سلطة فى الرقابة على قرارات الوزراء ، وفى قياس مدى شرعيتها ، وصاحبة حق فى التحريض الدينى ضدها، إذا ماتجاوز القرار الادارى مايعتبرونه الموقف الاسلامى الصحيح، وهى رؤية كانت واضحة تماما فى البيان الذى أصدرته لجنة الفتوى بالأزهر، وفى المقالات التى استندت اليها، لتعطى للأزهر سلطة لايمنحها له قانونه الذى يتعامل معه باعتباره معهدا تعليميا جامعيا شأنه فى ذلك شأن أى جامعة أخرى.. على نحو يثير الشك فى مصداقية تصريحات المعتدلين من الأصوليين الاسلاميين، بأنهم يسعون الى دولة مدنية يديرها المتخصصون والفنيون بقوانين تصدر طبقا للدستور وتتواءم مع نصوصه وروحه.

وأسوأ ما فى تلك الحرب الديماجوجية أنها نشبت لدوافع سياسية وليست دينية، إذ لم يعد سرا أن الخطوة الأولى فى خطة الأصوليين الاسلاميين لتمهيد الأرض لحكمهم، هى احياء مايسمونه بالرموز الاسلامية فى المظهر وفى السلوك، ابتداء من اطلاق اللحية الى إرتداء الجلباب الابيض القصير ومن استعمال السواك الى تكحيل عيون الرجال.. ومن إشاعة الحجاب الى فرض النقاب.. وهو هدف لا اعتراض لنا- من حيث الشكل- عليه، طالما أنه يتم بالاقناع، وبعيدا عن العنف والاكراه، ودون خروج عن النظام العام، الذى يقضى بأن مدارس التعليم العام مؤسسات تربوية، تهدف الى تكوين وجدان قومى مشترك بين جميع أبناء الوطن على اختلاف أديانهم وعقائدهم، وهى مستقلة عن الجامع وعن الكنيسة.

لكن مانلاحظه- من حيث الموضوع- أن القسم الأعظم من هذه الرموز، لاعلاقة له بالاسلام كعقيدة أو شريعة، فهى تقاليد اجتماعية ترتبط ببيئتها وبزمانها، لكن الرغبة فى صبغ المجتمع بالصبغة الاسلامية، والعجز عن التوصل لاجتهاد حقيقى لصبغة معاصرة، تدفع الأصوليين الى إضفاء القداسة على كثير من الرموز الشكلية، وتميل بهم الى اختيار التفسيرات المتزمتة لماورد بشأنه نص، والى الفصل بين النص وأسباب نزوله والحكمة من هذا النزول، بل وتقودهم الى ابتداع الاحكام، حتى أن بعضهم هاجم القرار المنظم للزى المدرسى لأنه لم يفرض الحجاب على طالبات المدارس الابتدائية مع أنهن غير مكلفات به، حتى فى أكثر التفسيرات تزمتا ، ومع أن الآراء تختلف حول فرضة على من هنّ أكبر سنا ، بل إن فتوى الأزهر أقرت بمشروعية النقاب، وأن كانت لم تعتبره فرضا ، بينما شنت الحرب ضد مؤتمر السكان استنادا الى أنه سوف يناقش موضوعات، لاتجوز مناقشتها فى بلد الأزهر، مع أن السلف الصالح من المسلمين ، لم يترك موضوعا لم يناقشه، مهما بلغت حساسيته.

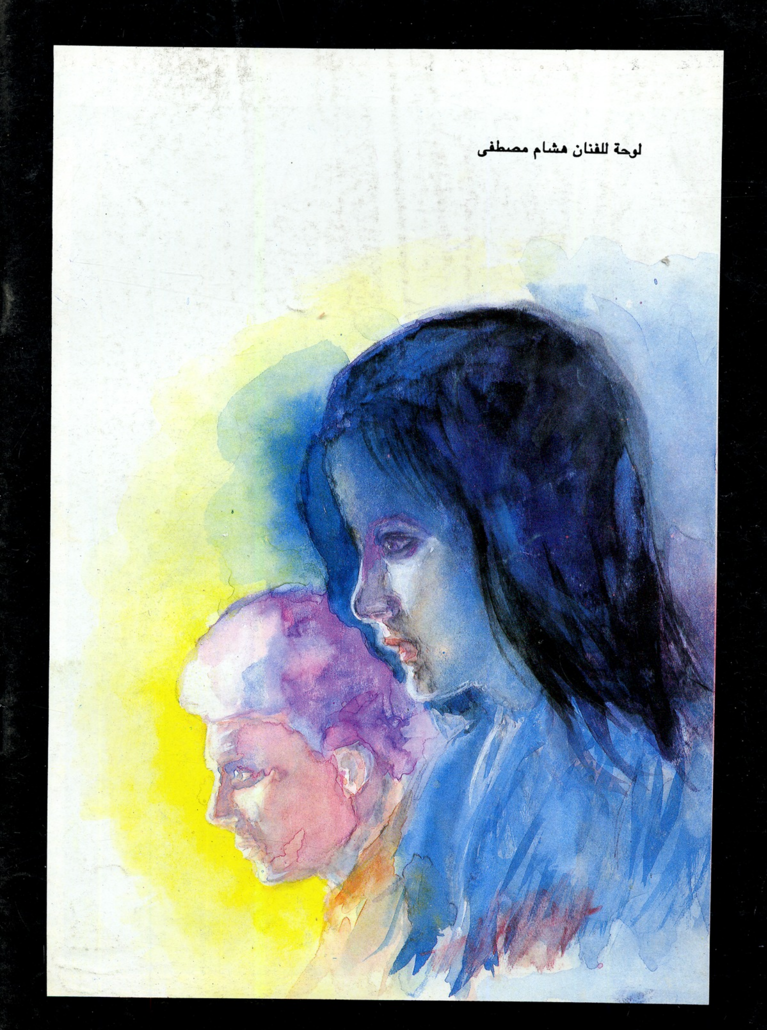
وليس الأصوليون الاسلاميون فى حاجة إلى من يذكرهم بأسلاف لهم، افتوا بأن ارتداء المسلم للبدلة الأوربية خروج عن العقيدة، ووضعه للقبعة على رأسه تشبه بالكفار، ودخوله للمستشفى هروب من قضاء الله، أو ينبههم بأن اعتبارات الواقع قد تغلبت، فاصبح المسلمون جميعا يرتدون اليوم هذه الملابس«الكافرة » لأنها الأكثر مواءمة لضرورات المناخ والحياء كذلك، أو يلفت نظرهم الى أن العالم قد أصبح اليوم قرية تكنولوجية تتبادل الأخبار والأفكار والعادات والتقاليد وأنماط السلوك والأزياء وأشكال التنظيم الاجتماعى، وأن النفخ فى نفير الجهاد من أجل ارتداء الحجاب أو العودة للسواك، هو هدف صغير، لايشغل إلا العقول الصغيرة، وأن الحريصين حقا على الاسلام، هم الذين يجتهدون فى شئونه ليوائموا بين الواقع المتغير، وبين نصوصه.

فهل أن الآوان لكى ينفخ الأصوليون الإسلاميون فى نفير الجهاد من أجل الاجتهاد ؟.

صلاح عيسى



لوحة للفنان جويا



لوحة للفنان هشام مصطفى